الغزو الأجنبي لأفغانستان في القرون الثلاثة الأخيرة



د. ابراهيم عبد الطالب



الغزو الأجنبي لأفغانستان

خلال القرون الثلاثة الأخيرة

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2009/9/3392)

325.31581

الطالب، ابراهيم عبد

الغزو الأجنبي لأفغانستان في القرون الثلاثة الأخيرة/
ابراهيم عبد الطالب، عمان: دار غيداء، ٢٠٠٩.

( ) ص

ر.إ: (2009/9/3392).

الواصفات:/ الاستعمار // الدول الغربية // الوضع في افغانستان //
البلدان الاسلامية/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و بخلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة مقدماً.



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+
خلــوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

الغزو الأجنبي لأفغانستان

خلال القرون الثلاثة الأخيرة

الدكتور

إبراهيم عبد الطالب

الطبعة الأولى

2010م – 1430هـ

قائمة المحتويات

الفصل الأول

النزاع البريطاني الروسي للسيطرة على إمارات آسيا الوسطى في القرن التاسع عشر

المبحث الأول: الغزو الروسي لإمارات خوقند، بخارى، خيوة، مرو، والقبائل التركمانية

المبحث الثاني: الحروب البريطانية – الأفغانية، في القرن التاسع عشر

المبحث الثالث: أفغانستان، الموقع، الموارد، طبيعة المجتمع الأفغاني

المبحث الأول

الغزو الروسي لإمارات خوقند، بخارى، خيوه، مرو، والقبائل التركمانية

منطقة آسيا الوسطى (وسط آسيا)

منطقة آسيا الوسطى ودولة (أفغانستان) الإسلامية إحدى دول هذه المنطقة. تشكل المنطقة وتضاريسها المتغيرة عبارة عن شبه منحرف تكون جبال (الهملايا) الشديدة الوعورة حدودها الشمالية ومن الغرب جبال (التاي) و(يابلونوي) و(ستانوفوي) ومن الشرق جبال (كنجان)، أما هضبة (البامير) فتحيط المنطقة من الجنوب الغربي. كما وتبلغ مساحة المنطقة بحدود ستة ملايين كم [(1)].

إن منطقة بحر (قزوين) وما يحيط بها من دول الشمال الإسلامية (جمهوريات الإتحاد السوفييتي سابقاً) ذو مساحة من الأرض التي تأخذ إمتدادها حتى تصل جبال (هندوكوش) (والتاي) وفيها تتنوع التضاريس بين جبال ووديان وسهول ومراعي خضراء التي تكفي طعاماً للماشية والأغنام والخيول. ويمكن القول أن الأمطار الكثيرة والثلوج التي تكسوا قمم جبالها أدت إلى أن يكون شتاؤها قارص جدا وتصل درجات الحرارة إلى مادون الصفر، كما أن أنهار (سيحون) و(جيجون) (واترك) و(الميرغاب) وجريانها المستمر يمكن أن تعوض عن حالة ما يشبه الجفاف في منتصف الصيف [(2)]

---

(1) بارتولد تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان – مكتبة الأنجلو المصرية 1958، ص2.

(2) إبراهيم أحمد رزقانة، الجغرافية السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية ط3، 1966، ص19.

كان سكان منطقة آسيا الوسطى من جماعات وقبائل مختلفة، يتجمعون حيث يجدون الماء والكلأ في المناطق المحيطة ببحر قزوين، ومناطق جريان الأنهار خصوصاً في فصل الصيف. (1) ومن الجدير بذكره أن وجود هذه القبائل وأتباعها فيما بعد، قد اقترن بدور عابر أو أدوار رئيسية في خضم تشابك مصالح الدول التوسعية (2) (فقبيلة القرغيز)(Karkez) (3) التي سكنت المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى جبال (تيان شان)كانوا رعاة رحل (4)، ومع ذلك فقد بقوا في حروب قبلية مستمرة، الأمر الذي أعطى الفرصة لروسيا للتدخل بينهم وفض النزاعات مما جعل القبيلة الصغيرة مجبرة على تقديم الولاء لها لضمان بقائها بين االقبائل القوية الأخرى. (5)

يرى بيبانوف فيدوسوف في كتابه أن النظام السياسي الذي كان سائداً عند القبائل يتسم بطابع الإستبداد الشرقي، حيث كان الأمراء يجبرون أتباعهم على دفع الإتأوات والضرائب، كما كان الإقطاعي ذا قوة حقيقية من أجل الاستحواذ على السلطة، وتدبير الإنقلابات وإحياء الحروب التي أتعبت السكان وأضعفت أي نهوض ثقافي واقتصادي (6)

---

(1)The new Encyclopedia Britannica , vol,I, events of 1768, U.S.A, P.168

(2) محمد حسن العيله، أواسط آسيا الأسلامية بين الأنقضاض الروسي والحذر البريطاني، الدوحة، 1986، ص18.

(3) القرغيز أو القازاق، كلمة روسية تعني الفرسان أو ركوب الخيل، وكان لهم شأن على القبائل الأخرى، ومنذ القرن الثامن عشر حتى قيام الثورة البلشفية عام 1917 خدم القوزاق في القوات المسلحة للأمبراطورية الروسية تحت صنف الخيالة غير النظامية (بيبانوف، فيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفييتي، موسكو 1961، ص127).

4) Encyclopedia Britannica, vol I, event 1768, U.S.A, P. 168

(5) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص 18.

(6) بيبانوف فيدوسوف، المصدر السابق، ص395.

قبيلة القلمق (Kalmyk) هي الأخرى من القبائل التي حاول الروس إستمالتها، وكان تمركزها بين نهر (الفولجا) وأنهار (آميا) و(آرال) حتى هضبة التبت . وعلى الرغم من غزوات المغول المتكررة لأراضي القلمق إلا أن القيادة الروسية و في بداية القرن الثامن عشر جعلتها تحت سيطرتها وتعاملت مع موظفين روس؛ كان أهالي القلمق لا يرغبون التعامل معهم، مما حدا بالروس إلى فتنة القرغيز والقلمق بغية إضعافهم وإخضاعهم. [1]

قبائل التركمان (TurKoman) ذوي الأصول المغولية وسكان المناطق الجبلية، سكنوا جنوب خانه خيوه (من منطقة بحر قزوين حتى الحدود الإيرانية الشرقية) وتتميز هذه القبائل بعددها [2] وقوتها ومن بينهما قبيلة تكي (TeKe) التي تقاسمت السكن حول مدينة (مرو) وشمال شرق قوران داغ (Kurran Dagh)، وكما هو حال القبائل الأخرى في الصراع الداخلي لتقاسم النفوذ، فقد سعت القيادة الروسية إلى تمزيق وحدتهم دوماً عن طريق الإغراء تارة والقوة تارة أخرى، وكان من رواد هذا الأسلوب الجنرال الروسي (لامكين) الذي عين خصيصاً لإخضاع هذه القبائل للهيمنة الروسية [3]

في القرن السادس عشر كانت قبائل (الأوزبك)(Ozbek) تمتهن الزراعة قرب نهر (الفولجا) ومنطقة بحر (آرال)، وبسبب كون نظامهم الاجتماعي تسوده العلاقات العشائرية [4] القوية فقد امتد نفوذهم حتى (بخارى) و(سمرقند) و(طاشقند)

---

(1) محمد حسن العيلة المصدر السابق ص19.

(2) تشير المصادر التاريخية أن تعداد هذه القبائل يتراوح ما بين (21 -25) قبيلة منها كوكلن، اليamوت، ارساي، تكي، دائرة المعارف الإسلامية، الأزهر، المجلد الخامس، 1936، ص212؛ ييبانوف، المصدر السابق، ص396.

(3) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص72.

(4) ييبانوف، المصدر السابق، ص394.

فاصبحت فيما بعد (سمرقند)عاصمة (الأوزيك)، وامتد ذلك النفوذ إلى خانات (بخارى) و(خيوة) و(خوقند) [1]

بعد أن تقلد القيصر بطرس الأكبر (1662 -1725)م مقاليد السلطة في روسيا، أدرك الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية التي يمكن أن يحصل عليها من مناطق (الأوزبك)باعتبارها المنفذ الوحيد إلى وسط آسيا من جهة الشمال والطريق التجاري إلى أفغانستان والهند [2]. وعلى هذا الأساس فقد أرسل القيصر الأمير (جاجارين) على رأس مجموعة إستطلاعية إلى وسط آسيا لمعرفة احتياجاتهم وما متيسر هناك من مواد أولية، فجاء تقريره الذي بعث به إلى الحكومة الروسية مشجعاً جداً، حيث ذكر وجود كميات من الذهب في منطقة تسمى (يارقند) تقع إلى الشرق من (بخارى) [3] .

ظل القيصر الروسي يتحين الفرصة المواتية للإقدام على التدخل بصورة لا تثير بعض الدول الأوروبية آنذاك بريطانيا والنمسا وكذلك مرجعية العالم الإسلامي الدولة العثمانية [4]

في عام (1717)م طلب (نيازخان) أمير (خيوه)من بطرس الأكبر نجدته في نزاع قبلي، فأرسل على الفور قوة عسكرية، وكأن قائد القوة يحمل تعليمات إلى أميرها وكذلك أمير بخارى بضرورة قبول قوة لحمايتهم من اعتداء القبائل الأخرى مستقبلا، غير أن المغزى الأهم لإرسال خبراء روس على الأرض هو لدراستها وتحقيق

---

(1) محمد حسن العيله، المصدر السابق،ص21.

(2) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص23.

3) (Boulgar Dametrlus Charles, England and Russia in Central Asia, London ,1879 ,vol, 1,p:149 .

(4) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص 24.

مآرب توسعية في المنطقة، وتلا هذا الإجراء إرسال سفير إلى إمارة خيوة الذي كان محل ترحاب واستقبال من قبل أميرها[(1)].

في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضمت روسيا أراضي واسعة من آسيا الوسطى وذلك بسبب التحرك العثماني الذي حاول إيجاد تكتل إسلامي وسط آسيا يمكن أن يضعف إستراتيجية روسيا العسكرية، كما خشيت الحكومة الروسية من توسع بريطانيا التي تحاول هي الأخرى الاستيلاء على آسيا الوسطى[(2)] أما عن الجانب الاقتصادي، فقد كان الطموح الروسي يهدف إلى إيجاد مصادر جديدة للخامات الأولية وفيما بعد أسواق لتصريف منتجاتها. وكانت العين الروسية تنظر إلى شكوك أوروبا حولها، فقد وجدت أن قدره روسيا في زمن بسمارك التي خاضت حرباً ضد الإمبراطورية (النمساوية) عام (1866)م وحرب ضد (فرنسا)عام (1870)، أنها لا تريد عداوة (روسيا)، فكانت الفرصة مواتية للروس في إخضاع آسيا الوسطى دون اهتمام كبير من قبل الأوروبيين لما يحدث لمجتمعات آسيا الوسطى البدائية والإسلامية[(3)].

كان الطابع القبلي في الخانات أو الإمارات الأوزبكيه خوقند وبخارى وخيوة ومرو هو سيد الموقف، حيث أن منصب الخان أو الأمير يعتبر هدفاً لأي قبيلة تجد قوة فيها، وعندما تنجح في مسعاها الإبتدائي فأن النزاع يبدأ فيما بعد بين أفرادها للفوز بمنصب الخان[(4)]

---

(1)Boulgar, Dametrius ,Op.cit, p. 149.

(2) بيبانوف، المصدرالسابق، ص395.

(3) بيبانوف، المصدر السابق، ص38

(4) روبير شنيرب، تاريخ الحضارات العام في القرن التاسع عشر، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، بيروت – باريس، ط2، 1987، ص418 ؛ محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص41.

وفي الجانب الاقتصادي، كانت أوضاع الغالبية العظمى من شعوب الإمارات الإسلامية بائسة، حيث الزراعة والصناعة بدائية جداً، والصناعة عبارة عن حرف بسيطة كتلك التي أشتغل الإنسان بها في بداية القرون الوسطى، وكانت المدن مدناً إقطاعية [1] وكان أمراء الإمارات يعرفون ويستشعرون بالخوف من اقتراب القوات الروسية من أراضيهم ومراكزهم الإدارية ومع ذلك لم يقم أي منهم بعمل مشترك مع الآخر يوازي ذلك الخطر الداهم [2]. في الجانب الآخر كان عدوهم من الحيلة والبراعة في إثارة العداء والانتقام لإشغالهم في معارك جانبية لاستنزافهم وهي بذلك قد طبقت سياسة (فرق تسد) في المناطق الإسلامية وقطعت أوصالها حتى تتمكن من السيطرة على كل إمارة أو قبيلة منفردة دون معاونة الأخرى [3].

ومع كل الاساليب الروسية الماكرة وعندما حدثت المجابهة، فقد أبدت إمارة (خوقند) مقاومة عنيدة لصدّ الغزاة الذين استخدموا مياه الشرب كوسيلة لإركاع أمير خوقند، حيث قطعوا مياه نهر (شير شيك (Cher Chik) وبذلك استولت على إمارة (خوقند) في 28 مايس (1865)م [4]

(1) اندرو ولسن، في قلب افغانستان، تعريب عمر الديراوي، بيروت، 1982، ص7؛ بييانوف، المصدر السابق، ص394.

(2) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص42.

(3) محمد عبد القادر، الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي بين الماضي والحاضر، القاهرة، 1992 ص24.

في إمارة (خوقند) حدث نزاع على إمارتها عام (1860) م بين (عليم خان) و (خضير) الذي لجأ إلى (بخارى) وصاهر أميرها وبالتالي وقف مظفر الدين خان أمير بخارى ضد عليم خان حتى ولو كان نتيجة ذلك العداء تسليم خوقند إلى الروس. محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص42.

(4) (Boulgar, Demetrius, Op,cit,P.168.

أسست القيادة الروسية في الأراضي التي احتلتها حاكمية (تركستان) حيث قسمتها إلى مناطق يرأسها حكام عسكريين بغية تقسيم المسؤولية وإحكام السيطرة عليها. أما النظام الذي تبناه القياصرة فكان نظاماً استعمارياً، حيث تميّز موظفيهم بالنهب والإساءة والرشاوي وممارسة السلطة بتجبر فذُكِرَ عنهم " الابتعاد الأقصى عن السكان المحليين " والتعبير عن الكراهية وعدم الثقة بهم، والنظر إلى سكان البلد وكأنهم من جنس أدنى غير قادر على التفكير والاحساس [1]، ومن هذا الإدراك الذي ينتاب عقول الموظفين فأنه "يجب أن يرتجف أمامهم المواطن المحلي، وأن يقدم لهم فروض الطاعة والأموال وكانت الرشوة متفشية إلى أقصى الحدود". [2] في إمارة (بخارى) وهي هدفهم التالي، فقد استغل الروس الخلافات القبلية بين (خوقند) و(بخارى)، فجندت روسيا عناصر معارضة لأميرها (مظفر الدين) (1860 -1887) م فضلاً عن الأموال السخية التي أنفقت لشراء ذمم بعض قادتهم [3] وفي الجانب العسكري، فينبغي أن ندرك أن التعبية الروسية (Tactic) كانت تعتمد على أساليب متطورة في حفر المواضع وإقامة القلاع الدفاعية لمحاصرة الإمارات وذلك للحد من قدرة القبائل التي اعتمدت على أسلوب الكرّ والفر في القتال وشن الغارات على أهداف معزولة. أما أسلحة الجيش الروسي فكانت متطورة بالقياس لما يملكه الطرف الآخر [4].

---

(1) يبيانوف، المصدر السابق، ص396.

(2) المصدر نفسه، ص396.

(3) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص 158.

(4) كان أفراد الجيش الروسي مزيج من أبناء الفلاحين وسكان المدن، أما ضباطه فكانوا جميعاً من (الدفوريان)، وكانت الخدمة مستمرة مدى الحياة. كانت القوات العسكرية عام (1800) مجهزة ببنادق وحراب مصنوعة في روسيا، مدفعية طويلة المدى، مدافع هاون إضافة إلى السيوف والدروع التي كانت بيد الخيالة. كان الضباط الروس يتخرجون من مدارس

اعتقد أمير بخارى مظفر الدين (1860 - 1877) م وتحت تشجيع رجال الدين وممارستهم للدفاع عن إمارتهم، أن في استطاعته هزيمة الروس وإيقاف زحفهم في بقية الأراضي الوعرة، فخرج على رأس قوة كبيرة، قوامها خمسة آلاف من الجند النظامي وثلاثون ألف من القرغيز وعشرة آلاف من التركمان ومعه عشرون مدفعاً ليسترد القسم الشمالي من طاشقند من أيدي الغزاة الروس. أما القوة الروسية المقابلة لهم فكانت أربعة آلاف رجل،وهي جزء من خمسة عشر ألف مقاتل كانوا في منطقة تركستان(1).

اشتبك الطرفين في اليوم العشرين من آذار من عام 1866 م عند قرية (برجار) على الشاطئ الأيسر لنهر سيحون، وفيها تمكنت المدفعية الروسية بنيرانها الثقيلة من بعثرة صفوف فرسان الأوزبك وفرار القوة البخارية والأمير إلى منطقة (جيزاك) مخلفين خسائرهم بألف رجل من البخاريين في حين لم تزد خسائر الروس على خمسين قتيل وجريح (2)،ومع ذلك فقد تمكنت قوات بخارية بعد إعادة تنظيم صفوفها من صدّ الهجمات الروسية في منطقة جيزاك مما أضطر الروس إلى طلب الهدنة لسحب قتلاهم وإعادة تنظيم قواتهم(3). وبخطة مدبرة لقوة بخارية ذات عزيمة عالية تمكنت من محاصرة وحدة روسية في سمرقند حتى تمت الإستعانة بالجنرال كوفمان (Kufman) الذي تمكن من اقناع أحد قواد بخارى بمزايا لاحقة، فخضعت الإمارة وأميرها للقوة الروسية عام (1868)م (7)

عسكرية لسد حاجة الجيش. بيبانوف، المصدر السابق،ص 221؛ محمد حسن العيلة،المصدر السابق، ص45.

(1) ارمينيوس فامبري، تاريخ بخارى، ترجمة د. احمد محمود السادات، مراجعة وتقديم د. يحيى الخشاب، القاهرة، 1972،ص 468.

(2) ارمينيوس فامبري، المصدر نفسه، ص468.

(3) دائرة المعارف الاسلامية، ج 9،ص45.

اعتمد الروس على أساليب متطورة في حفر المواضع وإقامة القلاع الدفاعية لمحاصرة الإمارات وذلك للحد من قدرة قوة القبائل التي عملت على شن الغارات على أهداف معزولة، أما بالنسبة لأسلحة الطرفين فالفرق واضح حيث أن أسلحة الجيش الروسي متطورة وهي تفوق ما لدى الآخر [1] ناهيك عن المناورة السياسية التي تميزت بها الخارجية الروسية ووزيرها المتمكن (جورتشاكوف) (Gortchkov) أمام نظيرتها البريطانية [2]. وتجدر الإشارة هنا إلى ان القيادة الروسية قد أوكلت للجنرال (كوفمان) مهمة السيطرة على الإمارات الإسلامية الأربعة، في حين أناطت مهمة إخضاع القبائل التركمانية إلى جنرال آخر هو (لامكين)(Lamken)، ولكل واحد منهم قدرته في المناورة مع القبائل وزعماءها غير أن المهم في النهاية هو إخضاع أواسط آسيا للنفوذ الروسي.

في الجانب السياسي أبدى الساسة البريطانيون مخاوفهم من النوايا الروسية، واقترحوا تحديد مصالح كل منهما في آسيا الوسطى، ووجدوا في نهر (جيحون) أهم عارضة طبيعية جغرافية، فكل الأراضي الكائنة على الضفة اليسرى من حصة روسيا وما يقابلها على الضفة اليمنى (افغانستان) تكون خاضعة للنفوذ البريطاني. [3] في روسيا، ووزير خارجيتها الذي مارس سياسة نشطة بهدف عدم اثارة الدول الأوروبية، فقد عبر الوزير عن العمليات العسكرية ووصفها بأنها ضرورية لضمان أمن الحدود وان القيادة الروسية لا تطمح إلى إحتلال مزيد من الأراضي، وبقيت الخارجية الروسية تمارس إسلوب إلقاء اللوم على قيادتها العسكرية في عملياتها وكانها مبادرة منفردة من (جنرالاتها) كلما وجدت نفسها أمام انتقادات دولية، وهي ليست الحقيقة [4]، استمرت الاتصالات بين الطرفين من عام (1869 -

---

(1) يبيانوف، المصدر السابق، ص221؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص 45.

(2) Boulgar,op.cit,p.166.

(3) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص158.

(4) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص 159.

1873)م، وفي الوقت الذي تنتقد فيه روسيا إدارة الحكم في الإمارات وتصفه بالاقطاعي والبكوات للسيطرة على السوق المحلية والتجارة، تقول أن موظفيها القيصريين متجبرين وقد اساءوا استعمال السلطة وكان همهم الرشوة.(1) وأن الإنتفاضات التي قامت في الإمارات وترأسها أحيانا اقطاعيون ورجال دين كانت تتسم بالرجعية وكانت القوات الروسية تنهيها بقسوة ووحشية (2) .

في إمارة (خيوة) كان الأمر الروسي واضحاً وعلى لسان الجنرال (كوفمان) الذي بعث برسالة إلى الأمير سيد محمد رحيم (1864 -1910) وقد بيّن الهدف من إقامة القواعد العسكرية وطلب منه إما أن يكون مع روسيا أو ضدها وأنهى رسالته بتحذير "أن هناك حدوداً لصبر الإنسان، "وإذا لم أتلق رداً إيجابياً فأني سوف أحضر وآخذه بنفسي" (3) . رفض الأمير الطلب وأعتبره تجبراً واستهانة به وبقوته معتمداً في الوقت نفسه على أمير بخارى الذي وعده بمشاغلة القوة الروسية(4)

في بريطانيا التي تراقب العمليات الروسية عبر وكلائها المنتشرين، وعندما شعرت باستعدادات روسيا أرسلت الكولونيل (شكسبير) إلى إمارة (خيوة) بهدف الوساطة وإزالة شكاوي الروس من إخفاء اسرى ورهائن لهم في الإمارة، غير أن الإهتمام البريطاني ينصب في أن إمارة خيوة باعتبارها المدخل الشمالي لحدودها مع الهند وأن تطور العمليات الروسية قد يؤدي إلى ضرب مصالح بريطانيا.(5)

---

(1) المصدر نفسه، ص159.

(2) المصدر نفسه، ص397

(3) SeYmour Becker,Russias protectrates in central Asia Bukhara and khiua, 1856-1924,Harvard, 1968,p.p69-75

(4)Seymour becker , op. cit, p, 69-75.

(5) نوري السامرائي الصراع بين روسيا وانكلترا في آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي العدد (27) لعام 1986، ص37.

في الرابع من كانون أول 1872تراس القيصر الروسي إجتماعا ضم إلى جانبه الجنرال (كوفمان) طالباً أن تكون خيوة تحت النفوذ الروسي، وصدرت الأوامر إلى حشد القوة الروسية بالقرب من (قزل ارات)(kiziL Arrat) لكي تتجنب الطريق المؤدي إليها مباشرة، وبمناورة مدروسة جيداً بوغتت القوة الخيوية من الخلف[1].

لم تكن تقديرات أمير خيوه ومستشاريه بشأن القوة الروسية صائبة، كما أن خيانة أمير بخارى قد أدت إلى تفاقم الموقف، فأراد الأمير سيد رحيم تدارك الحالة فأطلق سراح واحد وعشرون أسيراً روسيا كبادرة لوقف العمليات غير أن الجنرال الروسي أصر على الاستسلام، فدخلت القوات دون قتال وفر الأمير إلى أراضي القبائل التركمانية، وفي 12 حزيران (1873) أعيد الأمير إلى إمارته ولكن هذه المرة مكبلاً بشروط[2] أقلها قبوله بجميع المطالب الروسية ودفع التعويضات الثقيلة [3]

كان لسقوط خيوه صداه في العاصمة الروسية (سانت بطرس برج). كما روجت له الصحف الصادرة، وأظهرت قدرة قواتها المسلحة في إخضاع الأمراء واحداً بعد الآخر، وعزز هذا الفعل توقيع معاهدة في الثاني عشر من آب (1873)، كان بموجبها خضوع أمير خيوه للقيصر الروسي[4]، في حين ذكرت الصحف البريطانية

---

(1) روبير شنيرب، المصدر السابق، ص 421.

(2) Joseph popowski, the rival powers in central Asia, London, 1963,P. 42.

(3) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص57، كانت المطالب الروسية تتمثل في إطلاق سراح الأسرى الروس، والتوقف عن حماية الجماعات التي تهاجم القوات الروسية.

(4) كان مقدار التعويضات تعجيزيا حيث بلغت (2.200.000) مليون روبل تدفع على شكل أقساط، وعندما بدء دفع القسط الأول تذمر الشعب الخيوي جداً. دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص 12.

أن المعاهدة هي بمثابة إنتصار للسياسة الروسية في المنطقة، [1] . ومن الجدير بذكره أن الهزيمة التي منيت بها بريطانيا في الحرب الافغانية الأولى (1838 - 1842) م كان لها الأثر الكبير في انحسار السياسة البريطانية داخل شبه القارة الهندية، وكان كل ما تفعله هو مراقبة التحرك الروسي في وسط آسيا وتقديم الاحتجاجات أحياناً دون الأفعال. [2].

بعد تمكن روسيا من بسط سيطرتها على أهم الإمارات الإسلامية جاء الدور لمد نفوذها في المنطقة التركمانية التي أصبحت تتوسط المراكز الروسية ما بين إمارة خيوه وبحر قزوين، وذلك لتحقيق هدف الأنتقام من بريطانيا التي حولت إنتصار (سان ستيفانو) [3] إلى هزيمة، وحماية قوافلها التجارية من السلب وأسر بعض الأفراد، كما أن للتركمان إمكانية على تجهيز قوة كبيرة تصل إلى ثمانين ألف فارس يمكن أستغلالها من قبل روسيا [4]

كلفت القيادة الروسية الجنرال (لامكين) لبسط النفوذ على القبائل التركمانية، وكان يعتقد بعد أن درس خصائص تلك المجتمعات البدائية أن سياسة

---

(1) إستقبل الجنرال (كوفمان) استقبالاً كبيراً من قبل القيصر الروسي ومنحه النياشين ومن معه في الحملة في حين رفضها الشعب، وكان الأمير مجبراً على توقيع المعاهدة حيث أعدم مائة من المتعاونين مع الروس. محمد حسن العيله، المصدر السابق ص58.

(2) محمد حسن العيله، المصدر السابق ص60

(3) معاهدة سان ستيفانو في عام (1878)م جاءت في أعقاب الحرب التركية الروسية، وتمكن الروس من الوصول إلى القسطنطينية. عقدت معاهدة بينهما في 3 آذار (1878)م سميت (دي ستيفانو) استولى الروس على ولاية قارس وأردهان وارضروم، وبموجب هذه المعاهدة أضيفت أراضي جديدة لتصبح بموجبها دولة بلغاريا الكبرى، وأن الروس سيمدون من نفوذهم إلى قلب الدولة العثمانية، كما أن سيطرة روسيا على الولايات العثمانية الثلاث سيمكن الجيش الروسي من تهديد شمال العراق والخليج وبالتالي الهند. محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص85.

(4) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص71.

المهادنة والدعاية وصرف الأموال لشراء الذمم يمكن أن يؤدي إلى نتيجة، فأرسل دعاة كثر بغية إفهام القبائل المغزى الروسي من التدخل، وحثهم على ترك حياة التنقل والترحال التي اعتادوا عليها والعودة إلى حياة الأستقرار بتجمعات سكانية وما يمكن أن تجنيه من نشر الحضارة والعمران والتعليم على غرار ما يعيشه السكان الروس (1).

استمرت القيادة الروسية في نهجها الودي من عام 1874 حتى عام 1877م، ولغرض معرفة اتجاهات تفكير قبائل (التكي) فقط طلب الجنرال (لامكين) الاجتماع بهم في شهر حزيران 1874، وبين لهم طبيعة العمليات العسكرية الروسية في بخارى وخيوه وضرورة حماية القوافل التجارية التي تسير عبر أراضيهم، وفي نهاية الإجتماع وعدوه وعبروا له عن حسن نيتهم، غير أن زعماءهم كانوا يضمّرون كسب الوقت لمواجهة القوة الروسية وكذلك حاجتهم لمواجهة قبائل الأكراد والايرانين (2)

تحرشت إحدى قبائل التركمان في شهر آب 1874م بمجموعة استطلاع روسية ورفضوا الإذعان للجنرال (لامكين)، فقرر بعد ذلك التحول إلى استخدام القوة العسكرية لإنها السبيل لإركاعهم، وفي ربيع عام (1877) تمكنت قوة من الفرسان من مهاجمة منطقة (قزل أرات) وأكثرهم من قبيلة (التكي)، وكانت نسبة الخسائر باهظة لدى الطرفين في بداية المعركة، ثم ما لبث وأن تحول الموقف لصالح الروس بعد أن غيروا طريقة هجومهم، عندها أعطى القائد الروسي مهلة

---

(1) أرسل الجنرال (لامكين) أعداد من القبائل إلى مدينة (كراسنوفودسك) الروسية ليشاهدو على الطبيعة حياة الروس المتطورة الهادئه وكيف يعود موظفيهم من المصانع، فانبهر الضيوف بما شاهدوه، وفي سنة (1874) م جاءه سبعون زعيما تركمانيا ليعلنوا استعدادهم للعمل وفق السياسة الروسية.محمد حسن العيله، المصدر السابق ، ص 73.

(2) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص75.

عشرة أيام لأهالي المدينة بالرحيل أو إطاعة أوامر القوة العسكرية، فرحلت أعداد كبيرة منهم إلى مناطق أخرى. (1)

أما الهدف الثاني الذي تابعته القوات الروسية في حملتها فكان منطقة (التل الأزرق) الذي يبعد حوالي (246)كم من منطقة بحر قزوين، وفيه لجأت أعداد كبيرة من العوائل التركمانية بعد معركة قزل أرات. (2)

حدثت الحرب الروسية العثمانية في عام 1877م، وانشغلت القيادة الروسية في تهدئة عدوتها بريطانيا التي غذت الحرب، فصرفت النظر عن إرسال قوة لحين تحسن الموقف (3)،وبعد ثلاث سنوات عينت القيادة الروسية الجنرال (سكوبيجت) (Skobegett) قائدا على أقليم قزوين، وكلفته بإخضاع قبائل (التكي) في التل الأزرق (4).

كانت استحضارات الجنرال الروسي تتمثل في الذهاب بنفسه على رأس قوة صغيرة لاستطلاع منطقة التل الأزرق والمناطق المجاورة له؛ بغية وضع الخطة المناسبة وتجنب الخسائر كما حدث سابقاً، وفي الوقت نفسه بث الشكوك بين قبيلة (تكي مرو) وبقية أفراد قبيلة (التكي) بغية الحصول على وكلاء يمكن أن يزودوه بآخر المعلومات عن تواجدهم في منطقة التل الأزرق. (5)

كانت عناصر الخطة العسكرية تتلخص باحتلال قلعة (جانجي) جنوب الهدف المقصود وإسناد المشاه الروس بالمدفعية (6)، إضافة إلى استمرار المدفعية في مشاغلة

---

(1) المصدر نفسه، ص76

(2) نجيب عبد الفتاح، أسس التعبية الأرضية السوفييتية، المجلة العسكرية، عدد خاص، وزارة الدفاع العراقية، مديرية التدريب العسكري، 2001، ص 119 (ترجمة).

(3) نجيب عبد الفتاح، المصدر السابق، ص120.

(4) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص78.

(5) نجيب عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 79.

(6) المصدر نفسه، ص 79.

المقاتلين من قبيلة (التكي) بغية بعثرة جنودهم . أما الهندسة العسكرية الروسية فقد كلفت بعملية زرع ألغام في الجزء الشرقي من حصن التل والذي يتجمع فيه الثقل الرئيسي للمقاتلين، وحينما بدأت القوات الروسية بالزحف تحت غطاء المدفعية الكثيف اندفعت جموع كبيرة من قبيلة (التكي) إلى الجزء الشرقي مما أدى إلى إنفجار الألغام التي نشرت الذعر بين صفوف من بقوا للدفاع وفرّ الباقون إلى مرو. (1)

أبدت بريطانيا امتعاضها الشديد من التصرف الروسي، حيث استفسرت الحكومة البريطانية "إلى متى ينتهي دور روسيا الحضاري في وسط آسيا؟ "، وإن النشاط الروسي في المنطقة التركمانية سوف يؤدي إلى تعقيدات ضد مصالح كل من روسيا وبريطانيا (2). أما الروس فقد بين وزير الخارجية أن روسيا ليس لها أهداف في الأراضي التركمانية ولا تريد إيذاء شعبها وأن كل ما جرى ليس أكثر من الدفاع عن النفس (3) .

في إيران أظهرت الحكومة تعاطفها مع قبائل التركمان، وبينت أن التدخل الروسي لا يستند إلى قانون، وبنفس الوقت ولكي لا تُغضِب القيصر فانها حثت القبائل التركمانية على عدم اعتراض القوافل التجارية في أراضيها (4) .

في إمارة (مرو) التي رسمها القيصر الروسي لقواته بغية السيطرة عليها ففيهما إمتيازان؛ الأول إقتصادي والآخر عسكري (5)، والثاني يعني احتفاظ الروس بالطريق الذي يبدأ من بحر قزوين – أسفل مرتفعات خراسان – استرآباد – ابياورد–

---

(1) قدرت عدد العوائل النازحة بحدود (4) آلاف عائلة. المصدر نفسه، ص79.

(2) Martin Ewans, a short history of its people and politics, U.S.A, 2002 P.82.

(3) Ibid, p. 82.

(4) Ibid, p.83.

(5) تتمتع مرو بأهمية تجارية، تبلغ مساحتها حوالي (3267) ميل مربع منها (2700) ميل مربع صالحة للزراعة، وعلى هذا الاساس فإن نسبة عالية من سكانها يشتغلون بالزراعة، كما أن الإمارة فيها من السدود والقنوات، ويأتي القمح إنتاجها الأول ثم القطن وتربية دودة القز.محمد حسن العيله، المصدر السابق ص86

مرو، وبالرغم من الوعود التي أطلقها زعماء قبيلة التركمان إلا أن عملية ضبط عناصرها المنتشرة في منطقة جبلية وعرة كان صعباً، مما أدى إلى قيام قوة من قبيلة التركمان في كانون أول 1873م في مهاجمه أحد القوافل التجارية الروسية المتجهة من بخارى إلى خيوه، فما كان من القائد الروسي إلاّ أن توعدَ تركمان مرو [1] بالعواقب الوخيمة بالرغم من المعلومات التي وصلته من أن الفاعلين الحقيقيين هم ليسوا من أهالي مرو [2].

في آذار 1879م كان الجنرال (لامكين) والجنرال (لازاريف) على رأس قوة روسية لإخضاع الإمارة، وعندما وصلت المعلومات إلى الأمير (نور وردي خان) حاول جهده في بناء جبهة وطنية من مختلف القبائل للدفاع ضد الغزو الروسي، إضافة إلى إقامة حلف إسلامي من أيران وأفغانستان التي وعدته بالمعاونة (بالأموال والعتاد) دون الرجال بعد أن بين أميرها خطورة الموقف الروسي وأحتمال الغزو [3]. ومع كل الاستعدادات التي أقدم عليها أمير (مرو)، إلا أن الآخرين قد خذلوه فاستسلم دون قتال [4]. ومرة أخرى تذرعت روسيا أنها لا تنوي البقاء في المنطقة، وأن العمل الذي قامت به كان لأغراض انسانية ومنع عمليات السلب والنهب التي ازدادت قرب منطقة بحر قزوين [5].

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تخوض غمار تجربة قتالية ثانية في أفغانستان عام 1879 م، كان الروس يزحفون جنوبا لتكون الإمارة الاسلامية الرابعة تحت هيمنتها، وهذه المرة بحجة إيجاد مراكز متقدمة لنفسها لصد التوسع البريطاني، فأستولت على إمارة مرو بعد مرور ثلاث سنوات عام (1883) م. إما بريطانيا

---

(1) تتألف قبائل تركمان مرو من ثلاث، أهمها قبيلة (التكي) وهي القوية، وقبيلة (سالور) وهي الحاكمة في مرو، والثالثة هي (الساريك) التي تتمركز قرب الحدود الافغانية.

(2) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص86.

(3) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص87.

(4) المصدر نفسه، ص88.

(5) Martin Ewans, Op.cit, p.83.

المستاءة، فقد ظلت تعالج الموقف الروسي بالمذكرات السياسية،فهي تخشى من بدء عمليات جديدة في ولاية هيرات القريبة من الهند، كما أن ما جرى للقبائل التركمانية قد يدفعها إلى النزوح المتزايد إلى الأرض الأفغانية، وتجد روسيا الحجة في مهاجمتهم تحت ذريعة شن الغارات على قوافلها من داخل الأرض الأفغانية وبالتالي تصبح مسألة الدولة الحاجزة مجرد كلام كتبته السياسة البريطانية [1].

(1) المصدر نفسه، ص98.

المبحث الثاني

الحروب البريطانية الأفغانية في القرن التاسع عشر

في بداية القرن التاسع عشر أظهرت روسيا إهتماماً متزايداً بإمارات وسط آسيا بغية تحقيق مكاسب، منها ما هو اقتصادي بوجود خامات أولية معدنية تحتاجها الصناعة الروسية، ووجود أسواق فيما بعد لتصريف منتجاتها .أما على الجانب الآخر فأن القياصرة الروس منذ بطرس الأكبر(1682 -1725) كانوا يخططون للوصول إلى المياه الدافئة عن طريق أفغانستان إلى المحيط الهندي [1] .

الهند هي أكبر المستعمرات البريطانية ظلت محط إهتمام الساسة البريطانيين حتى منتصف القرن العشرين، فخططت أن تكون الهند بمثابة سوق واسع ومصدر للمواد الأولية بدلا أن تكون منتجه للبضائع الإستهلاكية فهي درة التاج البريطاني، ولهذا بات لزاما على بريطانيا أن تضع مستعمرتها في حصن أمين من النفوذ الروسي [2] .

---

(1) محمد عدنان مراد ، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، جذوره التاريخية وأبعاده، مراجعة شهيرة مراد ، دمشق، 1984 ، ص340.

(2) في الهند تشير التقارير الدولية إلى أن مقدار الأحتياطي من خامات الحديد يصل إلى (22.000) مليون طن، (2.500) مليون طن من فحم الكوك، المعادن اللافلزية(المغنيز) تعتبر الهند ثالث دولة في العالم من حيث كمية الإنتاج ويقدر ب (98) مليون طن، النيكل (78) مليون طن، والفوسفات حوالي 78 مليون طن، اضافة إلى كميات من النفط يكفي حاجتها المحلية. وفيق حسني الخشاب وآخرون، الجنوب الأوسط للقارة الاسيوية دراسة في التركيب السياسي والاجتماعي والاقتصادي ضمن الإطار الإقليمي، بغداد ، 1980ص41.

بدأت بريطانيا تنظر بعين الشك والريبة عندما تجاوز الروس بقوتهم العسكرية ايران التي بات جيشها عاجزا عن مقاومة الغزو الروسي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وتنازلت ايران عن مقاطعتي (روان) (ونخشيان) في شمالها وشمالها الشرقي وإجبارها على توقيع معاهدتي (جوليستان)(1813)م وتركمنجاي (1828)م [1].

أما بالنسبة للإمارة الأفغانية التي أقامها الأمير دوست محمد (1836 - 1863) [2] فقد اربكتها فتن الوراثة وطموحات الاخوة للإستيلاء على الإمارة، وهذا ما جعل حالة الاستقرار شبه مستحيلة، كما ان آثار معركة (نوجرواف)[3] والتي أدت إلى هزيمة الأفغان قد أثارت هي الأخرى حفيظة بريطانيا التي وضعت استراتيجية بأن تجعل إمارة الأفغان كحاجز امام التوسع الروسي، فدب الخلاف بين مسؤولي حكومة الهند البريطانية في سياستهم تجاه صيانة المصالح في الهند، فكان فريق منهم يجد أن حماية المصالح إنما تكمن في وجود قوة عسكرية على الأرض الأفغانية وتقويتها، في حين يجد الطرف الاخر أن القوة البريطانية يمكن أن تبقى داخل حدود الهند ومراقبة الأوضاع عبر الحدود، [4] وكانت الأرجحية لأصحاب الرأي الأول فنشبت أولى الحروب ضد الأفغان وهي المعروفة بالحرب البريطانية – الافغانية الأولى (1838 -1842م)

تمكن الحاكم الفارسي (محمد شاه)من قيادة قوة عسكرية في شهر تشرين الثاني (1837)م للسيطرة على مدينة (هيرات)الأفغانية والتي اعتبرها البريطانيون

---

(1) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص227.

(2) ارمينيوس فامبري، المصدرالسابق، ص439؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص29.

(3) تمكن (ارنجيت سنغ) أسد البنجاب من هزيمة الأفغان وتوسيع حدود إمارته حتى مدينة بيشاور (حاليا مدينة باكستانية).

(4) Stephen Tanner , Afghanistan , a military history from Alexander the great to fall of Taliban , New York , 2002,p.135; the new Encyclopedia Britannica , printed in U.S.A , 1979 , V.I,P. 175.

المفتاح الرئيسي لأهم مستعمراتها في ذلك الوقت الهند كان طموح الحاكم الفارسي أن يكسب رضا روسيا ومعاونتها خلال سير عملياتها العسكرية ضد أي تدخل خارجي[1]، وكانت ترى في ذلك جهداً عسكرياً ذا قيمة لبعثرة جهود بريطانيا وتوريطها بعمل عسكري لإضعافها في مواجهة تطور قدراتها في إمارات وسط آسيا الأسلامية[2].

شعرت بريطانيا بالامتعاض الشديد من جراء الهجوم الفارسي فأقدمت على إرسال مجموعة استطلاع بقيادة (الدرد بوتنكر) (**Eldred pottinger**) إلى شرق الهند تحت غطاء زيارة تفقدية لوحدة عسكرية ومعرفة تطور الموقف على الأرض[3]، في الجانب السياسي وجدت بريطانيا نفسها أنها بحاجة إلى تقوية روابطها مع أمير (هيرات) (وكابل) (وقندهار) وإقناع الفرس أن عملهم إنما يخدم التوجه الروسي بالدرجة الأساس، وفي الوقت نفسه أرسلت بريطانيا وفد برئاسة (الكسندر بيرنز) (**Alexander Burnes**) الحاكم العام للهند بدأها بمدينة (كابل) للتفاوض مع أميرها (دوست محمد)[4] حيث كان الأمير يتوقع من زائره الذي أستقبله بترحاب

---

(1) **Ibid , p. 175.**- تالفت قوتها العسكرية من **30.000** الف مقاتل

2) **Stephen Tanner , op. Cit, p. 135; the new Encoy-clopaedia,op.cit,p.175.**

(3) **Stephen tanner ,Op.cit., p.135.**

كان عمر الضابط المكلف بالواجب (**26**) عاما.

(**4**) دوست محمد (**1836** -**1863**)م تمكن من مدّ حدود بلاده إلى الشمال على حساب إمارة (بخاري)، وكان الروس يعتبرونه إمتدادا للنفوذ البريطاني خاصة بعد عام (**1855**) م بسبب الأزمة الأيرانية الأفغانية حول (هيرات)، بقي (دوست محمد) أسيراً في الهند إبان الحرب الأفغانية البريطانية الأولى، وظل أسيراً من تشرين أول (**1840** - حتى كانون الثاني **1843**م).محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص**47** ؛ **stephen tanner ,op.cit., p. 133**

أن يطمأنه بشأن استعادة مدينة (بيشاور) إلا أنه لم يسمع من بيرنز تأكيداً على طلباته[1].

وفي الوقت الذي كانت المفاوضات جارية بين الطرفين وصل المبعوث الروسي الملازم الأول (فيكافيج) (Vit kievitch) إلى إمارة (كابل) واستقبل من قبل (دوست محمد)[2]. فثارت حفيظة الوفد البريطاني الذي قطع المفاوضات وعاد إلى الهند . فأصدر اللورد (أوكلاند) أوامره لغزو أفغانستان تحت غطاء إعادة شاه شجاع (Shah shaja) المخلوع والموالي للبريطانيين إلى إمارة قندهار[3].

كانت حدود الإمارة التي يسيطر عليها (دوست محمد) ممتدة من مرتفعات (كوهستان) من الشمال وولاية (غزنه) في الجنوب، في حين أن مدن قندهار، فرح، هيرات، والأراضي شمال جبال (هندكوش) كانت خارج سيطرة الأمير.

القوات البريطانية الغازية

كانت القوات المكلفة بعملية غزو أفغانستان معظمها مجموعة من المقاطعة الإدارية الثالثة في الهند (مدراس)[4]. فقدمت ولاية (بومباي) خمسة آلاف وستمائة مقاتل، مؤلفة من كتائب المشاة الرابعة، والسابعة عشر وسرية المعلومات التاسعة عشر (قيادتها من قبل ضباط بريطانيين)، أما ولاية البنغال فقد قدمت تسعة آلاف

---

(1)The new Encoy cloopaedia , op, cit , p. 175 ؛ يوسف الجهماني، تورا بورا أول حروب القرن، المؤامرة الأمريكية الصهيونية الكبرى، دمشق، 2002، ص38.

(2) Stephen tanner , op.cit, p. 136 يشير (ستيفن) إلى أن تقرير المبعوث الروسي الذي وصل إلى وزارة الخارجية الروسية لم يحمل معه أي نتائج مشجعه، وأن المبعوث نفسه انتحر بمسدسه.

(3) ان (Shah shja) تعني (الملك الشجاع) وقد أبقيناها كما كتبت في دائرة المعارف البريطانية.The new Encoy cloopaedia , op, cit , p. 175.

(4) أهم ولاياتها حسب التقسيم البريطاني، ولاية البنغال، ولاية بومبي

وستمائة مقاتل مؤلفة من كتائب المشاة الثالثة عشر (بريطانية) والثالثة والأربعون، وكتيبة الخيالة الثانية . كما هيأت القيادة البريطانية قوة من المرتزقة قوامها ستة آلاف مقاتل تحت إمرة (شاه شجاع) [1].

في الجانب الإداري، هيأت القيادة البريطانية (ثمانية وثلاثون) ألف من الهنود (وثلاثون) ألف بعير لحمل مواد الإدامة للقوات (الماء، الأرزاق، العتاد) ووضعت كل هذه القوات تحت قيادة الجنرال البريطاني (جون كين) (John Keane) [2] .

كان الجنرال البريطاني وبموجب المعلومات التي استقاها من استطلاعات الضباط البريطانيين المتكررة لمناطق الحدود، أن أفضل المحاور لغزو جارتها الغربية يكون عن طريق جنوب مقاطعة السند [3] . وحُشِدت القوات المكلفة بالغزو (البريطانية والهندية) في ولاية (كويتا) [4]، واستمر قادة الكتائب في الاستطلاع وتثبيت المعلومات بإتجاه ولاية (قندهار) وممر (كوجك) [5] .

تقدمت القوات الغازية بإتجاه إمارة (قندهار) في الخامس والعشرين من شهر نيسان من عام (1839)م، وخلال تقدمها واجهت عدة عمليات خاصة نتج عنها إصابات بين جنودها ، ومع ذلك فقد تمكنت من دخول (قندهار) وأُعيد تتويج (شاه شجاع) في الجامع القريب من ضريح أحمد شاه [6] .

لم يكن استقبال الأفغان في (قندهار) (لشاه شجاع) وتنصيبه من قبل الأجنبي ذا أثر طيب في نفوس الناس؛ حيث عرفوا دوره ومرتزقته، فقرر القائد البريطاني في

---

(1) (The new Encoyclopaedia , op, cit,p. 175.

(2) (Stephen tanner , op. cit , p. 136; Martin Ewans , OP. cit, P.63.

(3) Stephen tanner , op. cit , p. 137.

(4) Stephen tanner, op.cit, p.133 (كويتا) ولاية باكستانية في الوقت الحاضر .

(5)Martin Ewans, Op.cit. P. 64

(6) The new Encyclopaedia , op, cit , p. 175.

شهر حزيران ترك فرقة مشاه في حامية المدينة معززة بأربعة مدافع من عيار ثمانية عشر (انج) قبل التوجه شمالاً إلى كابل التي تبعد بحدود (535) كم [1].

كانت غاية القائد البريطاني إخضاع ولاية (غزنه) بأسبقية لما فيها من قلاع محصنة [2] على سفوح الجبال، فخصص لها مدافع من عيار ستة (انج)، وتسعة (انج) بغية إحداث أكبر ما يمكن من الخراب فيها وبث الرعب في سكانها وإجبارها على الاستسلام دون الاعتماد كلياً على المشاة (حاملي البنادق) [3]. وفي الوقت الذي كان الجنرال البريطاني (كين) يعيد النظر في خطته لاقتحام المدينة في الحادي والعشرين من شهر تموز قامت عدة مجموعات من الفرسان الأفغان من الإغارة على معسكر (شاه شجاع) وتكبيدهم خسائر مؤثرة، إلا أن الخيالة والمدفعية البريطانية تمكنت من مشاغلتهم وإجبارهم على التبعثر، ومن ثم القبض على خمسين فارساً، جرى تسليمهم فيما بعد إلى (شاه شجاع) [4] .

حددت القيادة البريطانية احتلال مدينة كابل قبيل الفجر من يوم الثالث والعشرين من شهر تموز 1839م وكانت الخطة العامة مؤلفة من صفحتين الأولى، تفجير أحد أبواب المدينة المسمى بوابة كابل بـ (مائة) باوند من المتفجرات، وفي نفس الوقت تقوم المدفعية بقصف مواضع المدافعين . أما الصفحة الأخرى فتقوم بها سرايا

---

(1) Stephen tanner , op, cit, p. 140.

(2) كانت ولاية (غزنه) محاطة بأبراج يصل ارتفاعها إلى (150) قدم وجدران سميكة تحيط بها تصل إلى (60)قدم. وفي داخلها بحدود ثلاثة آلاف مقاتل تحت قيادة أحد أبناء (دوست محمد).

(3) كانت البنادق البريطانية تصيب بصورة مؤثرة على مسافة (150) ياردة في حين كان لدى الأفغان بنادق يصل مداها إلى (500) ياردة غير أن عيبها يكمن في بطء عملية الإملاء والإطلاق.

(4) Stephen tanner , op. cit, p. 141

اعتبر الخمسون أفغانيا أسرى، وفي أثناء قيام (شاه شجاع) باعتباره (الأمير الجديد) بتفتيشهم، قام أحد الأسرى بطعن أحد مرافقي الأمير، فقرر الأمير تنفيذ حكم الإعدام بهم.

من كتائب المشاة الثانية والثالثة عشر والسابعة عشر تحت قيادة العقيد (وليم دني) (William Dennie) من التسلل إلى داخل الأسوار ومقاتلة القوة الأفغانية [1].

كانت حصيلة معركة ولاية (غزنه) كما ذكرها الكاتب العسكري الأمريكي (ستيفن تنر) أن القوات البريطانية فقدت سبعة عشر قتيلاً ومائة وخمسة وستون جريحاً، في حين فقد الأفغان أكثر من خمسمائة قتيل [2].

في كابل العاصمة وصلت معلومات إلى أذهان الأمير (دوست محمد) لما جرى في غزنة والطريقة السريعة التي اتبعتها القوات البريطانية في دخول المدينة – بالرغم من نصيحة شاه شجاع بتخطيها – فقرر الأمير إرسال خمسة آلاف من الخيالة الأفغان لإعاقة تقدم القوات البريطانية، غير أن أعمال المقاومة لم يظهر لها ذلك التأثير كما أراد لها الأمير، فأزدادت مخاوفه من عدم قدرته على الصمود بوجه القوات الزاحفه إلى كابل [3].

تمكنت القوات البريطانية والهندية من الوصول إلى العاصمة كابل في اليوم السابع من شهر آب بعد مشاغلتها بالمدفعية لساعات متتالية، ولم يكد يمضي يوم واحد على القتال الفعلي حتى دخل (شاه شجاع) وقوته إلى المدينة دون صعوبة، إلا أن أحداً لم يشاهد الأمير [4].

في روسيا لم يستقبل القياصرة الروس أخبار النجاحات التي حققتها القوات البريطانية والهندية في العاصمة كابل بأرتياح كما استقبلتها الهند ولندن، فقد كان الروس يتربصون منذ زمن بعيد لمد نفوذهم جنوباً، فجاءت الفرصة المواتية

---

(1) Stephen tanner , op. cit, p.141.
(2) I bid , p. 142.
(3)The new Encoyclopaedia , op, cit,p. 175.
(4) Stephen tanner , op. cit, p. 142;Martin Ewans, op.cit.p.65.
كان في المدينة بحدود 65.000 ألف من السكان.

للدولة الروسية لأن ترسل مبعوثين إلى طريق الحرير القديم الذي يربط إمارات آسيا الوسطى بغية معرفة أحوال القبائل وقوتها[1].

في العاصمة كابل، ولغرض تقييم الموقف العسكري من قبل القائد البريطاني (كين) وهيئة ركنه، فقد أظهرت طبيعة المعارك الثلاث السابقة إلى عدم الحاجة لذلك الحجم الكبير من القوات، مما دعاه إلى إعادة قوة بحجم لواء مشاة إلى الهند في شهر كانون أول 1839[2].

كانت أحداث النصف الأول من عام (1840) م كما خطط لها قادة الجيش البريطاني، إلا أن أحداث النصف الثاني من السنة المذكورة قد أيقظتهم على تطور المواقف العسكرية لدى الأفغان وأن ضعف الأداء السابق ليس مرده قله الشجاعة، فخصائص الشعب الأفغاني تتمثل بعدم قبولهم وتحملهم للأجنبي، وأنهم لا يقبلون ملكاً مفروضاً عليهم من قبل سلطة أجنبية، والأكثر من ذلك أنهم لا يثقون بوعود الأجنبي[3].

بدأت السنة الثانية من الحرب على ضوء التقييم الذي وظفه الجنرال (كين)[4] لقيادته، واصفاً لهم ما جرى في المعارك السابقة بأنها ليست أكثر من نزهة جبلية، مما دعى زوجات عدد كبير من الضباط إلى الألتحاق بأزواجهن في العاصمة كابل، وما تبع ذلك من إقامة الحفلات الراقصة وشرب الخمور التي يعتبرها الأفغاني منافية لتقاليد دين الإسلام[5].

إلى الشمال من العاصمة كابل، وفي شهر مايس عام (1840)م قام أمير بخارى نصر الله بهادرخان بتحدي واضح للبريطانيين عندما أمر أميرها بأعتقال العقيد

---

(1) I bid , p. 143.
(2) I bid , p. 143.
(3) يوسف الجماني، المصدر السابق. ص38.
(4) حل الجنرال (وللكها بي كوتن) (Willkhbi Kotn) بدلاً من الجنرال (جون كين) كقائد للقوات البريطانية والهندية في بداية عام (1840)م.
(5)Stephen tanner ,op. cit, p. 145 I bid , p. 145

البريطاني (جارلس ستودارت) (Sharles stoddart) في زنزانة انفرادية لا يسمح بزيارته تحت ذريعة عدم احترامه للأمير [1]. أما الخبر المدهش الذي وصل إلى أذهان القيادة البريطانية، كان ظهور الأمير الأفغاني (دوست محمد) شمال جبال هندوكوش ومعه آلاف الفرسان من قبائل الأوزبك بعد نجاح هروبه من سجن أمير بخارى "نصر الله" [2]

أدرك الجانب البريطاني خطورة الموقف المتزايد عندما قامت مجموعات من الخيالة الأفغان في السابع عشر من أيلول بالاستيلاء على إحدى القرى الموالية للبريطانيين وعزلها، وعلى الفور تحركت قوة قوامها (800) ثمانمائة مقاتل من ولاية (باميان) تحت قيادة العقيد(وليم دني) لإفشال جهود الأمير .اشتبك الطرفين في معركة غير متكافئة، كان للخيالة والمدفعية البريطانية الدور الكبير في افشال الهجوم الأفغاني، وهروب الأمير مع قوته الباقية التي لا تتجاوز المائتين مقاتل كما روى العقيد البريطاني. [3]

---

(1) الأمير نصر الله بهادر خان (1826 – 1860)م جاء بعد والده الأمير سعيد وخلفه على إمارة (بخارى)، تميز هذا الأمير بالمكر والكبرياء والغرور والتعصب والظلم على مدى (34) عاما. دبر قتل أخيه دون أدنى وازع من ضمير.

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص38.

(3) Stephen tanner ,op. cit, p. 148.

في السنوات الأولى من حكمه تظاهر بأن أعظم أهدافه هي إعلاء كلمة (الإسلام) علوا كبيرا والتفاني في إسعاد شعبه، وفي هذه الفترة زار(الكسندر بيرنز) بخارى، وقد دون في كتابه قصة السفر والإقامة في مدينة كابل الصادر في لندن عام 1841 " أن مظالم نصر الله كانت بالغة الجرأة، كثيرة العدد فكنت أهنأ نفسي بخروجي من بلاده سالماً" آرمنيوس فامبري، المصدر السابق، ص 427.

= كان تعداد جيش نصر الله بهادر خان مؤلف من ثلاثون ألف من الفرسان وألفاً من المليشيا ،هاجم فيهم إمارة خوقند وأميرها المسلم (محمد علي) الذي اضطر إلى الفرار مبرراً فعلته على الملأ أن(محمد علي)كان على علاقة بأمه.أما أمير كابل (دوست محمد) الذي هرب إلى بخارى بعد أول حرب مع الغزاة البريطانيين، فقد القي القبض عليه ووضع في السجن، معتبراً ذلك هو حكم الشرع. ارمينوس فامبري، المصدر السابق، ص446.

شن الأمير (دوست محمد)ومجموعته من الفرسان هجوما ناجحا في الثاني من شـهر تشـرين الثـاني في مكـان يعـرف بـ وادي (باروانـدره) (Parwandarah) وتمكنت القوة من قتل ثلاثة ضباط بريطانيين وجرح أثنين وعدد من الخيالة [1]. غير أن الغريب في هذا الموضوع وكما ذكر (منكتن)أنه في اليوم الثاني شاهد عدد من الأفغان يتقدمهم مقاتل طلب الحديث، وتبين فيما بعد بأنه (دوست محمد) الذي طلب الاستسلام فأرسل إلى الهند هو وعدد من أفراد عائلته [2]

أرسلت بريطانيا بعثتها برئاسة القيصر(جارلس ستودارت) إلى الإمارات الإسلامية بغية تحديد المخاطر من جراء التوسع الروسي، فما أن وصل بخارى حتى وضعه الأمير في زنزانة، ثم أرسلت النقيب(آرثركونللي)(Arthur Conolly) إلى بخارى في أيلول (1840)م وفعل نصر الله ما فعله مع سلفه. وعندما علم بما حلّ بالبريطانيين في نهاية عام (1842)م فكر أن لا شي يخيفه فـأمر بإعـدام الأسـيرين في (17) حزيـران (1842)م رغـم تـدخل روسـيا، السـلطان العثماني،شريف مكة،شاه فارس،وأمراء الإمارات الإسلامية فخلفه ابنه مظفر الدين بعد وفاته عام (1860)م آرمينوس فامبري، المصدر السابق، ص452

(1) Stephen tanner,op-cit,p.149

ذكر (منكتن) أن (دوست محمد) كان على رأس القوة في المعركة، فصاح باسم الله وباسم النبي محمد (ص) أسحقوا الكفار من بلد العقيدة

(2) I bid, p. 149 .38يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص.

الهجوم المقابل الأفغاني

تحركت كتيبة المشاة الخامسة والثلاثين (من مجندي الهند) في التاسع من شهر تشرين الأول (1841)م تحت إمرة العقيد (توماس مونليث)(Tomas monleath) إلى الممرات الكائنة بين العاصمة كابل وجلال آباد.. وهي كمقدمة لتأسيس معسكر مؤقت. (1)

بين القائد البريطاني (منكتن) في خطته لتأمين الممرات أن يتم مسك أو السيطرة على الأراضي المرتفعة والمشرفة كل (ممر) لضمان مرور مواد الادامه دون تدخل الخيالة الأفغان، فصدر الأمر لانفتاح كتيبة المشاة البريطانية الثالثة عشر وكتيبة المشاة الخامسة والثلاثين في معسكراتهم الوقتية على جانبي جرف عال. في الجانب الآخر كانت عيون رجال القبائل الأفغان على مقربة من فعاليات القوة الغازية تراقب ما يجري من الصباح وحتى حلول وقت الظلام، وما أن شعر الأفغان أن جميع أفراد الكتائب باستثناء الخفراء قد ذهبوا إلى مخادعهم حتى أغاروا على المعسكر مما أدى إلى قتل عدد من الضباط وعدد من الجنود (2) وكرد فعل لما حصل قرب الممرات، فقد صدر الأمر إلى حركة قطعات إضافية من قرية (زورمات)(Zormat) إلى قرية (تيزين) (Tezeen)، وتبين أن القوة هي لواء المشاة الذي استنزفته الغارات الأفغانية أثناء عملية التنقل وعبوره ممر (كرد كابل). (3) وفي هذه الفترة الحرجة،

---

(1) Stephen tanner, op.cit,p.150.

(2) I bid, p. 158.

هناك ثلاث ممرات مهمة بين العاصمة كابل ومدينة جلال آباد، ممر كرد كابل، ممر هفت كتول، وممر جادلوك.

(3) بموجب التنظيم الذي عملت به القوات البريطانية في القرن التاسع عشر، كان لواء المشاة مؤلف من ثلاثة كتائب مشاة أو أكثر، ويصل تعداد لواء المشاة إلى (2500) مقاتل وكل كتيبة بحدود (650 -700) مقاتل

روبيرشنيرب، المصدر السابق، ص419؛ I bid , p. 158

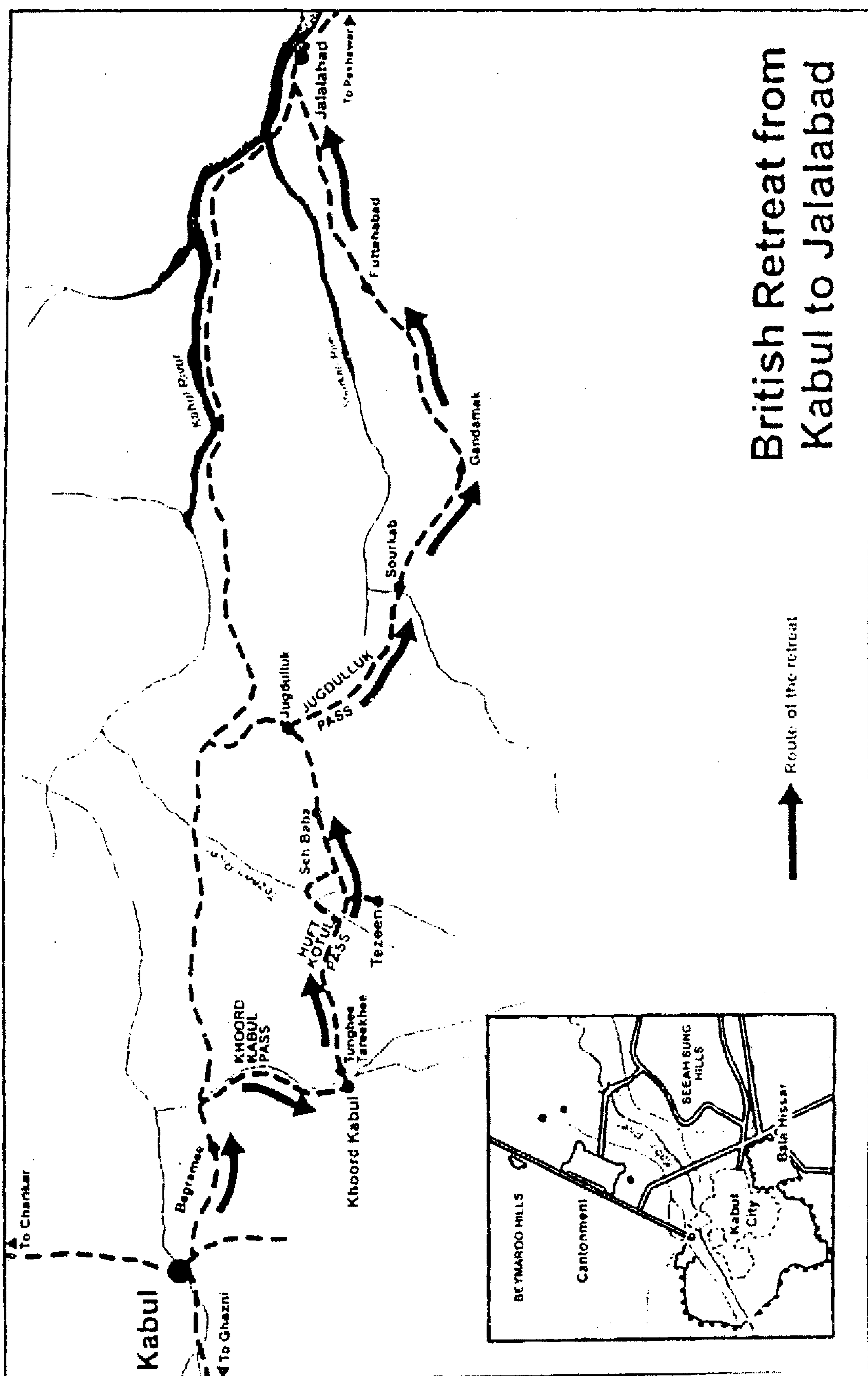
طلب الضابط السياسي البريطاني جي .اج.ماك (كريكور) (GH.Mac.Gregor) مقابلة شيخ القبيلة الذي بين مطلبه بإعادة الإعانة المالية كما كانت سابقا، [1] غير أن هذا الأمر لم يغير شيئا؛ فقد شنت القبائل هجوماً كبيراً على لواء المشاة (سالي) من طريق آخر وهو في بداية عبوره لمضيق (هفت كتول) وتكبيده مائة وعشرون قتيلا منذ تراجعه من مدينة كابل [2]. انظر الخريطة رقم (1).

---

(1) وافق النقيب البريطاني على دفع قسم من المبالغ وقدرها عشرة آلاف روبية بما يعادل (1000) جنيه استرليني.

(2) كان طول المضيق 5كم. Stephen Tanner, op.cit, p.158

التراجع البريطاني خلال الممرات الجبلية الى جلال آباد



نشر لواء سالي على التلال المحيطة بقرية (جاند آماك) في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني (1841)م ومع ذلك فقد تمكن الأفغان من مشاغلة القوة من التلال والكهوف المشرفة على مواضع الجنود [(1)] وفي اليوم نفسه، كان زعماء أفغان يعقدون إجتماع سرياً في (كابل) وكان من بينهم (عبد الله خان) و(آمان الله) [(2)]، وكان قرارهم طرد البريطانيين من أرضهم [(3)] . في ظل هذا الظرف العصيب الذي عاشته وحدات الجيش البريطاني وهي تتراجع في ظل برد قارص ونقص بالأرزاق وإرهاق شديد إلى مدينة جلال آباد، ظهر الجاسوس الكشميري (موهان لا) ليقابل (الكسندر بيرنز)[(4)] الحاكم العام للهند والموجودة في العاصمة (كابل)،وأخبره أن وجوده في خطر، وفي ذات الوقت جاء تحذير من الوزير (شاه شجاع) عبر تقرير مطول حول خطورة الموقف، [(5)] وتمكنت قوة أفغانية من تطويق مسكن الحاكم العام (الكسندز بيرنز) في فجر اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني، وعند شروق الشمس تضاعف عدد أفراد القوة الأفغانية إلى أكثر من (300) ثلثمائة فارس[(6)] .

كان المعسكر البريطاني في المدينة لا يبعد أكثر من (3كيلومترات) من مقر الحاكم العام، وكان الرمي يسمع بوضوح،وهناك دخان أسود يتصاعد من جهة مسكن الحاكم، إلا أن ردود الفعل لم تكن جدية بإستثناء ما فعله (شاه شجاع) من إرسال كتيبة مشاه ومدفعيّن عبر شوارع مدينة كابل الضيقة تحت قيادة المرتزق

---

(1) Stephen Tanner, op.cit, p. 159.
(2)I bid , p. 159
كان عدد أبناء (دوست محمد) ستة عشر، من بينهم ماورد أعلاه. محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص**104**

(3) I bid, p. 160.

(4) كان الحاكم العام للهند في مدينة كابل واعتاد في القرارات الصعبة التي تريد القيادة العسكرية البريطانية اتخاذه أخذ مشورة (موهان لا) **I bid , p. 160**.

(5) I bid ,p.160

(6) I bid ,p. 160

الأسكتلندي (وليم كامبل) (William Cample) الذي لم يتمكن رغم قصر المسافة من صدّ الغارات العديدة التي لاحقته، فخسرت الكتيبة ما مجموع مائتين بين قتيل وجريح، [1] وعاد (وليم كامبل) بصعوبة تحت غطاء مدفعي وفره العقيد (شيلتون) (Shelton) [2]. إن سقوط مسكن الحاكم العام ومقتله هو وشقيقه على يد الأفغان قد يقرر مصير الحرب الأولى التي أشعلتها بريطانيا، أما في الجانب الآخر فقد أجبرت الأحداث الضباط البريطانيين وعوائلهم للسكن داخل المعسكر البريطاني الذي حاصره الفرسان الأفغان وقطعوا عنه المواصلات[3].

أصبح المعسكر البريطاني في ظل الحصار يعاني من شحّ متزايد للمواد الغذائية، كما أن الحامية البريطانية نفسها اتخذت تدابير من أجل تعزيز مواضعها الدفاعية، منها توزيع قسم من المدافع في زوايا حامية المعسكر والاحتفاظ بالقسم الآخر لمواجهة التهديدات غير المتوقعة للخيالة الأفغانية [4]. أبدى (منكتن) تخوفه من الموقف الراهن، وطلب من الجنرال (نوت) إرسال لواء من (قندهار) إلى (كابل)، وبنفس الوقت أصدر أمراً وتعليمات بعودة الجنرال سالي ولواءه إلى العاصمة كابل الذي كان يطمح بالحركة إلى مدينة جلال أباد. ولضمان تدمير القوة البريطانية قبل عبور الممرات المكلفة. [5] أتخذ آلاف من الخيالة الأفغان مواقعهم في أماكن مرتفعة لمواجهة المعسكر البريطاني صباح اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني، فاندفع مئات منهم مرة واحدة للسيطرة على تحصينات (ركا باشي) (RIKa

---

(1) Martin Ewans, Op,Cit ,P 68.

(2) I bid , p- 69.

(3) I.bid, P. 68.

(4). Stephen tanner, op. cit,p.162.

(5) كانت زوجة الجنرال (سالي) وابنته لا يزالون موجودين في المعسكر البريطاني في العاصمة (كابل)، وكان هو عبر ممر (هفت كتول)، وتعذر عليه العودة إلى العاصمة بسبب ضراوة القتال مع الثائرين الأفغان

I bid, p. 165

bashee)، وعندما حان وقت العصر حاول البريطانيون من إعادة احتلالها ولكن دون جدوى [1].

استمرت المناقشات الحامية بين قادة الجيش البريطاني في أفغانستان وبالذات الموجود منهم في العاصمة كابل حول إخلاء المعسكر إلى منطقة (بيل هزار) (Bala Hissar) المحصنة [2]، فكان رأي (منكتن) أن تخرج القوة في حين لم يعط (البنستون)(Elphinstone) أي قرار، وأبدى الجنرال (شيلتون) رأياً مغايراً يتمثل بإخراج كل القوات من أرض أفغانستان [3].

كان في المعسكر البريطاني حتى اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني أكثر من ستة عشر ألف من الجنود والمدنيين، وبسبب ضغط الخيالة الأفغان المستمر وحصارهم، فقد باتت حصة كل فرد يومياً نصف الأستحقاق من الطعام المخزون ناهيك عن الطعام الطري الذي يصل المعسكر بين يوم وآخر من قرية (باي مروز) (Bay maros) المتعاونة معهم [4].

---

(1) Stephen Tanner, op.cit,p.166.

(2) منطقة محصنة جنوب كابل، يمكن أن تقيهم من خسائر كبيرة. لا تبعد عن المعسكر أكثر من (2)كم، وكانت خشية البريطانيين أثناء تنقلهم إبادتهم في أرض مكشوفة.
Stephen tanner , op. cit, p. 169

(3) محمد العيد مطمر، أيام في بلاد الأفغان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص165، ذكر أن القوة الغازية كانت ما بين (16 -17) الف مقاتل.
Stephen , tanner , op. cit , p. 169

(4) اعتمد المعسكر البريطاني على بعض الأصدقاء الأفغان لكي يحصلوا على مواد غذائية تكفي لإطعام (16) ستة عشر الف، فكانت (باي مروز) قرية كائنة في شمال غرب المعسكر ولا تبعد عن المعسكر أكثر من 1كيلو متر، وما أن عرف الأفغان بالموضوع حتى سيطروا عليها.
Stephen , tanner, op. cit, p. 170;Martin Ewans , Op.Cit , p.69.

استعد البريطانيون لاستعادة القرية من الأفغان لأنها مصدر حياتهم وحياة آلاف من النساء والأطفال، إلا أن وصول (أكبر خان) [1] على رأس قوة تعدادها ستة آلاف فارس إلى كابل مساء يوم (الثاني والعشرين) قد أجل القتال للتفاوض معهم [2] .

تحركت بوقت مبكر من صباح اليوم التالي سبعة عشر سرية من القوات البريطانية والهندية يتبعها عدد من المدافع والخيالة والقناصة تاركة المعسكر . شعر الأفغان بهذا الحجم الكبير من القوة المتحركة، مما أدى إلى تدفق آلاف من المقاتلين الأفغان، وتطور الموقف ليصل إلى عشرة آلاف مقاتل متخذين من كل هضبة مكانا لإصابة البريطانيين وهم يتراجعون قسرياً [3] . في المقابل أظهرت المدفعية البريطانية دورا في ضرب تحشدات الأفغان فسقط قسم منهم قتلى، وما أن شاهد الأفغان ما حصل لأبنائهم حتى نزلت أعداد كبيرة من سفوح الجبال مستخدمين بنادقهم ذات المدى البعيد لقتل من يقع في ذلك المدى، في الجانب الأخر؛ تميزت حركة الفرسان الأفغان على جناح الرتل البريطاني بالإختفاء والظهور فجأةً كون الأراضي متموجة، مما أدى إلى مباغته القوة البريطانية التي أصابها الإرتباك والتبعثر، وتمكن عند ذاك رجال القبائل الأفغانية من رؤية النجاح بأنفسهم . وكشاهد عيان، فقد بينت السيدة (سالي) زوجة آمر اللواء البريطاني ما حدث بقولها "إندفع العدو مرة واحدة، وجعلوا من رجالنا أمامهم بطريقة تشبه الأغنام التي يطردها الذئب من الخلف [4].وفي هذه المرة فقد إنهارت قيادة الجيش ومعها معنويات الجنود التي باتت تهمهم الرغبة الشديدة

---

(1) أحد أبناء (دوست محمد) وقد حلَّ محلَّ والده بعد أن أسره البريطانيين وأرسلوه إلى الهند، وكان الجانب البريطاني مستعد للتفاوض معه.

(2) Stephen tanner, op. cit. p. 170.

(3) Stephen tanner, op.cit, p. 170; Martin Ewans, op.cit, p.68.

(4) I bid ,p.171.

في العودة إلى المعسكر، فمالت العملية كلها بيد الخيالة الأفغان الذين قفزوا لمطاردة عدوهم من كل اتجاه.(1)

طلب (نواب زمان شاه)(2) الأفغاني إجراء مفاوضات مع (منكتن) ولبي طلبه على وجه السرعة، وبين للبريطانيين أن الحل السليم هو الاستسلام وتسليم أسلحتهم واعتبارهم أسرى، إلا أن الجانب الآخر رفض ذلك وقال " أنه يفضل الموت على ضياع شرفه.(3) ومع ذلك فقد أراد الجانب البريطاني أن يتم التفاوض مع (أكبر خان) لحراجة موقفهم .

كان (أكبر خان) من أكثر الأمراء الذي لعب دوراً في إنهاك القوات البريطانية، فظهر مرة أمام آلاف من المقاتلين يدعوهم إلى عدم مشاغلة القوة البريطانية عند أجراء عملية إخلاء (بيل هزار) غير أن سرعان ما طلب من (منكتن) أن يعتبر جميع الأطفال والنساء البريطانيين رهائن في بلده(4). وبسبب تعاظم المشاكل التي نشأت من جراء نقص مواد التموين ونسبة الخسائر والجرحى ومشكلة العوائل البريطانية، فقد طلب الوكيل البريطاني (وليم هاي منكتن) إجراء مفاوضات مطولة مع (أكبر خان) لإيجاد مخرج لإنسحاب قواته إلى جلال أباد، غير أن نتيجة المفاوضات انتهت بمقتل الوكيل البريطاني على يد أكبر خان نفسه(5).

---

(1) I bid , p. 171.

هو ابن عم (دوست محمد) وقد أعلن نفسه الملك البديل، وكان معه في المفاوضات ابن أخته (عثمان خان).

(2) احسان حقي، أفغانستان، نشأتها وكفاحها، ط1، دمشق، 2004، ص 77.

(3) Stephen tanner, Op.cit, p. 173.

(4) Stephen tanner, op.cit, ,p. 173.

(5) The new Encyclopaedia Britannica , op. cit , p. 756 ; Stephen , tanner , op. cit , p. 175.

بدأ التقهقر البريطاني على أشد بدء من اليوم السادس من شهر كانون الثاني (1842) م، وتأزم الموقف من جراء هطول الثلوج الذي استمر على العاصمة من اليوم الثامن عشر من شهر كانون الأول، فكانت القوة البريطانية تسير على شكل ثلاث مجموعات، مقدمة القوة مؤلفة من الكتيبة الرابعة والأربعون والقناصة ومجموعتين من الخيالة وثلاثة مدافع، وفي الوسط ثلاثة كتائب ومدفعين، أما المؤخرة فكان فيها الكتيبة الرابعة والخمسين (من متطوعي الهند) وكتيبة الخيالة الخامسة وأربعة مدافع، مما جعل حجم القوة يصل إلى أربعة آلاف وخمسمائة جندي وضابط، ومعهم إثنا عشر ألف من (رجال المعسكرات والهنود) وعوائلهم التي أمتطت أكثر من ألفي من الجياد بالإضافة إلى الجمال والماشية. [1]

أصبح اللورد (بوتنكر)(Aidred pottinger) الضابط السياسي الجديد الذي شاهد حال جيشه وهو يخسر الكثير من رجاله، فأوعز إلى كل الحاميات العسكرية في غزنة، قندهار، جلال أباد للإنسحاب من البلد [2] مما أدى إلى دخول مجموعات أفغانية إلى المعسكر منذ الساعات الأولى من اليوم السابع من شهر كانون الثاني، وتولى القناصين الأفغان مؤخرة القوة المتراجعة فكبدوها أكثر من خمسين قتيلا وتدمير اثنان من مدافعهم ولم تكن القوة قد قطعت تسعة كيلومترات من مجموع (167كم) إلى جلال آباد. وإن قطع المسافة الطويلة الباقية في ظل موقف يائس وتحت رحمة تساقط ثلوج مستمر وبرد قارص وجوع متزايد وسط تلول أفغانستان كانت قاسية وحزينة على الغزاة[3].

فتحت القوات البريطانية ما تبقى لديها من مدافع في بداية مضيق (كرد كابل) من أجل تأمين نيران إزعاج للقوات الأفغانية المعقبة، وبسبب الظلام وتساقط الثلوج بغزارة فقد لجأت القوة إلى قرية (كرد كابل) تاركة ورائها في المضيق ما

---

(1) I bid,p. 176.

(2) I bid ,p. 176.

(3) Stephen tanner , op. cit, p. 176; Martin Ewans, OP cit, 70

يقارب من ثلاثة آلاف جثة منهم خمسمائة جندي، وألفان وخمسمائة من المدنيين، وكان من بينهم (120) ضابط بريطاني كما فقدت الأمهات البريطانيات عدد من أطفالهن بسبب حالة التدافع والإرتباك أثناء الغارات الأفغانية عند اليوم الرابع من الإنسحاب [1].

قرر الجنرال (الفنستون) بقاء كل القوة في المعسكر طيلة ذلك اليوم . وفي ظل ذلك الظرف المخيف ظهر (أكبر خان) واعداً إياهم بالطعام والحماية مقابل بقاء العائلات البريطانية في حمايته حتى إيصالهم إلى مدينة (بيشاور) [2] . وفي اليوم العاشر من كانون الثاني (1842) م كانت كل القوة المتبقية تتألف من مائتين وخمسين مقاتل من الكتيبة الرابعة والأربعين، وخمسين من رجال المدفعية وحوالي مائة وخمسون من الفرسان، وثلاثة أو أربعة آلاف من رجال المعسكرات. [3]

سارت جموع القوات البريطانية الهندية المتبقية بطريقة مخالفة للأوامر في صباح اليوم السابع عشر من شهر كانون الثاني، فأصبحت المؤخرة بالأمام واختلطت الماشية مع القوات المنسحبة والمدنيين من زوجات وأطفال الضباط البريطانيين، فضاع التنسيق، وفي مثل هذا الوصف فإن أعداد كبيرة من رجال المعسكرات تقدموا بسرعة من أجل العودة إلى الهند، كما أن جنود الهند المتطوعين (Sepoy) قد تحرروا من قيود الأوامر فالتحق المئات منهم مع عوائلهم تاركين واجباتهم وأسلحتهم. [4] كان الجنرال (شيلتون) يضغط بشدة من أجل الإسراع بالحركة غير أن الإرباك الذي ساد كل المفاصل القيادية للقوات المتراجعة جعلهم لا يستطيعون من قطع

(1) يدعي الكاتب أن هؤلاء الأطفال احتجزوا من قبل رجال القبائل الأفغان.

(2) تقع المدينة ضمن حدود الباكستان، وتبعد خمسون كيلو مترات من مدينة جلال أباد الأفغانية.

(3) Stephen tanner , op , cit ,183.

(4) Stephen tanner, op.cit, p. 178

(خمسة وعشرون كيلومتر) في اليوم الأول لضمان المرور من مضيق (كرد كابل)[1] قبل تجمع الأفغان المسلحين .

لم يكن حال القوات البريطانية في ممر (جادلوك) بأحسن مما حدث لها في (كرد كابل)، فلقد ساد الإرتباك صفوف القوة وهم يعبرون ليلاً، وفي تلك الأثناء صاح النقيب (بيلو Below)[2] على المتبقيين بقطع التماس مع الأفغان وسرعة الحركة، وكان من بينهم طبيب مساعد يدعى (وليم برايدون) الذي امتطى أحد الخيول خلف متطوع هندي لينفذ بنفسه. وشاءت الأقدار فيما بعد أن يقتل الجندي بصدره ليظل الطبيب حياً على ظهر تلك الدابة.[3]

وبعد اجتياز ممر جادلوك المهلك سارت المجموعات المتراجعة على الطريق الرئيسي بين مدينة (جاند آماك) ومدينة (فتح أباد)، وكانت مجموعة الطبيب تضم حوالي أثني عشر من المقاتلين الذين أنهكهم الجوع والتعب وهم يتنقلون بين التلال. ولتدبر حالة الجوع التي أثرت على قواهم البدنية والعقلية، فقد قرر النقيب (بيلو) التقرب من قرية أفغانية لعله يجد ما يسد رمقه هو وجماعته، فشعرت به مجموعة من الخيالة الأفغان فقتلوا النقيب ومن معه، ولم يبقى على قيد الحياة غير أربعة ممن تسربوا عبر الوديان والتلال لا يعرفون ماذا سيحل بهم[4].

---

(1) الذي حدث أن القوات البريطانية قطعت سبعة عشر كيلومتر في يومين بسبب ثقل الغارات الأفغانية. يبلغ طول ممر (كرد كابل) تسعة ونصف كيلومتر.

I bid , p. 179.

روبير شنيرب، المصدر السابق، ص419، ذكر أن إنكلترا اصيبت بفشل ذريع في (ثغرة) (كرد كابل)

(2) كان يشغل الضابط الاداري لحماية كابل.

(3) Stephen tanner , op. cit , p. 186 ; Martin Ewans, op cit , p. 70.

(4) Stephen Tanner, op.cit, p. 187

أما الطبيب (برايدون) [1] فقد أختفى في كهف لفترة من الزمن ليطمأن أن الطريق إلى جلال أباد خالياً من القرويين الأفغان، وبعد رحلة قهرية وصل عند الفجر وحيداً إلى الحامية البريطانية في جلال آباد وكان في أستقباله نقيب من فرقة المشاة الخفيفة الثالثة عشر [2].

لقد كان الانسحاب القسري للقوات البريطانية في ظل الظروف العصيبة (قسوة المناخ وتمكن رجال القبائل الأفغانية من خصمهم) قد أدى إلى قتل ما بين خمسة عشر إلى عشرون ألف من القوة الغازية، وأُسرٌ مئات من البريطانيين إضافة إلى كامل المعدات التي كانت بحوزتهم وفقدان خمسون ألف جمل من التي استخدمت لنقل التجهيزات والمؤن، أما المصروف المسجّل لهذه الحمله فقد كلف ما يقارب من سبعة عشر إلى عشرين مليون جنيه أنكليزي، غير أن الملفت للنظر في أحداث الحرب الأفغانية البريطانية الأولى أن عدداً من الأطفال البريطانيين قد أخذتهم عائلات أفغانية، وظهر في عام 1920 عندما زارت بعثة بريطانية كابل، حيث ألتقت سيدتين بريطانيتين عجوزين، وكانتا في شوق لمعرفة أحوال عوائلهم في بريطانيا [3] والأكثر من هذا أن بريطانيا خسرت هيبتها وسمعتها أمام روسيا وأوروبا ومستعمراتها .

في صيف عام (1842) م تمكنت القوات البريطانية من إعادة احتلال (كابل) تحت قيادة الجنرال (الينبروه) (Eilenborough) إلا أنه غادرها على وجه السرعة . وفي عام (1843)م اعادت بريطانيا (دوست محمد) إلى أفغانستان ولكن هذه المرة بدون (شاه شجاع) الذي قتل على يد أتباعه، وأستمر حكم الأمير دوست محمد حتى

---

(1) جرح الطبيب أربع مرات وشفي منها، وعند وصوله إلى جلال آباد بقيت دابته جاثمة على الأرض حتى مماتها.

(2) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص165، ذكر أن القوة الغازية كانت ما بين (16 - 17) الف مقاتل، وقد أباد الأفغان هذه القوة عند آخرها ولم يسلم منها الا طبيب واحد هو (برايدون) الذي هرب إلى جلال أباد ومعه نبأ الفاجعة، إحسان حقي، المصدر السابق، ص 78.

(3) Martine Ewans, op. cit,p. 70-72.

عام (1863)م وفيها تمكنت قوته من السيطرة على قندهار، مزار شريف، قادخان، هيرات[1].

كانت الحرب الأفغانية الأولى ذات تأثير سيئ في سير العلاقات السياسية مع بريطانيا، فهي جمدت أي اتصالات بين الطرفين لفترة عقد من الزمان قبل أن تعاود نشاطها التدريجي في ظل سياسة بريطانية جديدة بعدم التدخل في الشؤون الأفغانية، وظهور نوايا إيرانية بالتوسع شرقاً على حساب أفغانستان بدعم روسي[2].

كانت معاملة البريطانيين لـ(دوست محمد) وهو محتجز في الهند خلال الحرب بمنتهى الاحترام والتقدير هو وعائلته، ولذلك فقد بقي أميراً لإفغانستان باعتراف بريطانيا التي لا تقبل التعامل إلا معه، فعقدت معاهدتين مع أفغانستان عامي (1855)م و (1875)م بغية تنسيق مواقفها تجاه الأخطار، ومنها احتلال هيرات من قبل إيران، والتي تمكن الأمير وبمجهود ذاتي من استعادتها دون مساعدة بريطانية.[3] أما القيادة الروسية ومن خلال معرفتها بطبيعة العلاقة الأفغانية البريطانية فإنها كانت تعمل لتحقيق أمرين الأول، استثمار الفرصة المتاحة للتوسع جنوبا وثانياً حماية حدودها الجديدة مع بريطانيا[4].

وعلى هذا الأساس فإن روسيا التي خبرت شعوب الإمارات الإسلامية كونها بدائية قبلية يمكن احتوائها، فكان مسلك العمل الروسي يتصف بالهجوم في حين ظل المسلك البريطاني يتصف بالدفاع ونقصد به (المذكرات السياسية والاحتجاجات واستدعاء السفير الروسي في لندن لتوضيح أي عمليات جديدة تقوم بها القوات الروسية).[5]

---

(1) Martine Ewans, op.cit,p. 72 ; Angelo Rasanayagam Afghnistan modern history , London , 2005 , p.1.

(2) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص 104.

(3) المصدر نفسه، ص 104.

(4) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص 344.

(5) المصدر نفسه، ص 344.

جهود الدولتين السياسية لاستمالة أفغانستان قبل الحرب الثانية

أثرت وفاة (دوست محمد) (1863) م على وضع الإمارة الأفغانية وقوتها، حيث أن الخطر الخارجي الداهم عليها (البريطاني والروسي) قد أحكم خططه من الشمال والشرق، وكانت ايران في تلك الحقبة حليفة روسيا من جهة الغرب. أما داخل الإمارة فكان الصراع العائلي بين أبنائه الستة عشر على أشده؛ لتسلم السلطة رغم أن وصيته قبل الوفاة أن تكون الإمارة لابنه الثالث (شير علي خان) (1864 -1879) فيما رفض أخوته تلك الوصية. وخلال خمس سنوات من الدسائس السياسية بين الأخوة تمكن (شير علي خان) في النهاية من الاستحواذ على السلطة بدون مساعدة بريطانيا التي بقيت تراقب الوضع [1].

كان الأمير الجديد يتطلع إلى تأسيس علاقات ودّ وصداقة مع بريطانيا دون أي تحالف ظاهر ضد أحد، فعقد لقاء مع حاكم الهند اللورد (مايو) (Mayo)[2] في آذار عام (1869)م في مدينة (امبالا)، كانت أهم مطالبه تعزيز قدرته العسكرية للدفاع عن إمارته، في حين كان مطلب البريطانيين أن يتواجد ضباط بريطانيين في المدن الأفغانية المهمة لمراقبة تطور الأوضاع وتزويد الهند بآخر المعلومات، وأن تكون

---

(1) حاول أخويه فضيل وعظيم خان عام (1864) م السيطرة على السلطة وافشلها شير علي خان وفي (1865) م حاول عظيم خان ومعه ابن أخيه (عبد الرحمن) من إبعاده عن كابل (1866)م ثم قندهار (1867) م وتمكن شير علي خان من القضاء على المحاولة والاستيلاء على السلطة رسمياً عام (1869)م.محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص105؛

Stephen tanner ,op. cit , p. 203; The new Encoylpacdia Britannica , op. cit, p. 175.

(2) مايو (Mayo) (1868 -1872)م عين بمنصب الحاكم العام للهند، وكان جلّ اهتمامه أن يكوّن علاقات ود وصداقة مع الأمير الأفغاني (شير علي خان)، كان يتميز بأخلاق حميدة في التعامل ويتصف بالحذر عند إتخاذ القرار. **Martine Ewans, op. cit,p. 80**

مساعدتهم المالية مشروطة بموافقة مستشاري الأمير دون أي وعود للوقوف معه عسكرياً ضد روسيا.

في روسيا عبر وزير الخارجية (جورتشاكوف) والجنرال (كوفمان) أن روسيا ليس لها نية للتوسع في الأراضي وأن أفغانستان بعيدة عن مخططاتها.[1] ومرة أخرى وجد الأمير (شير علي خان) نفسه في مشكلة مع البريطانيون حول التحكيم الذي جرى لأقليم (سيستان) المتنازع عليه بين ايران وافغانستان [2]

كانت حكومة لندن وباستمرار تنظر بعين الشك والريبة إلى تطلعات الحكومة القيصرية، وأصبح الدور التوسعي في المنطقة الإسلامية ليس حضارياً كما كانت تدعي الخارجية الروسية على الدوام. وفي هذا السياق فقد اقترحت بريطانيا عام 1872م أن الأنفع للطرفين الروسي والبريطاني أن تكون هناك ولايات مستقلة حاجزة بين الطرفين، ووجدت بريطانيا في نهر (جيحون) حداً طبيعياً للفصل بين نفوذ الدولتين[3].

وعلى ذلك فقد أيقنت بريطانيا بالحل، وسلمت بأن الأراضي التي تقع على الشاطئ الأيسر لنهر جيحون تكون خاضعة للنفوذ الروسي في حين تخضع الأراضي على الجانب الأيمن (أفغانستان) للنفوذ البريطاني، ووجدت روسيا في هذا الحل أكثر

---

(1) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص109، Stephen tanner , op, cit ,p203:203

(2) يقع أقليم (سيستان) على (نهر الهلمند)، موضوع الخلاف، أن الولاية كانت في السابق تخضع لإيران، وفي زمن الأمير الافغاني (احمد شاه) أصبحت الولاية جزءاً من أفغانستان واعتبرت امتدادا طبيعيا لها. في عهد (دوست محمد) وبعد وفاته ونزاع أولاده على السلطة، استغلت ايران تلك الأحداث واستولت عليه، ونتيجة لوساطة بريطانيا، فقد قسمت الولاية إلى نصفين الأول لإيران والنصف الآخر لإفغانستان، واعتبرت أفغانستان ذلك تحيزاً لإيران.محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص110.

(3) Martin Ewans , op. cit , p. 81

فائدة لما تمثله الأراضي من إمتداد سياسي وعسكري بعكس بريطانيا التي خبرت المغامرة والإنتكاسات غير المأمونة في أفغانستان [1].

وفي هذا كتب الجنرال الانكليزي هنري راولنسون (Henry Rowlinson) عام 1874م أن تقدم الروس نحو آسيا الوسطى أمر محقق مثل تتابع الليل والنهار وأنهم سيظلون في البلاد حتى يبلغوا جبال هندوكوش إذا لم يجدوا حاجزاً يعيق تقدمهم أو قوة تقف في وجههم [2].

في لندن تولى حكومتها بنجامين دزرائيلي عام (1874)م، وجيء بالسفير البريطاني في لشبونة (ليتون) [3] ليكون الحاكم العام للهند الذي أعلن صراحة "بأنه سوف يمنع الأمير من أن يكون آداة طيّعه في يد روسيا [4] . وطلبت حكومة لندن من (ليتون) إرسال بعثة إلى (كابل) لإعادة الصداقة والمودة مع الأمير الأفغاني . وعلى هذا الأساس تصرف (ليتون) بمفرده في إرسال بعثة برئاسة (بولاك) (Pollack) إلى كابل بهدف ربطها سياسياً وعسكرياً ببريطانيا [5].

وفي الوقت الذي كان الأمير الأفغاني يقيّم تطور الأمور بين الروس والبريطانيين لإبعاد أفغانستان شبح الحرب والتي من المرجح جداً أن تدور رحاها فوق أراضيه ويدفع ثمنها الشعب الأفغاني، نجد أن (ليتون) يتصرف مع الأمير وكأنه

(1) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص62.

(2) إحسان حقي، المصدر السابق، ص216.

(3) سفير بريطانيا في لشبونه، وصل إلى الهند في نيسان (1876 -1877) م، ليس لديه معلومات وافية عن مهمته الجديدة في الهند ،وكان تصرفه في الشؤون الأفغانية مثيرا للقلق، محمدحسن العيله،المصدر السابق، ص114؛
Stephen tanner , op. cit, p. 203

(4) المصدر نفسه،ص113.

(5) المصدر نفسه،ص115.

موظف يعمل بإمرته، ويطلب منه تواجد ضباط بريطانيين على الأرض الأفغانية بغية مراقبة تحركات الروس [1].

بين عامي(1876 -1877) أرسلت روسيا بعثة برئاسة الجنرال (ستوليتوف) (Stoliatov) إلى كابل لإثارة الجانب البريطاني، وكان يحمل معهُ مقترحات محدده للأمير شير علي خان تتضمن الدخول في معاهدة دفاعية، ولأجل تحقيق ذلك اقترح عليه أن تكون وحدات روسية متواجدة على الأرض الأفغانية تحت غطاء بناء الطرق ومدّ خطوط الأتصالات، إلا أن الأمير الأفغاني أدرك العواقب التي يمكن أن تصيبه من جراء قبوله مثل هذه المقترحات .

في الهند، كان ردّ الفعل البريطاني قوياً من قبل (ليتون) الذي عزم على إرسال بعثة إلى كابل لمقابلة الأمير، غير أن الحكومة البريطانية توخت عبر أي رسالة أو مبعوث إلى الأمير الأفغاني أن لا يتضمن إثارة مخاوفه أو تحديه . ففي الحادي والعشرين من أيلول 1878 كان الرائد لويس كفناري (Louis cavagnari) في طريقه إلى العاصمة كابل، إلا أنه أوقف من قبل القائد المحلي الأفغاني في ممر خيبر وأخبره بالعودة إلى بيشاور وإلا تعرض للقتل [2] مما أثار حكومة الهند ولندن، وكان الشعور السائد عند أفراد الحكومة هو الإحباط لعدم السماح للبعثة البريطانية من الوصول لمقابلة الأمير، وأن هذا العمل قد أساء إلى هيبة وسمعة بريطانيا، فكان القرار الذهاب إلى الحرب. [3] وفي خطوة باتجاه التهيؤ، فقد طلبت الحكومة البريطانية من (ليتون) أن يطلب إعتذاراً من الأمير لما حصل، وأن يوافق على وجود بعثة عسكرية دائمة في العاصمة كابل [4]. وأعطي الأمير الأفغاني مهلة ثلاثة أسابيع للرد على الطلبات البريطانية، في الوقت الذي طلب من الوحدات

---

(1) Martin EWans , op. cit, p. 84.

(2) Martin Ewans , op. cit, p. 85.

(3) I bid , p. 85.

(4) I bid ,p.85.

أسابيع للرد على الطلبات البريطانية، في الوقت الذي طلب من الوحدات البريطانية والهندية الاستعداد لخوض حرب ثانية .

في تلك الظروف العصيبة، توفي ولي عهد الأمير وأحب أبنائه، فأُعلِنَ الحداد في الإمارة [1] إلا أن الأمير شير علي خان وفي اللحظات الأخيرة من مساء يوم العشرين من تشرين أول (1878) م، أرسل رده الأيجابي على المطالب البريطانية إلا أن الجواب لم يصل في الوقت المناسب [2]. وكان الموقف الأفغاني في منتصف عام (1878) م قلقاً بين دولتين متنافستين يريدان الاستحواذ على مقدرات الشعب الأفغاني، فيما كان الأمير يريد إبعاد وطنه وشعبه من ويلات الحرب والدمار والتخلف الذي وقع فيه شعب مسلم، فكان كل طرف يريد وجود ضباط داخل أفغانستان لمراقبة تحركات الطرف الآخر، وكلاهما يريدان أرض حيويه تسهل لهم مهمة الدفاع والإشراف على الأراضي المجاورة، إلا أن الطلب الروسي وإن كان يخلو من ربط السياسة الخارجية الأفغانية بروسيا إلا أنه بالمحصلة يريد ربطها سياسياً وعسكرياً [3].

في اليوم الثاني من الإنذار البريطاني أي الحادي والعشرين من شهر تشرين أول (1878)م تحركت ثلاث الوية مشاة إلى داخل أفغانستان معلنة بدء الحرب البريطانية الأفغانية الثانية، بعد مرور 36 سنة من إنتهاء الحرب الأولى بينهما [4].

القوة الأفغانية

تمكن الأمير (شير علي خان) من تهيئة قوة من رجال القبائل قوامها خمسون ألف مقاتل بتجهيزات متواضعه، إلا أن إخلاص معظم هؤلاء المقاتلين يعود بالدرجة الأساس إلى قادة قبائلهم .

---

(1) Stephen tanner. op. cit, p. 204.

(2) The new Encyclopaedia Britannica , op. cit , p. 176

(3) Stephen tanner , op. cit , p. 204.

(4) I bid ,p.204.;. يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص39

ذهب الأمير إلى ولاية مزار شريف، وأرسل رسالة إلى القيادة الروسية طالباً منهم المساعدة، فجاءه الرد من الجنرال (كوفمان) بضرورة تسوية الأزمة مع القوات البريطانية، ثم قاده التفكير بالسفر إلى العاصمة الروسية (بطرس بيرج) ليشرح لهم تطور الأوضاع، فرفض الجنرال (كوفمان) وأمر أتباعه بأن لا يعبر الأمير نهر (اموداريا)، فعاد إلى إمارة بلخ التي توفي فيها في الحادي والعشرين من شباط (1879)[1]

القوات البريطانية الهندية يوم 21 تشرين أول (1878) م

بلغت القوات البريطانية الهندية ما يزيد عن (33.500) ثلاثة وثلاثون ألف وخمسمائة بالإضافة إلى خمسة وعشرون مدفع من أنواع مختلفة،[2] ولأجل تقسيم العمل فقد حددت القيادة العسكرية البريطانية ثلاثة محاور يمكن أن تتقدم عليها ثلاثة أرتال وكما يلي : -

- الرتل الأول: (الرتل الشمالي) وضع بإمرة الجنرال صاموئيل براونز (samuel Brownes) قوة تقدر بخمسة عشر ألف مقاتل، كان هدفه ممر خيبر –جلال آباد، شرعت القوة من مدينة (بيشاور) التي سبقها قصف مدفعي على التلال الخمسة الموجودة في داخل الممر، مما أجبر الأفغان على الإنسحاب خلال فترة الظلام[3] وفي الأيام التالية تمكن الأفغان من الحاق

(1) Stephen tanner ,op. cit, p.205; the new encyclopaedia op.cit, p.176.
يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص39.

(2) تسعة كتائب مدفعية، قسمت على أساس ثلاثة كتائب مع كل رتل.كما أن كتائب المشاة هي كتيبة (الكركه) من المحاربين القدامى (من النيبال)والكتيبة (اثنان وسبعون)من (البانيا)، والكتيبة (السابعة عشر) والكتيبة (الخامسة) حاملي الغدارات، كتيبة البنغال، والكتيبة العاشرة.

(3) Stephen tanner ,op.cit, p. 206؛ محمد حسن العليه، المصدر السابق ص139 .

بعض الخسائر، إلا أن القوة الغازية تمكنت من احتلال جلال أباد بعد استشهاد أميرها في العشرين من كانون أول [1].

- الرتل الثاني (الرتل الوسطي) وضع بإمرة الجنرال (فريدريك روبرتس) (Frederick Roberts) قوة تقدر بـ ستة آلاف وخمسمائة مقاتل، كان هدفه وادي خوارم – مدينة بيوار. استخدم الجنرال مدفعيته لتشتيت القوة الأفغانية في وادي خوارم، وعندما حل الليل، قاد روبرتس ثلاثة كتائب مشاة حول جناح القوة الأفغانية، وعند الفجر واصلت القوة التقدم في الوادي مما أدى إلى إنهيار القوة الأفغانية المقدرة بـ خمسة عشر ألف مقاتل، في حين كانت خسائر البريطانيين إحدى وعشرين قتيلاً وخمسة وسبعون جريحاً.[2]

- الرتل الثالث (الرتل الجنوبي) وضع بإمرة الجنرال (دونالد ستوارت) (Donald stewarts) قوة تقدر بأثنا عشر ألف مقاتل، تحشدت في ولاية (كويتا) هدفها خان كالات ممر (خوجاك) – ولاية قندهار، تمكن أميرها أن يدافع ببسالة حتى أستشهد، مما أجبر البريطانيين إلى تعيين أمير جديد موالي لها، وفي الثامن من كانون الثاني (1879)م دخلت القوات مدينة (قندهار) بعد إنسحاب قائدها[3]. .وواصلت تقدمها حتى وصلت إلى ممر (شوتار جاردن) [4] (Shutar garden).

في العاصمة كابل، بدأ الأمير الذي كان مضطرباً من جراء ما حققته القوات البريطانية والهندية من نصر سريع، فتنازل عن عرش الإمارة لإبنه (يعقوب خان) الذي بادر من جانبه إلى إنهاء الاشتباكات، لأن والده لجأ إلى إمارة (بلخ) على الحدود

---

(1) I bid, p. 207؛ المصدر نفسه، ص141

(2) Stephen tanner ,op.cit, p.207 Martine Ewans,op. cit ,p. 87.

(3) Stephen tanner , op. cit, p. 206.

(4) Martine Ewans,op. cit ,p. 87, ؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص141

الروسية . وقد توفي في الحادي والعشرين من شباط 1879م في ولاية مزار شريف.[1] تكبدت القوات الغازية أول خسارة كبيرة في السابع من شهر شباط عندما حاولت القوة عبور نهر كابل[2] فخسرت سبعة وأربعين من مقاتليهم[3].

نظمت القوات الأفغانية نفسها على شكل مجموعات لفرض شن حرب عصابات ضد عدو تواجد على أرض أفغانية لم يدرك البريطانيين تفاصيلها جيداً، إلا أن نسبة الخسائر كانت عالية في الجانب الأفغاني بسبب كفاءة عناصر كتيبة الغدارات الخامسة والكتيبة السابعة عشر من المشاة، وذكر أن خسائر الأفغان كانت ستون قتيلاً في حين خسر البريطانيون ثلاثة قتلى وجرح اثنا عشر ومقتل أربعة خيول وجرح أعداد أخرى[4].

دعى البريطانيين يعقوب خان إلى مؤتمر في قرية (جاندماك)، (Gandamak)القريبة من معسكرهم، وفي السادس والعشرين من شهر أيار (1879)م وقع معاهدة (جاند ماك) وبموجبها تكون بريطانيا هي المسؤله عن السياسة الأفغانية والسماح بوجود بعثة بريطانية دائمة في كابل، مقابل ذلك يستلم الأمير مساعدة قدرها ستون ألف جنيه استرليني.[5]

---

(1) the new encloypaedia , p. 176.

(2) Stephen tanner , op. cit, p. 207.

ذكر أن أثنين من البغال انزلقت مع تيار المياه الجارية مما أدى بالبقية إلى أن تتجرف خلفها في ليلة حالكة الظلام

(3) Stephen tanner , op. cit,p. 207.

(4) Stephen tanner,op.cit, p. 208.

(5) I.bid, p.208; The new Encloypaedia, p. 176; محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص143.

أصبح البريطانيين المقيمون في المدن الأفغانية (والعاصمة كابل) أصحاب السلطة الادارية والعسكرية، وكان تعاملهم مع السكان المحليين يتسم بالتكبر والزهو والإحتقار مما ولد شعوراً عالياً للإنتقام منهم .

أندلعت ثورة دينية وسياسية ضد البريطانيين في الثالث من أيلول (1879)م، قتل على أثرها المبعوث البريطاني الرائد كفناري(Cavagnari) وخمسة وسبعون من الحرس الهندي المنتخبين، فتدخل الأمير شخصياً ومعه رجال الدين ولم ينفع ذلك، فبدأت الصفحة الثانية من هذه الحرب (1).

الهجوم المقابل لأفغاني

وصلت أخبار المعركة الجديدة إلى أذهان حكومة الهند، فقررت القيادة العسكرية إرسال الجنرال (روبرتس) إلى كابل للأنتقام من الثوار وتدعيم سلطة الأمير الذي حاول هذه المرة التخلص من أي التزام بريطاني خدمة لمصالح بلده، وتم إلقاء القبض عليه هو وثلاثة من كبار مساعديه وإرسلوا إلى الهند كأسرى (2).

---

(1) Encyclopaedia Britannica , op. cit, p. 176 يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص39؛

على أثر مقتل الرائد (كفناري)، جرت عمليات أعتقال لجمع من الشباب الأفغان، واعدام بعضهم وأحالة قسم منهم إلى محاكم ميدانية. وظهر فيما بعد أن هناك أحد عشر أفغانيا أدعو مسؤليتهم في عملية القتل من بين سبعة وثمانون تم اعدامهم فعلا ؛ Martin Ewans, Op.cit, p.89.

(2) Stephen tanner , op. cit, p. 208; Angelo Rasanayagam , op.cit, p.8

وجد الأمير (يعقوب خان) أن سياسة الإحتقار التي مارسها البريطانيون معه ومع شعبه، وكذلك تكبيله بمعاهدة (جاند آماك) هي غير منصفة تماماً، فأراد أن يكون مع ثوار بلده، ولمخادعة الغازي الأجنبي طلب تسهيل مرور القوات البريطانية، وزار المعسكر عند قرية (قوشي) لمعرفة حجم القوات هناك واتخاذ الاحتياطات عند مهاجمته.

محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص145.

في مناطق الحدود كان الجنرال (روبرتس) وجيشه في وادي خوارم الذي يبعد عن العاصمة (كابل) نحو (أربعة وثمانون كيلومتر)، وفي الوقت نفسه كانت قوات الجنرال (براونز) (وستيورات) هي الأخرى قد جرى سحبهم خارج حدود أفغانستان بوقت مبكر [1].

قرر (روبرتس) التخلي عن منطقة (بيل هزار) ومعسكرها لتفادي ما حصل لهم قبل ستة وثلاثين سنة، بل فتش في أماكن آخرى خارج المدينة بمسافة كافية، فوجد في منطقة (شيربور) الواقعة شمال المعسكر البريطاني القديم المكان المناسب لمعسكره، واتخذه في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني 1879م [2].

في ولاية (غزنة) التي أعلنت الجهاد ضد القوات الغازية، كان المقاتلين الأفغان على درجة عالية من المعنويات وعددهم بالآلاف يحملون الطموح في استعادة مجد آبائهم في النصر الكبير في عام (1842)م. أصدر (روبرتس) الأمر لأحد مساعديه بغية إخماد الثورة في غزنة، إلا أن العناد الأفغاني ظهر جلياً لوقف تقدم القوات، مما أضطره إلى طلب تعزيزات على وجه السرعة من قندهار، وحينما وصلت قوات إضافية، عند ذاك تمكن في التاسع عشر من نيسان (1880)م من السيطرة على ولاية غزنة ولكن بعد تكبدهم خسائر [3].

حاول (روبرتس) في منتصف كانون الأول (1880)م السيطرة على الأراضي الحاكمة غزب العاصمة (كابل) بغية إحكام ما يلي؛ أولاً، تأمين عامل الأمن للمدافعين من كتائب المشاة البريطانية الهندية، وثانياً، حرمان رجال القبائل الأفغان من التواجد في الأماكن الأخرى المهمة، وعلى هذا الأساس انفتحت الكتيبة الثانية والتسعين والثانية والسبعين في مرتفعات (آسماي) (Asmai) الحاكمة والمناطق

(1) Stephen tanner , op. cit,p.211

(2) I bid , p. 211

(3) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص146.

المجاورة لها، ومع ذلك فقد تقربت مجموعات أفغانية كبيرة من الكتيبة الثانية والسبعين وشنت غارات عديدة عليها أسفرت عن تراجع كل النقاط الخارجية من الكتيبة إلى داخل المعسكر وبالتالي محاصرته.[1]

على الأرض أيضاً ظهرت دلائل حشد أفغاني حول معسكر شيربور، وأغلقت الطرق المؤدية إلى العاصمة (كابل) وأنتشر القناصه الأفغان في كثير من مفارق الطرق، عندها قرر (روبرتس) سحب ما تبقى من النقاط الخارجية الأخرى بما فيها نقطة (بيل هزار) والإحتفاظ بكل قوته ضمن حدود المعسكر[2].

بدأت الأحداث تعيد نفسها إلى ما حدث عام (1842)م (أيام الحرب الأولى)، وأدى إلى حشد مزيد من الأفغان وصل إلى أربعين ألف رجل يمسكون كل المداخل البعيدة التي تؤدي إلى المعسكر، إضافة إلى السيطرة الأفغانية على العاصمة (كابل) وظهور مجموعات مسلحة لإعتقال العناصر المتعاونة مع بريطانيا، يقابلها قيام الخيالة البريطانية بالظهور خلف المعسكر لمراقبة تجمع الثوار الأفغان[3].

وصلت معلومات في غاية السرية إلى الجنرال (روبرتس) في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الأول 1880 حملها (جاسوس) وتبين للجنرال أنها خطة متكاملة لمهاجمة كتائب المشاة في منطقة معسكر (شيربور) وأن التنفيذ سيكون في اليوم الثاني، كما عرف أن الهجوم على مرتفعات (اسماي) سيتم عن طريق إشارة متفقاً عليها يطلقها (أمام الجامع) للمهاجمين[4].

---

(1) Stephen tanner , op. cit, p. 212.

(2) I bid , p. 212.

(3) Ibid, p. 212.

(4) Stephen tanner, op.cit., p.212; Martin Ewans , op. cit p. 92;

كانت الإشارة عبارة عن ضياء متقطع بإتجاه معسكر القوات البريطانية، وبإيعاز من (أمام الجامع (Mushk-i-Alam) الذي اعتبر هو المرشد للمجاهدين الأفغان.

ظلت العيون تراقب غرب معسكر (شيربور) في فجر اليوم الثالث والعشرين وكان الظلام لا يزال يلف التلال والمعسكر البريطاني، وفجأة ظهرت ومضات ضياء، وبعدها سمع صوت إطلاق المدفعية ونيران البنادق وأصوات آلاف الأفغان يصيحون (الله أكبر)، وكان رد فعل قسم من القوات البريطانية أنها فتحت النار من خارج مدى السلاح دون الإلتزام بالأوامر، أما القسم الآخر، فقد تحمل وانتظر وصول المهاجمين ضمن مدى ثمانين ياردة [1] وبظهور الشمس كانت هناك أعداد كبيرة من الجثث منتشرة حول أطراف المعسكر، وعند الظهر استأنف الأفغان هجومهم بقوة حتى تمكنت مجموعات منهم من الوصول إلى جدران المعسكر .

ونظراً لحراجة الموقف، فقد أراد القائد البريطاني قطع التماس مع الأفغان قبل غروب الشمس، فباشرت المدفعية البريطانية بالرمي حتى حان وقت الظلام [2].

حرك البريطانيون خيولهم في اليوم التالي لمراقبة الوديان المؤدية إلى المعسكر ومعرفة حجم الخسائر التي لحقت بالمهاجمين، فأشار الكاتب إلى وجود ثلاثة عشر قتيل في حين خسر الأفغان عدداً يتراوح ثلاثة آلاف قتيل [3].

دعى (روبرتس) بعد هذه المعركة مائتين من كبار الوجهاء الأفغان إلى مؤتمر مقرون بوعد شامل دون أية عقوبة لكل واحد يسلم سلاحه إلى القوات البريطانية، إلا أن السؤال الرئيسي بقي للورد (ليتون) و (دزرائيلي) حول ماذا يجب أن يكون العمل القادم؟، وبحكم أن الأفغان قبائل تريد أن تخرج الغزاة من ديارهم، فإن

---

(1) I bid ,p 213; ضمن مدى ثمانين ياردة، مساحة الرمي المتوفرة بين جدران المعسكر الخارجي والمهاجمين

ضمن المنطقة الجبلية التي وقعت فيها الاشتباكات.

(2) I bid , p. 212; Martin Ewans , op. cit , p. 91.

(3) Stephen tanner ,op.cit, p. 213

الخيارات السياسية ظلت مشوشة لديهم، وقد يكون توجه (روبرتس) للوجهاء الأفغان أن يثبت لهم أنه أنتصر في هذه المعركة ويريد الرحيل عن أرض الأفغان [1].

تحرك (عبد الرحمن خان) [2] وهو يرتدي الملابس الرسمية الروسية على رأس قوة تقدر بمائة فارس في بداية شهر شباط (1880)م قادماً من طاشقند إلى كابل بغية تأليب الشعب الأفغاني ضد الغزاة، وفي الجانب الآخر وبغية معالجة تتطورات الموقف في أماكن أخرى، فقد شرع الجنرال(ستيورات) على رأس قوة بريطانية من قندهار إلى كابل في شهر نيسان (1880)م وفي مسيرته الطويلة أشتبك مع مسلحين أفغان قُدِّرَ عددهم بسبعة آلاف في ولاية غزنة [3].

وصلت القوة البريطانية إلى (كابل) في اليوم الثاني من شهر آذار، وفي هذا الشهر سقطت حكومة (دزرائيلي) المحافظة، وحلّ بدلاً عنه (كلادستون) (Gladston) لينهي سياستهم المتهورة التي رسموها بهذه الطريقة [4].

أتصل البريطانيون بالأمير (عبد الرحمن خان) في شهر تموز، وفي اليوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه ساعد البريطانيون الأمير ليكون ملكاً أو أميراً وأنهم سيخرجون من البلاد وهي محاولة لتهدئة الخواطر وزرع الشكوك فيما بينهم إلا أن الفاجعة التي حلت بعد مرور خمسة أيام فقط، هي أن القوة البريطانية قرب (قندهار) قد دمرت على يد الثوار الأفغان [5].

---

(1) Stephen tanner, op.cit, p. 213

(2) حفيد الأمير (دوست محمد) أمضى فترة أثني عشر سنة في ضيافة الروس، اعترف به البريطانيون أميراً على أفغانستان في شهر تموز (1880)م، توفي سنة (1901)م.

(3) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص146؛ Stephen tanner ,op. cit,p. 214; Martin Ewans, op. cit, p. 95

(4) محمد حسن العيله، المصدر السابق،ص147؛ Martin Ewans, op. cit, p. 96,

(5) The new Encyclopedia , op.cit, p. 176; Stephen tanner , op. cit, p. 215.

كان (أيوب خان) هو الأخ الآخر ل(يعقوب خان) حاكم ولاية (هيرات) الذي تواجد منذ بداية الأزمة التي فجرها البريطانيون عام (1879)م، كما يمكن القول أن قرب الولاية من دولة فارس قد أسهم في دعمه معنوياً ومادياً [1]. وبسبب تطور الأوضاع في الولايات الأفغانية الأخرى، فقد تحرك هو الآخر على رأس قوة كبيرة ضد الجنرال(براونز) في (قندهار) ودعا خلال مسيرته رجال القبائل الأفغان للإلتحاق به حتى وصل العدد أكثر من عشرين ألف مقاتل. [2]

في الجانب الآخر، كان الجنرال(براونز) على رأس قوة قوامها أربعة الآف مقاتل، وخلال حركته التي جرت في الثالث عشر من شهر تموز رفضت أعداد كبيرة من الأفغان مقاتلة ايوب خان [3]، فما كان من الجنرال (براونز) إلا أن أعاد ترتيب قوته، فوضع كتيبة المشاة السادسة والستون عن الجناح الأيمن والمدفعية في الوسط والمتطوعين الهنود على الجناح الأيسر، أما الخيالة فقد أبقى واجبها في الخلف لحماية معدات وتجهيزات القوة وأي جناح يتعرض للتهديد. [4]

في مكان قريب من قرية (مياوند) (Maiwand) التقت القوات وكانت البداية للمدفعية البريطانية التي حاولت بثقل قنابلها إحداث أكبر ما يمكن من الخسائر وبعثرة حشد الأفغان، إلا أن المفاجأة للبريطانيين، كانت بظهور ثلاثين مدفعاً مع القوات الأفغانية مقابل اثني عشر مدفع في الجانب الآخر، فأمرَّ الجنرال (براونز) رجاله بالإختفاء خلف الطيات الأرضية لتجنب الخسائر، وظهرت الخيالة البريطانية في أضعف حالاتها المعنوية بعد أن تكبدت خسائر في رجالها بالإضافة إلى

---

(1) I bid, p. 176; I bid, p.215.

(2) I bid , p. 215.

(3) Stephen tanner , op. cit, p. 215.

يبقى لدى الجنرال (براونز) قوة لا تتجاوز الألفين والخمسمائة مقاتل.

(4) The new Encyclopaedia , op. cit, p. 176

موت أكثر من مائة وخمسين حصان.[1] فاندفع المشاة الأفغان من أحد الوديان القريبة، إلا أن نيران الأسلحة البريطانية المصوبة على الوديان كان لها تأثير على المهاجرين فأوقعت بهم خسائر[2].

في هذه المرحلة من القتال أمر الأمير (أيوب خان) خيالته مهاجمة الجناح الأيمن ومؤخرة القوة البريطانية وتمكنت من أسر القوة بأكملها[3].

في الساعة الثانية بعد الظهر، أظهر الأفغان قوتهم وصبرهم والسرعة في مهاجمة الجناح الأيسر مما خلف حالة من الذعر بين الجنود الهنود الذين تركوا أسلحتهم وهربوا لاجئين إلى الكتيبة المجاورة، التي تعرضت هي الأخرى إلى الإنهيار الكامل. أما رجال المدفعية فقد خسروا عدد من المدافع نتيجة غارات المشاة الأفغان، حتى لم يبقى في الميدان إلا عدد محدود من رجال كتيبة المشاة السادسة والستون لحماية مؤخرة الرتل البريطاني[4].

وطوال اليوم الثاني تحملت القوة البريطانية الباقية العبأ الأكبر في حركتها وهي تتعرض لهجمات متكررة من قوات الأمير أيوب المتفوقة معنوياً، حتى ظهرت الحصيلة الدامية في الميدان بما يلي: (971) قتيل و (168) جريح من القوات البريطانية والهندية، أما رجال المخيمات، فكانت خسائرهم (331) قتيل وسبعة جرحى، وكان الجرحى القادرين على المسير هم فقط من تمكنوا من النجاة. وصلت أخبار المعركة والانتكاسة الكبيرة التي حلت بالقوات البريطانية إلى أذهان الجنرال (روبرتس) الذي لا زال في مناقشة حادة مع الجنرال (ستيورات) حول التدابير في العاصمة كابل، فقرر في الحادي عشر من آب إرسال عشرة آلاف متطوع إلى

---

(1) Stephen tanner op. cit, p. 216.

(2) I bid, p. 216.

(3) I bid p. 216.

(4) I bid p.216; Martin Ewans , op.cit, p. 96-97.

الجنوب[1] على أن تكون وحدات حامية قندهار تحت قيادته [2]، وبمجهود كبير وصلت هذه القوات في الأول من شهر أيلول لمواجهة الجيش الأفغاني تحت قيادة الأمير أيوب خان. إلا أن خبرة الجنرال (روبرتس) في الميدان، جعلته يختار الهضاب الحاكمة التي سيطرت عليها وحدة (الكَركَه)، وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تمكنت القوات البريطانية بإسناد مدفعي من الأستيلاء على المعسكر الأفغاني، تاركين خلفهم أكثر من ألف قتيل، في حين خسر البريطانيون ستة وثلاثين قتيل ومائتين وثمانية عشر جريح [3].

بعد هدوء الموقف وما أصاب الطرفين من خسائر قرر (روبرتس) في صيف عام (1881)م سحب حامية قندهار إلى الهند، وبوقت مبكر قرر أيضاً إعادة القوة الموجودة في العاصمة (كابل) إلى الهند .. وهكذا أنتهت الحرب البريطانية الأفغانية الثانية بخسائر بشرية ومادية دون سبب معقول لاندلاعها، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار اللعبة الروسية في توريط بريطانيا والأنتقام منها [4].

---

(1) كانت المسافة التي يجب على القوة أن تقطعها من كابل إلى قندهار (534) كم ويتطلب قطعها في عشرين يوما. Stephen tanner op. cit, p. 216.

(2) كانت القوة هناك تتجاوز أثنا عشر ألف من القوات البريطانية، أو أكثر إضافة إلى أن مجموع القوة أصبح أكثر من جيش (أيوب خان) الذي عانى من نسبة خسائر. Stephen tanner , op. cit , p. 217.

(3) I bid , p. 217.

(4) The new encyclopaedia , op. cit,p. 176; محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص147

المبحث الثالث

أفغانستان، الموقع، الموارد، طبيعة المجتمع الأفغاني

تحتل أفغانستان مكانه فريدة بين جيرانها من الدول، وبقية دول العالم الثالث من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، فالجغرافية أصابت هذا البلد بالغبن فهو لا يتمتع بأي منفذ بحري، وميناء (كراجي) الباكستاني الذي يبعد عنها مسافة (750) كم هو أقرب ميناء يمكن أن يخدم اقتصاد أفغانستان. أما الميزة الأخرى فهي أرتفاع اراضيها عن سطح البحر بحدود (1200) متر [1].

أما من الناحية التاريخية فإن أفغانستان واحدة من الدول التي لم يتمكن الغزاة من استعمارها والبقاء فيها وحكم شعبها شأنها شأن المملكة العربية السعودية واليمن الشمالي وأثيوبيا [2].

في تاريخ بلاد الأفغان قديماً، قد أرتبطت بطرق تجارية مع الهند وإمارات وسط آسيا، ولهذا فإن امبراطوريات خلت تمكنت من السيطرة عليها، ففي القرن السادس (ق.م) تمكن الاخمينيون الفرس من إخضاعها [3]. وفي القرن الرابع (ق.م) تمكن (الاسكندر المقدوني) من إخضاع أكثر مناطق الأفغان لقوته [4]. وفي عام (350) (ق.م) سيطر السلوقيين على أجزاء من بلاد الأفغان الشرقية، وفي منتصف القرن

---

(1) يوسف الجهماني، تورا بورا أولى حروب القرن، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2002، ص35.

(2) المصدر نفسه، ص35.

(3) Encoyclopaedia , Britannica , volume I , events 1768, U.S.A , P. 164.

(4) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص17.

الثالث (ق.م) أستقل الحاكم (ديودوتس) عن السلوقيين فأسس مملكة مستقلة كانت إمارة كابل جزءاً منها [(1)].

في القرن الأول الميلادي تمكنت قوة (الكوشان) من مدّ قوتها إلى مناطق متباعدة في أفغانستان بما فيها كابل . وفي القرن الرابع تعرضت البلاد إلى غزو (الهياطله)، الذين انهزموا أمام قوة مشتركة عاتيه من وسط آسيا (أتراك غربيون وفرس) عام (565) ميلادية واستمر الأتراك في حكمهم حتى جاءتهم موجات من المقاتلين الصينيين عام (658) لتقوض نفوذهم، ولكن العرب المقاتلة كانوا في مسيرة إيمانية متصاعدة لنشر رسالة دينهم [(2)].

في القرن السابع الميلادي تمكن العرب المسلمين من تحرير بلاد الأفغان ونشر تعاليم الدين الإسلامي، وأضحى وجودهم والتعاليم الجديدة رحمه للمجتمع الأفغاني الذي عانى من قساوة من سبقوهم، فكان الوالي عبد الله بن عامر (649م - 656م) (29 -36هـ) في مدينة هيرات (ذلك الربع من خراسان المعروف اليوم أفغانستان)، وتبعه (الأحنف بن قيس) إلى ولاية (بلخ) واستمرت السلالات العربية حتى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين [(3)] من الوصول والتواجد على تلك الأرض القصيه. وفي القرن الثالث عشر تمكنت جيوش المغول بقيادة (جينكز خان) من الاستيلاء على المدن الأفغانية ناشرين القتل والدمار بين أهلها الذين قاتلوهم دفاعاً عن دينهم وشرفهم وقراهم حتى حولوا ولايات (هيرات) و(بلخ) (وقندهار)و(غزنة) إلى مدن خاوية [(4)]. وبعد وفاة (جنكيز خان) تمكن بعض الزعماء الأفغان من إقامة إمارات مستقلة دون الاكتراث بتوحيدها حتى نهاية القرن الرابع عشر، عندما

---

(1) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص35.

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص35.

(3) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص19.

(4) Stephen Tanner , op.cit, p. 81.

(4) Encoyclopaedia Britannica, op. cit, p.121.

تمكن جيش (تيمور لنك) من احتلال أجزاء كبيرة من أراضيها بما فيها العاصمة (هيرات) (1404 -1507)م [1]، غير أن التيموريين فيما بعد هادنوا شعوب الولايات المحتلة وأصبحت الحياة هادئة يسودها السلام بل غدت مراكز للثقافة الاسلامية. (2)

في بداية القرن السادس عشر تمكن الأوزبك ذوي الأصول التركية من السيطرة على مدينة هيرات بقيادة (محمد خان الشيباني) غير أن حكمه لم يستمر طويلاً بعد أن حاصره الصفويين الفرس في ولاية (مرو) وقتله [3].

حاول المغول العوده إلا أنهم بقوا في مناطق جنوب هندكوش قرنيين من الزمن أما الصفويين فظلوا أصحاب نفوذ في مناطق غرب أفغانستان [4].

في بداية القرن الثامن عشر سادت الروح الوطنية بين الأفغان إضافة إلى أستعدادهم للدفاع عن بلدهم ضد الطامع الأجنبي؛ ففي سنة (1709) م تمكن الأفغاني(ميرويس خان) زعيم قبيلة (هوتاكي غلزائي) من قيادة قوة ضد حاكم (قندهار) الفارسي وقتله . وفي سنة 1716 تمكن أمير أفغاني آخر من تحرير مدينة هيرات [5]، وما أن جاء عام (1747)م حتى أصبح هناك ملك للأفغان أسمه (أحمد شاه دراني) الذي تمكن بعد كفاح مرير استمر خمسة وعشرون سنة من توحيد بلده. [6] وخلال القرنين التاسع عشر والعشرين واجهت أفغانستان التدخل الروسي والبريطاني على أراضيها طمعاً بها.

---

(2) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص38.

(3) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص37.

(4) Encoyclopaedia Britannica, op. cit, p. 121.

(5) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص37.

(6) Encoyclopaedia Britannica, op.cit, p. 121.

(اريانا)[1] هو الأسم الذي عرفت به أفغانستان في العصور القديمة، وفي القرن الخامس الميلادي عرفت هذه الدولة باسم (خراسان) – الكائنة في الجزء الشمالي منها –(أي بلاد الشرق) واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر، ثم عرفت فيما بعد باسم أفغانستان أي أرض الأفغان[2]. تبلغ مساحة أفغانستان ما يقرب من (647.5)كم2[3]، وتذكر الموسوعة البريطانية أن المساحة (652.221)كم2[4]، تقع هذه الدولة في جنوب وسط آسيا، حكمها أمراء وملوك منذ عام (1747)م واستمر الحال حتى أصبحت جمهورية عام (1973)م[5] يبلغ تعداد سكانها حوالي أربعة وعشرون مليون نسمة، وتذكر المصادر الأخرى أنه في عام (1971)م كان تعداد السكان (17.500) مليون نسمة،[6] أما حدود هذه الدولة المغلقة عن البحر، من الشمال جمهوريات الأتحاد السوفييتي سابقاً (تركمانستان، أوزبكستان، طاجكستان) وفي الغرب إيران ومن الجنوب والشرق باكستان، أما الصين فلها

دخل أحمد شاه على رأس قوة قوامها (4000) أربعة آلاف أفغاني إلى قندهار وانتخب ملكاً فيها من قبل مجلس قبلي، وتمكن من قيادة جيوشه من مشهد إلى كشمير ودلهي ومن نهر جيحون إلى بحر العرب، ولشمائله الطيبة وشجاعته لقب بأسم بابا أي والد الأمة. يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص37؛ Martin Ewans, op.cit, p.33.

(1) كان مؤرخو اليونان القدامى يطلقون اسم (أريانا) أي البلاد الآريه وبلاد الآريين على جزء من البلاد، وكلمة آري تعني (النبيل) ولا يزال الأفغان يحرصون على هذا الاسم لكي يؤكدون على نبل أصولهم.

احسان حقي، المصدر السابق، ص30.

(2) يسرى عبد الرزاق الجوهري، جغرافية الشعوب الإسلامية، منشأة المعارف بالأسكندرية، 1981 ص291،

(3) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص11.

(4) Encyclopaedia Britannica, volume I,U.S.A,Events of 1768,1979, p. 164.

(5) Encyclopaedia Britannica , volume I , Microaedia U.S.A 1979,P. 121

(6) I bid , p. 164.

حدود ضيقة مع أفغانستان لا تتجاوز ثمانين كيلو متر في أقصى الشمال الشرقي، أما عاصمتها اليوم فهي كابل .

أسست الحدود الحالية لدولة أفغانستان في القرن التاسع عشر بموجب اتفاق بين الامبراطوريتين البريطانية والروسية اللذيّن أدارا صراعاً طويلاً استمر أربعين عاماً بغية السيطرة على تلك الدولة، وكان همُّ البريطانيين أن تكون أفغانستان دولة حاجزة (Buffer state) بوجه التهديد الروسي المتزايد لمستعمراتها في الهند وقد تحقق ذلك كما رأينا (1).

أما المسرح الجغرافي لإفغانستان، فيمكن القول وبنظرة أولية على خارطتها أنها تشبه الورقة النباتية في شكلها، غير أن هذه الورقة في منطقة جبلية معقدة ووعرة، تقع في القسم الشمالي الشرقي من هضبة إيران في منطقة عقدة هضبة (البامير) التي تلتقي فيها السلاسل الجبلية بجبال (هندوكوش) التي تتصل بدورها بجبال الهملايا العصية (2).

تقسم جبال (هندوكوش) أفغانستان إلى ثلاث مقاطعات جغرافية، فالمنطقة الشمالية منها تتميز بأرض سهلة وتربتها خصبة صالحة للزراعة وتتحدر تدريجياً باتجاه نهر (أموداريا) فيما تظهر لنا مقاطعة جنوب البلاد كونها عبارة عن هضاب عالية تتحدر فيما بعد إلى مناطق صحراوية رملية، أما المقاطعة الوسطى فهي التي تتميز بوعورة جبالها العالية التي تتراوح بين ألفين إلى عشرة آلاف قدم، ووديانها العميقة الضيقة (3)، وما تبقى من أجزاء في جنوبها الشرقي فتظهر لنا صحراء راجستان الواسعة (4).

---

(1) I bid, p. 164.

(2) يسرى عبد الرزاق الجوهري، المصدر السابق، ص292.

(3) Encyclopaedia Britannica , op, cit, p. 165.

(4) I bid , p. 165.

يظهر من جبال أفغانستان الوعرة والمعقدة وصخورها الداكنة وامتدادها بجبال الهملايا أن لها تسمية واستحقاق أن يطلق عليها (سقف العالم) (1).

أما مصادر أنهار أفغانستان ومن الناحية العملية فإن معظمها تأتي من مناطق تقع وسط هذه الجبال، وتنحدر إلى الأماكن الأقل ارتفاعاً ومنها ما يشكل بحيرات صغيرة (2) والقسم الآخر يذهب إلى صحراء رملية ليختفي في باطن الأرض. أما الأنهار التي تنبع من المناطق الشرقية فإن جريانها يمكن أن يصل إلى نهر الهندوس الذي يصب في البحر العربي. أن نظام التصريف المار ذكره مقرون بعدد من الأنهار مثل نهر أموداريا (3)، هيلمند، نهر كابل (4)، وأنهار هري رود (1). انظر الخريطة رقم(2)

---

(1) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص14.

(2) Encyclopaedia Britannica , op, cit, p. 164;

توجد بحيرتان رئيسيتان في أفغانستان، الأولى تسمى (همون الصبرا) (Hamuna saberi) والأخرى (آب استده) (Ab-e istadeh) التي تقع جنوب ولاية غزنة بـ(100)كم في أعلى أرض (حضرة جات) (Hazarajat). كما توجد خمس بحيرات صغيرة سميت باند امير (Band Ameir) وتتميز صخورها بين الأبيض الحلبي والأخضر الداكن وهي بمثابة جذب ممتاز للسياح الأجانب .Encyclopaedia Britannica , op ,cit, p. 165

(3) نهر أموداريا، يمتد لمسافة (1000) كم ويفصل بين حدود الأتحاد السوفييتي قديماً (طاجاكستان حديثا)، يبدأ منبعه من هضبة اليامير الثلجية وتتصرف مياهه في أرض مساحتها (390000)كم^2 في ولاية (بدخشان) وشمالاً ولاية (كادخان) ومزار شريف وتصل قسم من روافده إلى ولاية (قندز).

(4) في العاصمة كابل سمي النهر فيها باسمها أي نهر (كابل) طوله حوالي (1167)كم روافده في وادي (يانجشير) وممر (سالانك) (وكونار)، تتصرف مياهه في شرق أفغانستان في مساحة تقدر بـ (53333) كم^2، أما منبعه الرئيسي فهو نهر الهندوس في مدينة (أتوك) الهندية.

نهر هري رود، اشتق اسمه من مدينة (هيرات) المجاورة لإيران، يسير بإتجاه الغرب بعد ريّ وادي (هيرات) وتتصرف مياهه في صحراء رملية في جمهورية تركمانستان الحالية. أما الأنهر الأخرى فهي (المرغاب) في الشمال الغربي، (فرح رود) في الجنوب الغربي، ونهر (كاومل) Gow mal

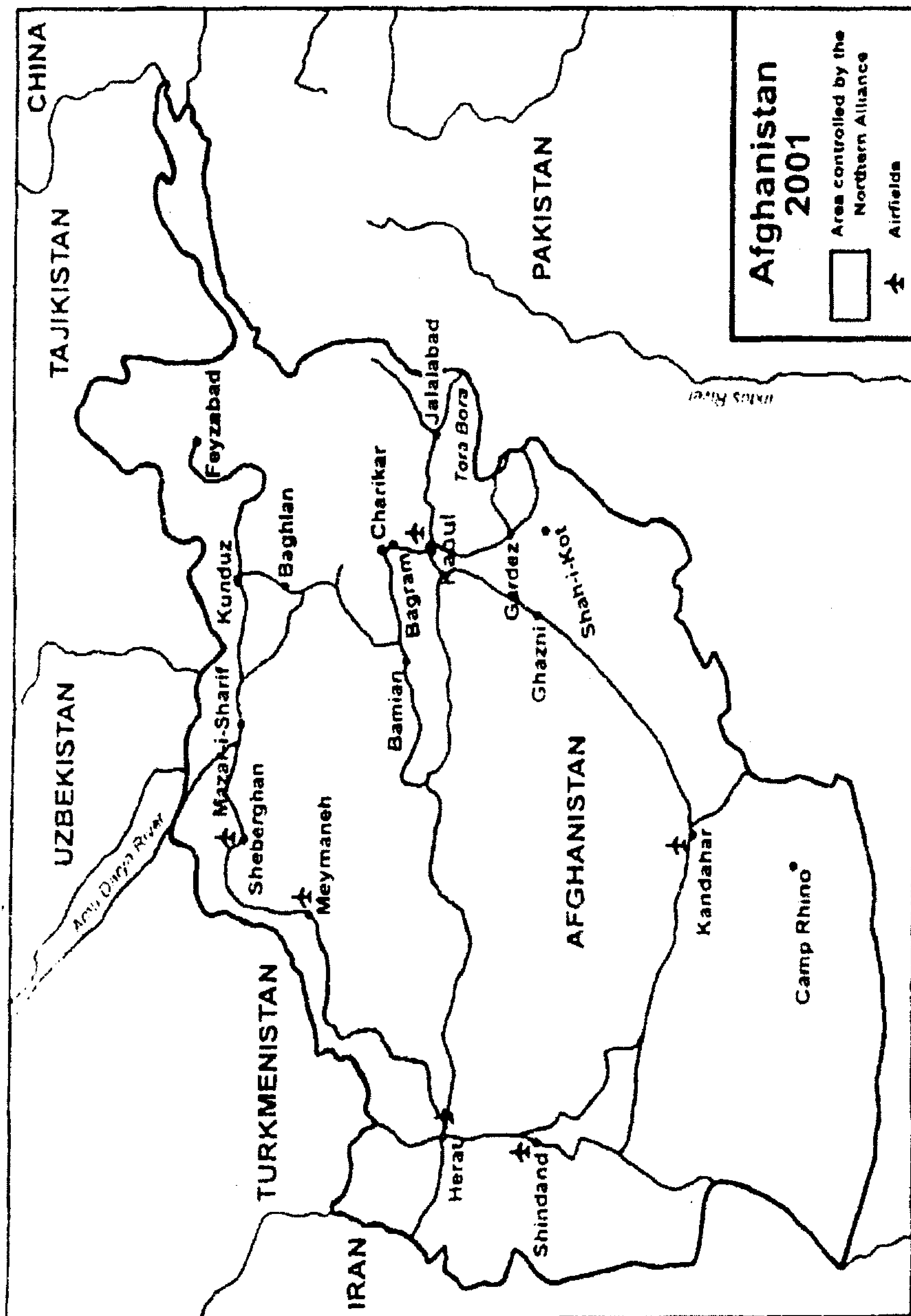
المصادر الطبيعية هي الأخرى مخزونة في باطن أرض أفغانستان، فعندما بدأت الدولة تخطط لتطوير أقتصادها في منتصف الخمسينات، تبين أن مشاكلها ليست بسبب ضعف التنظيم وندرة المعاهد المتخصصة لتدريس الاقتصاد الحديث وكيفية تنشيطه وإنما في الإدارة والخبرة الفنية في استغلال ثرواتها، وعلى هذا الأساس فإن مستوى التطور مع جيرانها من الدول المحيطة لا يقارن ولكن مع سوء الحال فهناك تحسن طفيف نال المجتمع الأفغاني عام (1970)م .

في الشرق. إحسان حقي، المصدر السابق، ص 21 -22، Encyclopaedial Beitannica op, cit, p. 165; محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص15؛

يسرى عبد الرزاق الجوهري، المصدر السابق، ص293؛ Encyclopaedial Beitannica,op.cit, p.169.

(1) نهر هلمند، طوله حوالي (1500)كم² وينبع من مرتفعات (بغمان) الجبلية الكائنة غرب (كابل) العاصمة، وتتصرف مياهه جنوب أفغانستان في مساحة تقارب (16667)كم² وهو الذي يزود بحيرة (الصبرا) بالمياه وقسم منه يخرج إلى الأراضي الإيرانية.

خارطة انهار أفغانستان



نتيجة للمسح المكثف ظهر وجود موارد طبيعية ذات مردود اقتصادي، فظهر وجود احتياط من الغاز الطبيعي يقدر بـ (10.600.000.000) مليار قدم مكعب في ولاية (جوزجان)، والحديد قرب ولاية (هجكاك)، وفي الشمال الغربي من العاصمة كابل وجد الفحم الحجري على السفوح الشمالية لجبال (هندوكوش)، ومعادن النحاس والزنك وجدت قرب ولاية (قندز) والعناصر الفلزية (بريليوم) في ولاية (كونار) والمهم في هذه الدولة التي ليس لها شواطئ ولا بحر وجود حقول النفط في ولاية (جوزجان).

يتسم مناخ أفغانستان بالقارية [1]، ويدخل لها الهواء البارد من جهة الشمال، وعندما تتعرض للمنخفض الجوي القادم من المحيط الهندي فإن الهواء البارد يدخلها عن طريق الشمال الغربي [2].

إن تأثير الطقس بهذه الصورة أدى إلى سقوط الثلج بكميات كبيرة في المناطق المرتفعة وخصوصاً في فصلي الشتاء والربيع، وأمطار في المناطق المنخفضة، كما أن المناطق الغربية تتعرض لرياح قوية تعرف بأسم رياح المائة وعشرين يوماً [3].

في فصل الصيف تسقط أمطار كثيرة أيضاً وتظهر زوابع رعدية خصوصاً في الاقسام الشرقية من البلاد مثل ولاية (ننكهار) (وبكتيا) ومناطقها المرتفعة، كما أن الرطوبة تظهر نتيجة لهبوب الرياح القادمة من الجنوب الغربي أي من الخليج العربي [4].

---

(1) يسرى عبد الرزاق الجوهري، المصدر السابق، ص293.

(2) Encyclopaedia Britannica, op, cit, p. 165 محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص16؛

(3) يسرى عبد الرزاق الجوهري، المصدر السابق، ص295

يبدأ فصل الربيع في 21 آذار من كل سنة. محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص14.

(4) Encyclopaedia Britannica , op. cit, p. 165.

تتميز أفغانستان بالفرق في درجات الحرارة، فشتاءها بارد جداً وصيفها حار كما هو الحال في ولاية (جلال آباد)، وسجلت أعلى درجة حرارة في شهر تموز (49) درجة مئوية وادناه (-3) درجة مئوية، وفي مدينة كابل العاصمة التي تقع على أرتفاع (600) قدم عن سطح البحر، فقد سجلت أعلى درجة حرارة فيها (36) درجة مئوية وادناها (-31) درجة مئوية، أما المعدل في شهر تموز فكان حوالي (24) درجة مئوية وفي شهر كانون الثاني (-3) درجة مئوية. ويمكن القول إلى أن الحرارة التي يصفها كاتب الموسوعة لا يمكن مقارنتها بأي درجة حرارة في دول المشرق العربي، أضف إلى ذلك أن مجرد غياب الشمس في أفغانستان يعني هبوط حاد في درجة الحرارة [1].

في أفغانستان، أجرت وزارة الزراعة مسحاً للأراضي الزراعية التي يمكن الزراعة فيها، وتبين وجود حوالي أربعة عشر مليون هكتار، إلا أن نسبة الأرض المتصلحة كانت لا تزال دون ثمانية مليون هكتار [2]، حيث يعتمد المزارعين فيها بالدرجة الأساس على كميات الأمطار الساقطة وعلى نظام ري بدائي متخلف [3]. ويعتبر القمح والقطن من المحاصيل المهمة التي يركز عليها الفلاحين بغية ضمان أمن غذائي، ويأتي الرز في الدرجة الثانية، أما المحاصيل الأخرى فهي (الذرة، والدخن، وحبوب القطن) لإنتاج الزيوت النباتية، كما يزرع الثوم والسمسم والتبغ وبنجر السكر [4].

---

(1) Encyclopaedia Britannica, op, cit, p. 165.

(2) يسرى عبد الرزاق الجوهري، المصدر السابق، ص295.

(3) جيمس كيرن، فليب كارير، محنه أفغانستان تضع منطقة جنوب آسيا في خطر، مترجم (مديرية التطوير القتالي) (وزارة الدفاع)، بغداد، 1984، ص9.

(4) Encyclopaedia Britannica, op, cit , p. 169.

بلغ الإنتاج السنوي للقمح (2.300.000) مليون طن ومثلها تقريباً للفواكة التي تصدر منها ما يقارب (890.000) الف طن إلى أوروبا وآسيا [1].

في أفغانستان ثروة حيوانية تقدر بحوالي (21.500.000) مليون من الأغنام والماعز وبحدود أربعة ملايين من الماشية وعدد كبير من الجمال [2]. غير أن هذه الأرقام تتأرجح من سنة إلى أخرى بسبب كمية الأمطار الساقطة لتوفير الغذاء لها [3].

أما في مجال الصناعة الحديثة فإنها تعتمد على الإنتاج الزراعي، كما أن الصناعات القطنية والحريرية قد تضاعف إنتاجها لتصل إلى (187.000) ألف قدم، وهناك صناعة السمنت، السكر، الزيوت النباتية، وتجفيف الفواكة . وتجدر الإشارة إلى أن السوفييت ساهموا في بناء عدد من المصانع في ولاية مزار شريف عام 1974م [4].

أفغانستان ودين الإسلام

بدأت الفتوحات العربية الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين منذ بداية القرن السابع الميلادي لمناطق العراق والشام ومصر .

وفي بداية القرن الثامن وصلت الفتوحات إمارات آسيا الوسطى، حيث تمكن القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي من الوصول إلى سمرقند والمناطق الأبعد منها

---

(4) I bid, p.169.

(2) يسرى عبد الرزاق الجوهري، المصدر السابق، ص295.

(3) المصدر نفسه، ص296.

(4) Encyclopaedia Britannica, op, cit, p.169; يسرى عبد الرزاق الجوهري، ص296

عام (712)م [1]. في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب 639م تمكنت القوات العربية من الدخول في عمق الهضبة الإيرانية لنشر تعاليم الإسلام . وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان واصلت هذه القوات بقيادة (الاحنف بن قيس) [2] فتح أولى الإمارات الأفغانية (هيرات) [3] بعد مقتل (يزدجرد) آخر ملوك الساسانين في إمارة مرو، وخلف (الأحنف بن قيس) القائد العربي (خالد بن عبد الله) الذي توسع هو الآخر في نشر تعاليم الإسلام دون أن يصل إلى الإمارات الأفغانية الرئيسية . أما خلال فترة تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة، فقد بعث بقائده (المهلب بن أبي صفرة) الذي استمر في فتوحاته حتى تمكن من العاصمة (كابل) [4] وقد ترك العرب الحكام المحليين في هيرات وبلخ وكابل للإدارة المدنية .

ومع أعتراف المسلمين في آسيا الوسطى بسلطان العرب ودينهم لم تختف السلالات العربية من العاصمة (كابل) إلا في القرنين التاسع والعاشر بعد ضعف الخلافة العباسية [5] .

أندمج المجتمع الأفغاني بالدين الجديد، وتسابقوا في ما بعد لنشره في الإمارات الأفغانية الأخرى، وشبه القارة الهندية، [6] ومع أنحلال الخلافة العربية الإسلامية في بداية القرن التاسع، أنتقلت السلطة في أواسط آسيا إلى السلالات المحلية من الطاهريين ثم السامانيين في القرنين التاسع والعاشر، إلا أن الموروث في آسيا الوسطى

---

(1) مجيد حميد عارف، عرب في وسط آسيا، مجلة آفاق عربية، العدد 2 السنة الحادية عشر، شباط1986، ص99.

(2) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص18؛ يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص35.

(3) المصدر نفسه، ص18.

(4) إحسان حقي، المصدر السابق، ص31.

(5) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص36

(6) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص19

بقي يدلنا إلى وجود الأحفاد من العرب، الذين لم تذكرهم إلا دراسات قليلة [1].
ومن هذه السلالات الإسلامية.

(أ) الطاهرية، مؤسسها طاهر عبد الحسين عام 820 -874م في عهد الخليفة المأمون بن هارون الرشيد وكانت تسيطر على مقاطعات بلخ وهيرات من مركزها في خراسان [2]

(ب) الصفارية، مؤسسها يعقوب بن ليث الصفار .عام (768 -903)م، كان يتميز بحسن التدبير واختيار رجاله وتنظيم الجيوش، وقد نجح في تأسيس دولة شملت أرجاء فارس إلى أسوار بغداد، وجاء بعده تولي أخيه (عمرو بن الليث)، وقد ساءت العلاقة مع الخلافة العباسية زمن الخليفة (المعتمد)الذي خلعه عن البلاد على ملأ من أهل خراسان، ويعود سرُّ الخلاف إلى قيام (عمرو) بتقليد محمد بن طاهر بلاد خراسان بدون موافقة الخليفة العباسي [3].

(ج) الدولة السامانية، يرجع أصول هذه الدولة إلى رجل فارسي يدعى (بهرام جور) وكانت لهم حظوه لدى الخليفة العباسي المأمون، اعتنق الإسلام وسمي ابنه (اسد بن عبدالله القسري) الذي تولى ولاية خراسان في عهد الأمويين[4] أسس

---

(1) مجيد حميد عارف، المصدر السابق، ص99، هناك معلومات كشفت عنها دراسات أساتذة معهد (الاثنوغرافيا) في أكاديمية العلوم السوفييتية أن جماعات العرب المحافظين على إنتماءاتهم القومية يسكنون شمال افغانستان في مناطق (بلخة) –بلخ)وقدموا إلى ربوع أواسط آسيا وكازاخستان في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص28؛س.أتوكاريف، أثنوغرافيا، شعوب الأتحادالسوفييتي، موسكو، 1958، ص398

(2) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص15؛ يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص36.

(3) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، بيروت، ج(3)ط7، 1965، ص68.

(4) حسن ابراهيم حسن، المصدر السابق، ص74.

هذه الدولة عام (874)م وتميز الولاة الذي حكموا هذه الدولة بالعقل والعدل والأدب وحبهم للعلم حتى أزدهرت في عهدهم بخارى وسمرقند وبلخ.[1]

(د) الدولة الغزنوية، تمكن أحد موالي الأتراك (البتكين) من السيطرة على غزنة في القرن العاشر الميلادي بعد أن تمكن من طرد حاكمها السابق، ثم جاء (سبكتكين) (Swbuktigin) وهو أحد موالي (البتكين)وزوج ابنته مؤسس الدولة الغزنوية[2]. تمكن (سوبكتن) من مدّ سلطانه إلى خراسان، و(بست)الواقعة بين (سجستان وهيرات)،[3] وعهد (سوبكتن) قبل وفاته إلى ابنه (اسماعيل)الذي لم يتمكن من تدبير أمور الدولة حتى استقر الأمر بيد أخيه (محمود) الذي جاء إلى السلطة سنة (998 -1187)[4] وعلى يدٌ (محمود) أصبحت كل أفغانستان تحت سيطرته، كما تمكن من ولاية (البنجاب) و(ملتان) وشن غارات في قلب (الهند)اثنتا عشرة مرة،[5] وكان محمود الغزنوي أول من تلقب بلقب سلطان بل كان يلقب بالأمير[6]

أما طبيعة المجتمع الأفغاني فهي ذات طبيعة عشائرية، ومثل هذه الطبيعة لا تستسلم لعملية بناء الأمة ولا إلى المؤسسات العسكرية التقليدية، إلا أنها تؤمن رابطة عائلية دينية تزيدها قوة وليس ضعفاً[7]. أن ما يميز الأفغاني كونه محارب معروف بقوته وعناده ويعتز بشرفه –(نانجي بوختانا) – الذي يضعه فوق كل اعتبار، وإذا ما حصل خلاف في ذلك فإنه تعوّد على حلّ مشاكله بالقتل لأخذ الثأر أو قبول الفدية

---

(1) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص36.

(2) The new Encyclopedia Britannica,op.cit,173

(3) حسن ابراهيم حسن، المصدر السابق، ص85

(4) The new Encyclopedia ,op.cit,p.173

(5) I bid ,p. 173

(6) حسن ابراهيم حسن، المصدر السابق، ص88

(7) جيمس كيرن، فيلب كارير، المصدر السابق، ص9.

من القبيلة الأخرى. وفي ديمومة هذه الحالة التي استمرت حتى وقتنا الحاضر فأن أمير القبيلة لا يعترف بحكم الأمير في العاصمة كابل، فهو الأمام في الصلاة والقاضي في الأحوال الأخرى[1]. وعلى هذا الأساس فإن سكانها يصنفون على شكل قبائل هي:

أ. البشتون (PASHTUNS) نتيجة للغزو المغولي، استقرت عوائل منهم في أفغانستان وبالأخص في منطقة (قندهار) معقلهم الأساسي وفي العاصمة كابل، كما توجد أعداد كبيرة منهم في الجنوب والشرق ووسط البلاد، يعتبر البشتون أنفسهم سكان البلاد الأصليين.[2] ويميل البشتوني إلى السكن في الجبال ويقوم برعي الماشية والإبل، ويعرف بالشجاعة وقوة التحمل والميل إلى الحياة الهادئة ويحب الحرية الفردية . تبلغ نسبتهم ما بين خمسة وخمسين إلى ستين بالمائة [3]. أمنَّ البشتون تفوقهم العسكري والسياسي منذ بداية قيام الدولة في أواخر القرن الثامن عشر، إلا أن اللغة الدارجة في البلاد هي لغة (البشتو) ولغة (الداري). تدين قبائل البشتون بدين الإسلام [4].

ب. الطاجيك (TAJIKS) من أصول إيرانية قديمة، يتكلمون لغة الداري وهي لغة ثلثي سكان البلاد، وعلى الرغم من أن قسماً منهم يشتغل بالزراعة إلا أن معظمهم يمارس التجارة، حتى تمكنوا من تكوين طبقة من التجار في

---

(1) روبيرشنيرب، المصدر السابق، 418.

(2) يمتاز البشتون بالقامة الطويلة والوجه المنتظم، الشعر الأسود، والبشرة الخفيفة السمرة، الأنف البارز، والعيون السود، لهم قبائل في الباكستان يطلق عليهم (البتان). محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص28 ؛ يسرى عبد الرزاق الجوهري، المصدر السابق، ص291.

(3) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص42؛أن نسبة الباشتون في معظم المصادر تميل إلى 60٪ في حين تتفرد دائرة المعارف البريطانية (غير مترجم) بأن نسبتهم50٪. The new Encoyclopaedia , op. cit, p. 155.

(4) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص28.

كابل والمدن الأخرى، تبلغ نسبتهم ما بين عشرون إلى خمسة وعشرون بالمائة [1].

ج. الهزارة (HAZZARA) من أصلاب رجال (جنكيز خان) الذي غزى أفغانستان في القرن الثالث عشر [2]، ومن يمشي في شوارع العاصمة كابل لا يمكن أن يخطأ في سماتهم المغولية إطلاقاً . يدين الهزارة بدين الإسلام وهم من الشيعة الأمامية . ويطلق السكان عليهم لقب (الهزاركي) ويمتهنون حرفة الزراعة، يتجمع معظمهم في وسط البلاد وجنوب جبال هندوكوش . ينتظم الهزارة حالياً في حزب أسمه حزب الوحدة المدعوم من إيران، وتبلغ نسبتهم حوالي ثمانية بالمئة [3].

د. مجموعة القبائل من أصل تركي . يسكن هؤلاء في المقاطعات الشمالية من البلاد ولا تتجاوز نسبتهم عشرة بالمائة ومنهم :

أولا : التركمان . حوالي مائة وخمسة وعشرون ألف، نصفهم يعيشون في المدن والنصف الآخر قبائل رحل (رعاة أغنام) .

ثانيا : القرغيز . بضعة آلاف يسكنون المنطقة الباردة في هضبة البامير، وهم قبائل رحل. .

---

(1) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص42؛ أن نسبتهم في معظم المصادر ما بين النسبة الواردة أعلاه، ويختلف محمد العيد مطمر فيذكر انها 31٪.

محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص28، يتميز (الطاجيكي) بالبشرة الشاحبة، والقامة فوق المتوسط، الرأس العريض، عيون سود وزرقاء.

(2) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص28، ذكر أن نسبتهم حوالي 3٪ في حين ذكرت مصادر المعارف البريطانية 9٪، أما يوسف الجهماني فذكر أن نسبتهم 8٪.

(3) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص43.

ثالثا : الايمق . بضعة آلاف، وهم يتكلمون اللغة التركية ويدينون بدين الإسلام[1].

هـ. الأوزبك (OZIBK) . يحتل الأوزبك المرتبة الثالثة في بنية المجتمع الأفغاني لغتهم هي التركية، ونسبتهم لا تزيد عن تسعة بالمائة[2]، ومن رجالهم الجنرال(عبد الرشيد دوستم) قائد القوات الشمالية ضد طالبان إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان عام 2001م[3].

و. الهنود، السيخ، اليهود، الأرمن، يتجمع هؤلاء في المدن الرئيسية وبالأخص العاصمة كابل، يمتهن هؤلاء التجارة، وأعمال الصيرفة، أما نسبتهم فلا تتجاوز الواحد بالمائة[4].

ز. النورستان . إنهم من بقايا سلالة جيش الاسكندر الكبير، ظل هؤلاء وثنيين ثم أعتنقوا الإسلام عام (1896)م على يد الأمير عبد الرحمن خان فأطلق على مقاطعتهم اسم (نورستان) أي بلاد النور.يبلغ تعدادهم مائتان وخمسون ألف[5].

ح. البلوش . يبلغ عددهم ما بين ستمائة إلى سبعمائة ألف نسمة وهم مقسومين بين سكان مدن وبدو رحل تضم عدة قبائل[6]. وفي عام (711)م أعتنق

---

(1) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص43.

(2) The new Encoyclopaedia ,op. cit, p. 155.

(3) Stephen tanner ,op. cit, p.81.

(4) الأرمن، انزوى عدد كبير منهم مع النورستانيين في الشمال، وبإمر من السلطان عبد الحميد العثماني تم إبعادهم عام (1897)م يوسف الجهماني، المصدر السابق،ص43.

(5) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص137 ؛ ذكر يوسف الجهماني أن عددهم مائة ألف، وبالأخذ بعين الأعتبار أنهم أسلموا في القرن التاسع عشر على يد الأمير الأفغاني، فتجد أن النسبة المذكورة وكما ذكرها يوسف الجهماني هي قليلة.

(6) يذكر محمد العيد مطمر، نقلاً عن كتاب بلوجستان ديار العرب،للإستاذ معن العجلي، أن أصل قبائل البلوش من العرب ؛ محمد العيد مطمر،المصدر السابق،ص110.

سكان مقاطعة بلوجستان دين الإسلام بعد أن دخلها الفاتح العربي محمد بن القاسم الثقفي، وارتبطت مع ولاية السند إدارياً أثناء فترة الحكم الأموي والعباسي[1]. انظر خريطة رقم (3).

ط. البراهوي . أقليات إثنية قليلة لا يتجاوز عددهم أكثر من مائة ألف نسمة [2]. وينتشرون في الشمال ويمتهنون الزراعة والرعي.

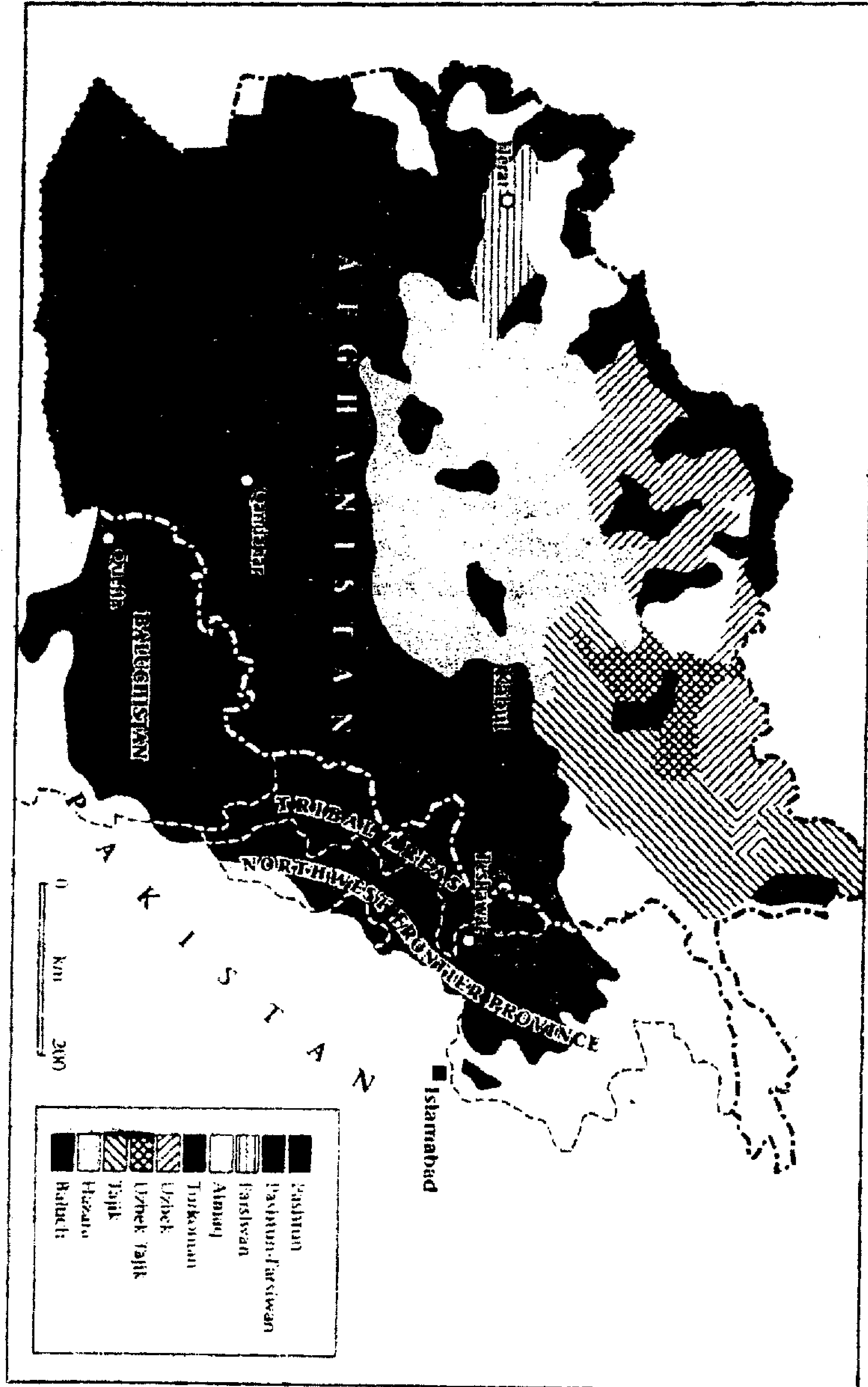
---

(1) عبد علي حسن الخفاف، جهاد صالح العمر، بلوجستان الكبرى دراسة في الأرض والأنسان، جامعة البصرة، 1987، ص46.

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص43.

خريطة رقم (3)

توزيع المجموعات الاثنيّة الافغانية



أما أهم ما يميز المجتمع الأفغاني من عادات وتقاليد نجدها في الطابع الخاص الذي يميز تشكيلة البشر، فالأجناس متعددة المشارب والأشكال وكلها تتداخل في نسيج واحد، فهؤلاء البشتون والطاجيك والبلوش بقمصانهم الطويلة والسراويل الفضفاضة والعمائم الكبيرة، ومن بين هؤلاء تجد التركماني والأوزبكي بثيابهم المخططة وأحذيتهم العالية وترى في شوارع المدن (الجادر)الذي يغطي جسم المرأة الافغانية حتى اليديّن عدا الشبكة التي تغطي الوجه والعينين والتي بواسطتها ترى المرأة ما تريد.

يحتفل الأفغان بعيد الربيع (نوروز) في (21) آذار من كل عام أول (حمل) (1) وتتعطل الأعمال ويتبادل الأهالي التهاني والزيارات وتحمل العوائل الأكلات الشعبية إلى الحدائق ويرتدون أجمل الملابس ويلهون أطفالهم بالألعاب العفوية .

وتقول الأساطير في هذا العيد أن عجوزاً تنزل في هذا اليوم إلى الدنيا وتتأرجح بين واديين ومجرى نهر، فإذا سقطت العجوز أثناء تأرجحها في النهر فإن شتاء أفغانستان سيكون بارداً قارصاً وتزداد كميات الأمطار الساقطة، وإذا لم تسقط فإن الشتاء سيكون عادياً، أما إذا جاءت الأمطار غزيرة فيعني أنها غسلت شعرها في النهر.

تعمل المرأة الأفغانية في معظم مرافق الحياة المألوفة في يومنا هذا، ولكن على نطاق محدود فيما يتعلق بالطب والهندسة والصيدلة والتدريس واللغات والتجارة، ويمكن القول أن الأعمال الداخلية البيتية هي الأكثر شيوعاً وملائمة للمرأة الأفغانية في ممارسة مهنة الحياكة للسجاد الحريري والبساط القطني والخياطة

---

(1) الشهور المستعملة في أفغانستان هي * حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة، ميزان، عقرب، قوس، جدي، دلو، حوت، وتمتاز هذه الشهور بأن أولها شهر (حمل) أول يوم من فصل الربيع (21) آذار. يبدأ فصل الصيف في أول سرطان وفصل الخريف في أول ميزان وفصل الشتاء في أول جدي وينتهي العام بانتهاء فصل الشتاء. محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص39.

والاعتناء بتربية الأبقار والماشية التي تعتمد على حليبها لتربية الأطفال وتستفاد من الصوف والجلود لصناعة الملابس .

محلات البيع هي الأخرى تغير مكانها، فشارع الدواجن في كابل، قد تغير اسمه وأصبح مكاناً لتجمع السواح الأجانب، حيث يجدون فيه السجاد الذي صنعته المرأة التركمانية، والجلود والفرو المصنع من قبائل الطاجيك، والأساور الفضية من مناطق النور ستان، كما يمكن مشاهدة البنادق والمسدسات المصنعة من قبائل البشتون والبلوش والهزارة وهي جميلة بزخرفتها وأصدافها [1].

تتميز قبائل أفغانستان بشغفها الكبير في ممارسة الألعاب الشعبية ذات القوة البدنية، ومن أشهر الألعاب الفروسية، تسلق الجبال، الصيد، اللعب بالسيف والرمح، المصارعة. إلا أن ما يميز كل هذه الألعاب لعبة (البزكشي) (BUZKASHE) [2]، وقد جرت العادة أن تجري العاب أخرى مع هذه اللعبة كالرقص والغناء والموسيقى والتي تستمر لمدة أربعة أيام أو أكثر تبعاً للطقس .

وقد يسأل الزائر في بعض المدن الأفغانية وخصوصاً مدينة هيرات عن سبب تجمهر الناس في الساحات العامة ليجد لعبة صراع الديكة (المكاسره) وأهمها صراع الديك الهراتي نسبة إلى مدينة (هيرات) الأفغانية، ويعتبر تربية الديك مظهراً للشجاعة والإقدام [3].

---

(1) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص129.

(2) تعتبر لعبة (البزكشي) بأنها أعظم لعبة مثيرة في العالم، تؤدى هذه اللعبة في المناسبات الوطنية. يتصارع فيها فريقان من الفرسان على اختطاف شاة أو عجل مذبوح في حفرة محاطة بدائرة وحملها مسافة تزيد على عدة (أميال) ثم العودة بهذا الذبيح ثانية إلى الحفرة التي أنتزع منها. يتراوح عدد المشاركين في هذه اللعبة بين مائة فارس وألف فارس على مساحة واسعة من الأرض (وبزكشي) تعني (خطف الشاة). يشترط في مساحة اللعب أن تكون تربتها رخوة أو رملية حتى لا تؤذي جياد اللاعبين، وتقام في فصلي الخريف والشتاء دون فصل الصيف الذي يكون متعباً للفرسان. محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص159.

(3) المكاسرة، المغالبة، تجري هذه اللعبة باجتماع المتراهنين حول حلبة مستديرة صغيرة يتصارع الديكان وجهاً لوجه، ويعمل مالكوا الديكة على وضع قطعة معدنية حادة في أرجل الديكة لغرض قتل الديك الآخر بأقرب وقت ممكن.

الفصل الثاني

الغزو السوفييتي لإفغانستان عام 1979

المبحث الأول : خيارات أفغانستان المحدودة .

المبحث الثاني : المقأومة الأفغانية وفن العمليات السوفييتية في وادي بانجشير .

المبحث الثالث : عواقب الغزو السوفييتي

المبحث الأول

خيارات أفغانستان المحدودة

استمرت اللعبة الكبرى بين القيصر الروسي وحكومة الهند البريطانية للاستحواذ على الأرض الأفغانية واستمالة الأمير لتنفيذ مصالحهم التوسعية على حساب الشعب الأفغاني الذي لا همٌ له في السياسة إلا ما يمكّن رب العائلة على كسب قوت عائلته اليومي. تولى عبد الرحمن الإمارة بعد أن أجبر البريطانيون يعقوب خان على التنازل، غير أن الأمير توفي سنة 1901 (1).

حبيب الله خان 37 سنة الابن الأكبر للأمير عبد الرحمن هو الذي تولى الإمارة وسعى بكل جهده لإدخال الآليات والوسائل الحضارية الحديثة، وفي عهده ظهرت جريدة ناطقة باللغة الفارسية "سراج الأخبار" ساهمت في تأجيج الروح القومية لدى الأفغان وأميرهم؛ فطلب من المندوب البريطاني (جلميس فورد) في كابل استقلال أفغانستان غير أن الأمير لقي مصرعه في العشرين من شباط 1919 في داخل معسكره "كالاغوش" قرب جلال آباد. (2).

---

(1) أعتبر الأمير عبد الرحمن مؤسس الدولة الأفغانية، كان واسع الأفق إدارياً منفتحاً على العالم. ترك وصيته لإبنه حبيب الله بالاتحاد، والاتحاد وحده يخلق أمة عظيمة، كما وصاهم بأن يدخلوا الإصلاحات على مهل كي لا يرتد الشعب عليهم. في عام 1879 اغتيل المندوب البريطاني ومرافقه في كابل فأرسلت حكومة الهند البريطانية قواتها فاحتلت كابل، وأجبرت يعقوب خان على التنازل. تورا بورا، المصدر السابق، ص39.

(2) قتل الأمير في حفل صيد وقد اتهم الروس الإنكليز بقتله على يد شخص اسمه مصطفى الصفير. احسان حقي، المصدر السابق، ص 99 ;.Stephen tanner , op. cit, p. 218

استولى أمان الله على الحكم بعد أبيه في اليوم السابع والعشرين من شباط 1919، وأعلن استقلال أفغانستان من طرف واحد، فكانت بداية الاشتباك الثالث مع البريطانيين، وفيها كبر أمان الله في رجال القبائل وعلماء الدين في إعلان الجهاد ضد البريطانيين، وفي نفس الوقت جرى أنفتاح لوحدات أفغانية على الحدود فتمكنت من الهجوم على نقاط المراقبة وقطع مصدر المياه الذي يصل إلى الحامية البريطانية في "لندي كوتل" "Landi kotal" (1).

أبدى الأمير آمان الله ووزير خارجيته "محمد ترزي" إمكانية في التعامل مع الحرب لغرض إجبار البريطانيين على الأعتراف به، وكذلك إعادة شريط من الأرض داخل الهند كان في وقت سابق جزءاً من المملكة الأفغانية آيام حكم "أحمد شاه دراني" (2). دعى آمان الله معاونيه ومستشاريه في يوم العيد، حيث صلى الجميع في أحد الجوامع، وصاح المصلين الاستقلال التام أو الموت، فكلف آمان الله قادته لقيادة الوحدات العسكرية، الرتل الأول بقيادة نادر شاه الذي سار حتى وصل إلى سهل (باره تشنار) والثاني بقيادة الجنرال صالح محمد خان (رئيس أركان الجيش الأفغاني) وسار باتجاه ممر خيبر، أما الرتل الثالث فكان بقيادة عبد القدوس خان وكانت قندهار بحمايته (3).

الجيش الهندي، كان يعاني من نقص في التجهيزات ووسائط النقل، وقسم من وحداته لا زالت في العراق وهو للتو خارج من الحرب العالمية الأولى، أما القيادة

---

(1) Martin Ewans, op. cit, p. 120.

(2) احسان حقي، المصدر السابق، ص 102 -103.

(3) أمان الله، أقام أو سع العلاقات مع الملوك والرؤساء، زار القاهرة، اسطنبول، طهران، روما، باريس، برلين، موسكو، لندن، دلهي، أعجب بكمال اتاتورك، ورضا خان في إيران. بدأ عام 1921م ببناء مدارس للبنات واستقدم مدرسي أجانب لتدريس العناصر الثقافية والادارية. نفذ قانون الأحوال المدنية ليعطي المرأة دورها وأعتبارها المحور لتحرير المجتمع Marten Ewans , op. cit, p. 120,

البريطانية فكانت تنظر إلى أهمية تسوية الموقف في منطقة "ممر خيبر" فتمكنت أحدى وحداتها من السيطرة على قلعة (بلداك) Baldak الأفغانية على الطريق بين كويتا وقندهار، فسبب هذا العمل إحراجاً للأمير كون القلعة تقع في منطقة مركزية من الحدود .

تمكن نادر خان من جمع حشد من رجال القبائل لمواجهة الموقف، فتمكن بعد معركة من احتلال " القلعة البريطانية " "ثيا" Thai " بالرغم من وجود عدد من القتلى والجرحى أثناء العملية، فلجأ البريطانيون إلى سلاح الجو البريطاني لقصف جلال آباد وكابل، وهي المرة الأولى في تاريخ النزاع الطويل (1).

بعد التطور الذي فاجأ الأمير باستخدام الطيران وقنابل زنة رطل ونصف بالقصف على المدنيين، وجد أن المفاوضات مع المندوب البريطاني جليمس فورد في (راوالبندي) مجدية؛ فحصل محمد ترزي على موافقة بريطانيا باعتبار أفغانستان دولة حرة مستقلة تدير شؤونها الداخلية والخارجية وبذلك تخلص من معاهدة 1919م التي كبلت أفغانستان من ممارسة حقه في السياسة مع الآخرين وكان ذلك في نهاية شهر تموز 1919 (2).

تميز حكم آمان الله بالرؤيا الوطنية لمصلحة بلاده ولكن ما ينقصه هو الحكمة في العلاقات الدولية، كما أن آخر سنوات حكمه إقترنت بوجود هيئة ركن غير كفوءه لتقديم الإستشارة إضافة إلى انتشار الفساد (3).

كانت عيون رجال الشيوعية في موسكو " ومنهم " لينين" بعد نجاح ثورتهم في عام 1917م، تنظر إلى مد الجسور مع أفغانستان . ففي عام 1919 وبمجرد ما أن حصل أمان الله على استقلاله من النفوذ البريطاني، كانت اتجاهات عمله أن يؤسس

---

(1) Martin Ewans, Op. cit, p. 120.
(2) Stephen Tamer , op. cit, p. 219.
(3) Marten Ewans , op. cit, p. 134.

علاقة متينة مع جيرانه الشمالي، وبذلك كان الاتحاد السوفييتي أول دولة تعترف بدولة أفغانستان [1].

في عام 1920 وصل المبعوث السوفييتي إلى العاصمة كابل محملا بهدية للملك عبارة عن خمسة آلاف بندقية ومليون روبل، أما هدية الملك الأفغاني فكانت توقيع أتفاقية الصداقة بين الدولتين في أيلول 1920 [2].ولم تتأخر موسكو عن مواصلة كسب ثقة الملك والشعب الأفغاني بالثورة الاشتراكية؛ فقررت موسكو ربط كابل بخط هاتف ودائرة بريد ووعدهم ببناء مصنع للحرير في مقاطعة هيرات، والمضي في هندسة إنشاء مشروع الخط السريع عبر مضيق "سالانك" في منطقة جبال الهند كوش، والمهم في ذلك أن إحدى عشرة طائرة مقاتلة مع طواقمها المدربة وفريق ادامه قد وصلوا كابل ليكونوا تحت إمرة الملك لإخماد الثورة التي نشبت ضده عام 1924م [3].

وجد الملك أمان الله فرصته السياسية المستقلة في النصف الثاني من عام 1919، فصحب في زيارته الخارجية زوجته الملكة (ثريا) التي كانت تشابه مثيلاتها الأجنبيات دون حجاب، كما حبب الملك لنفسه أن يلبس القبعة الأوروبية، إضافة إلى إجبار النواب على ارتداء اللباس الأفرنجي [4].

في المجالات الأخرى، فقد وقعَّ أمان الله سنة 1922 اتفاقية مع فرنسا، تقضي بوجود بعثة من علماء الأحياء تعمل في أفغانستان لمدة ثلاثين سنة، ثم جددت لثلاثين سنة أخرى عام 1952. كما ساهم الملك بجدية في إنشاء مدارس أجنبية في كابل

---

(1) Stephen Tanner, op. cit,p. 221; Marten Ewans , op. cit, p. 126.

(2) Stephen tanner,Op. cit, p. 221.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص106.

(3) Stephen tanner, Op.cit, p. 221;.105إحسان حقي، المصدر السابق، ص

وقد ذكر أن معاهدة الصداقة قد وقعت عام 1921.

(4) إحسان حقي، المصدر نفسه، ص 110.

العاصمة، ففي عام 1924 كانت المدرسة الفرنسية، والمدرسة الالمانية، وفي عام 1926 أُنشأت مدرسة الغازي لتعليم اللغة الانكليزية للطلاب الأفغان. ولم تثني إمكانيات أفغانستان الأقتصادية المحدودة عن المضي في نشر الثقافة والعلوم فصرف وقتاً وجهداً لإعادة سمعة الكلية الحبيبية التي انشأها والده عام 1903 [1].

وفي الفترة ما بين 1920 -1930 التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ظهرت حركات في الهند تدعو إلى الاستقلال من الإستعمار الأنكليزي، فكان منها حزب الخلافة الذي تولى قيادته الأخوين مولانا شوكت علي ومحمد علي وأفتوا إلى أن الهند دار الكفر وأفغانستان دار السلام، واعطت هذه الفتوى المجال واسعا لهجرة الآلاف من الهنود المسلمين إلى أفغانستان بعد أن باعوا بيوتهم واثاثهم للهنود والسيخ، مما أجبر الملك أمان الله إلى وقف الهجرة لعدم قدرة بلده على أستيعاب هذه الاعداد الغفيرة من جهة، وعدم توفر المشاريع العديدة في بلده لتشغيل المهاجرين. [2]

كان أمان الله يريد أن يصل ببلاده المتأخرة اقتصاديا وسياسية واجتماعيا على قدم المساواة مع بعض البلدان التي زارها، ففي آب عام 1928 اعلن عن سلسة من الاصلاحات، منها انشاء مجلس ضم ألف أفغاني من رجال القبائل ورجال الدين، ومجلس للشيوخ وآخر للنواب ضم مائة وخمسون عضوا ليكونا بديلين عن المجلس القبلي (لويا جيركا) وعمل أمان الله على فصل الدين عن الدولة، تحرير المرأة، واجبار الرجال على الزواج من واحدة، وجعل التعليم إجباري، مما أحدث جدلا واسعا في المجتمع الأفغاني، فصاح رجل الحكومة واتباعه بنعم للأصلاح في حين رفضتها جموع من غير المستفيدين، ومن بينهم رجال الدين الذين اتهموه بتنكره لمبادئ الإسلام [3].

---

(1) المصدر نفسه، ص110 -111.

(2) Marten Ewans , op. cit, p. 127.

(3) إحسان حقي، المصدر السابق، ص113.

في بريطانيا التي وأن بدت بعيدة عن العاصمة كابل وما يجري فيها تحت حكم الملك أمان الله، فقد كانت تتابع تطور العلاقة السوفييتية – الأفغانية، وظهور مجموعات هندية مسلمة مدعومة من الملك، حتى تآمروا عليه بطريقة مخزية وسلب كل ما كان يحلم به من انجازات [1]. ففي عام 1928 قام أحد اللصوص المدعو حبيب الله والملقب (بجه سقا) مدفوعا من احد رجال الدين الناقمين على أمان الله وأعلن العصيان لأنه خرج عن الدين، فلقبه(خادم دين رسول الله) لجمع أكبر ما يمكن من الاتباع من عامة الناس المتمسكين بالإسلام لمهاجمة الملك وطرده، واستجاب كثيرين من قطاع الطرق والعاطلين عن العمل والاشقياء للالتحاق باللص (بجه سقا) وتحت تأثير الدعاية الانكليزية تمكنت قوة التمرد من تحقيق تقدم بارز على وحدات أمان الله ولكنه لم يفلح من السيطرة على العاصمة .

وفي كانون الثاني 1929 عاد (بجه سقا) القتال حتى أنتهى الأمر به إلى السيطرة على كابل واعلن نفسه ملكا على أفغانستان، وكان أمان الله قد ترك العاصمة معطياً الحكم لأخيه عناية الله شاه الذي بقي في حكمه ثلاثة أيام ثم فر إلى روسيا، ودام حكم بجه سقا تسعة أشهر [2].

وصلت أنباء أفغانستان إلى نادر شاه الموجود في فرنسا وهو أبن عم الملك أمان الله، وما حل لبلده على يد لص قاطع طريق، فدعا جموع من شرفاء كابل للعودة على وجه السرعة، وعاد هو عن طريق الهند، ومر برجال العشائر الأفغانية في شمال غرب منطقة الحدود ورجال الجيش فدعاهم إلى إنهاء الحالة الشاذة وانقاذ البلاد. فكان له ما أراد، ودعا نادر خان (بجه سقا) إلى حضور مؤتمر لإنهاء المشاكل التي

(1) Stephen taneer , op. cit, p. 221 , Marten Ewans , op. cit, p. 127.

(2) Stephen tanner, Op.cit.222. إحسان حقي، المصدر السابق، ص115؛

حدثت بينه وبين الملك أمان الله، إلا أن نادر تمكن من اعدام (بجه سقا) وسبعة عشر من رجاله في الثالث من تشرين الثاني 1929 [1].

دخل نادر خان العاصمة كابل في السادس عشر من تشرين الثاني1929، وأعتقد الآخرين أن أمان الله سيعود، إلا ان رجال القبائل نادوا بجعل نادر خان ملكا عليهم، واعلن عن الغاء الاصلاحات التي سببت النقمة على الملك أمان الله، فأعاد الحجاب للمرأة، واعاد لرجال الدين نفوذهم، وبنى مدرسة عسكرية، وحسن من حياة وحدات الجيش وتدريبهم مستعينا بالدول المجاورة [2].

في روسيا وبريطانيا، كان رد الفعل مختلفا، فقد كانت الأولى تجد في أمان الله صديقا لها، فهو وقع معها الاتفاقيات، في حين وجدت بريطانيا ان الملك الجديد نادر شاه هو المناسب لها، فأعطاه البريطانيين عشرة آلاف بندقية وخمسة ملايين طلقة، ومائة وسبعين ألف جنيه استرليني، ليصرفها في بناء البنية التحتية لبلده واخضاع القبائل [3].

تمكن الملك نادر شاه من جمع أخوته هاشم خان، وشاه ولي خان، لمساعدته في تهدئة الاوضاع مع أتباع أمان الله، خصوصا عندما ذكر في الدستور الجديد، ان الشعب الأفغاني أعترف به كملك صالح وكفوء، وأن الشعب النبيل قد وافق على تحويل تاج أفغانستان إلى أسرة الملك، وان وراثة العرش تكون وفق أختيار الملك والشعب، وتعني أن الملك القادم يجب ان يكون من ذرية نادر شاه وليس من ورثة أمان الله [4]. انظر الخريطة رقم (4).

---

(1) I bid , p. 222.؛المصدر نفسه، ص124

(2) Marten Ewans , op. cit, p. 137.؛المصدر نفسه، ص124

(3) احسان، حقي، المصدر السابق،ص125.

(4) المصدر نفسه، ص 126، انظمت افغانستان إلى الأمم المتحدة عام 1946، واقامة علاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية ولكن عبر سفيرها في طهران، كما أقامت علاقات مميزة مع

ظل أتباع امان الله على ثقة متواصلة به، وتزويده بما لديهم من معلومات عن نوايا الملك الجديد، وكيف انه الغى ما أنجزه سلفه خلال عشرة سنين من حكمه، فظهر من هذه العوائل، عائلة غلام حيدر النشرخي التي حاولت تحريض القبائل البشتونية على الملك نادر شاه، واتهامه بالعماله للانكليز، بحجة أنه قدم عن طريق الهند أثناء عودته من فرنسا وإنه تلقى مساعدات أنكليزية ولم يقدم أي اسناد للثوار أثناء قتالهم الانكليز على الحدود. (1) وبسبب أعمال القتل المتبادلة بين أتباع الملك الجديد والقديم، تمكن حفيد غلام حيدر الشاب عبد القادر النشرخي من قتل الملك نادر شاه في الثامن من تشرين الثاني 1933، ليحل محله ولده الأكبر زهير ذو التسع عشر عام، غير أن البلد بقي تحت حكم أخوة نادر من الناحية الفعلية (2) .

اليابان والمانيا، واعتبرت تركيا كشريك اسلامي في علاقاتها المميزة، مصطفى الدباغ، الصراعات الدولية الراهنة، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2000، ص 95.

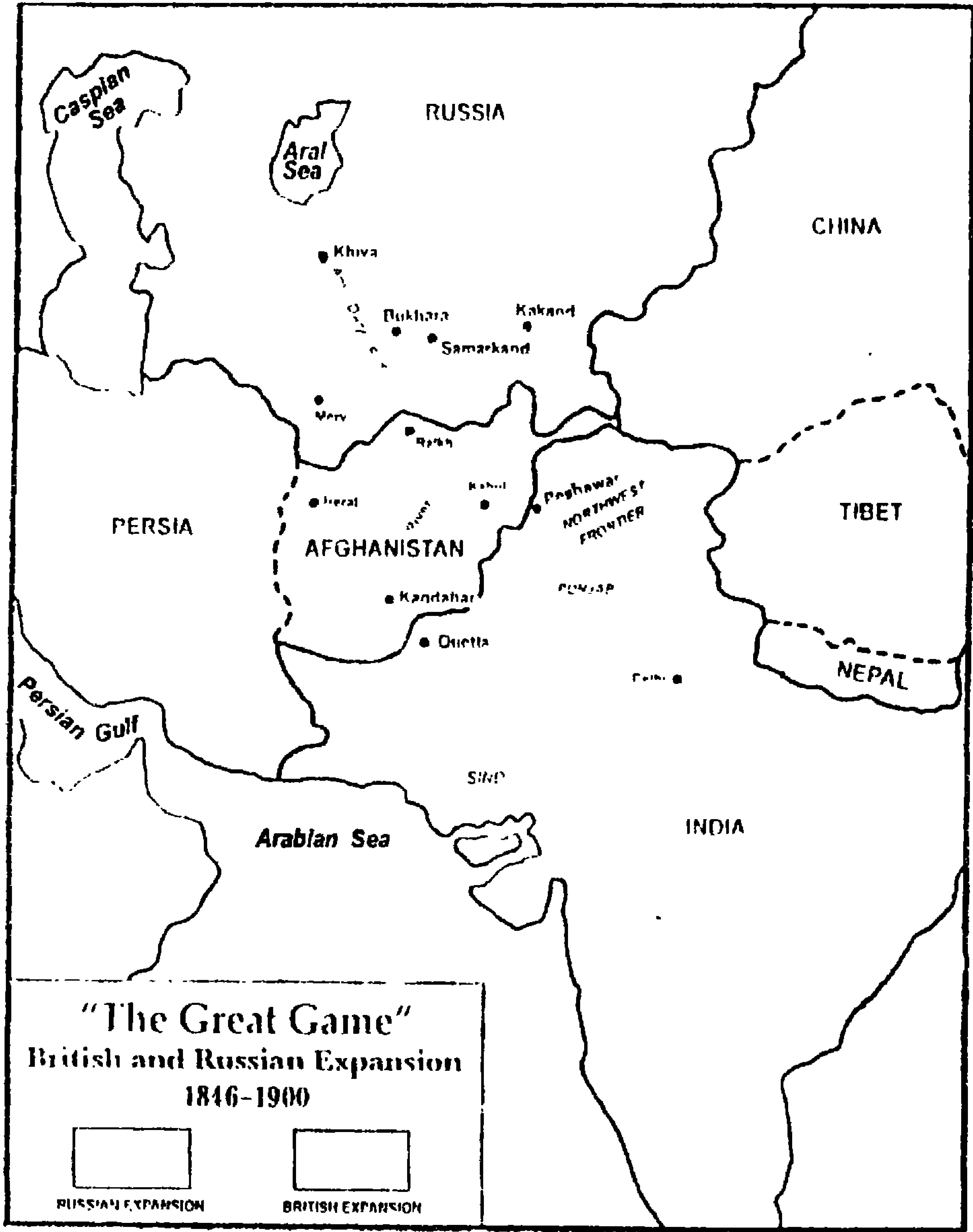
(1) المصدر نفسه، ص129

(2) Stephen tanner, op. cit,cit,p.223

خريطة (4)

التوسع البريطاني الروسي

من 1846 - 1900م



عندما ظهر هتلر كزعيم في ألمانيا عام 1933، استقبلت أفغانستان عددا من الرسميين الألمان، وكان مجمل الحوار يتعلق بعدم الأنجرار وراء أي من الفريقين البريطاني والسوفييتي والتعامل معهم بحذر دون الوصول إلى غضبهم،(1) فيما وجد الأفغان (النورستان) وهم أقلية جبلية تتمتع بعيون زرقاء الفرصة لأستحواذ المهندسين الألمان الذين ساعدوا في بناء سد ومشاريع اروائية تخدم أعداد كبيرة من الفلاحين وكذلك مد سكة حديد لمسافة أربعة كيلومترات بين كابل وقصر الحكومة (المسمى) "ديرلمان"

عندما أندلعت الحرب العالمية الثانية 1939 -1945.أندهش الأفغان كسائر دول جنوب آسيا والشرق الأوسط وهم يتابعون أندحار الجيوش البريطانية والفرنسية أمام الجيش الألماني وكذالك الجيش السوفييتي الذي تلقى هو الآخر ضربات عنيفة على يد الألمان .

طلبت بريطانيا والاتحاد السوفييتي في أيلول 1941من افغانستان أخراج (210) من المهندسين الألمان الموجودون على أراضيها على أن يتم ذلك بالطرق الدبلوماسية، ورأى الملك الأفغاني ذلك مكابرة في الأحتفاظ بهم عندما تبين له هزيمة جارته أيران امام السوفييت والبريطانيين في الوقت الذي كان الألمان واليابانيون في قمة تفوقهم العسكري في عام 1942 (2)

في هذه الأجواء ظلت أفغانستان تراقب تطور الأحداث العسكرية بين دول المحور والحلفاء، فيما فظلت هي أن تبقى على الحياد لتجنب ويلات العواقب (3) وإفرازات الحرب العالمية الثانية، فكان صعود الولايات المتحدة والأتحاد السوفييتي، والصين كقوى عالمية في حين ضاعت آمال المانيا واليابان في هذه

---

(1) Stephen Tanner,op.cit.p.223

(2) I.bid,p.224.

(3) I bid, p.224

الحرب، غير أن كلا الدولتين أصبحتا قوة أقتصادية متميزة في يومنا هذا و في الجانب التسليحي، أفرزت الحرب عن تطور كبير في مدى الطائرات المقاتلة والصواريخ التي أغرقت عدد كبير من السفن الحربية . والأهم مما أفرزته الحرب هو بروز القطبين الأتحاد السوفييتي (الشيوعي) والولايات المتحدة (الديمقراطي) وقدرتهما في أمتلاك الأسلحة النووية ذات القدرة التدميرية الهائلة (1) .

الهند الجارة لأفغانستان أنتزعت استقلالها من بريطانيا عام 1947 على يد زعيمها التاريخي (المهاتما غاندي) بعدما جرى تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين، الهندوس في الهند، والمسلمين في الباكستان بقيادة محمد علي خباح (2)

خلال فترة الخمسينيات أبدى الأتحاد السوفييتي رغبته لجارته الجنوبية أفغانستان في تطوير آفاق التعاون والمساعدة في مجال بناء السدود والطرق والمدارس وتحسين أنظمة الري، وأنشاء الشقق الأرضية الجوية وكذلك في مجال البحث عن المصادر الطبيعية شمال جبال الهندوكوش. (3)

الولايات المتحدة الأمريكية، بأعتبارها القطب الآخر هي الأخرى أبدت رغبتها في تقديم المساعدة،فقدمت المشورة الهندسية اللازمة لبنا قاعدة قندهار الجوية (يظهر فيما بعد أن مجالات المساعدة الاجنبية لها آفاق بعيدة) فقد أستخدمت هذه القاعدة من قبل الغزاة السوفيات والأمريكان فيما بعد(4))، وأبدت الولايات المتحدة مرارا قلقها من تنامي المدا الشيوعي في أقطار أوروبا وجنوب شرق آسيا والشرق الأوسط، فعزمت على تكثيف زيارات مسوؤليها لدول عديدة بغية تطويق النظام الشيوعي العالمي وحصره في أضيق منطقة ممكنة،فكان حلف الناتو (NATO) 1949 الذي ضم أوروبا الغربية في وجه أوروبا الشرقية .

---

(1) Stephen tanner, Op.cit, p. `225
(2) I,bid, p. `225
(3) I bid ,p.226
(4) I.bid,p,226

في عام 1955تم أنشاء حلف (منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا)(CEATO) ثم منظمة المعاهدة المركزية (CENTO) التي ظمت باكستان وإيران والعراق وتركيا أضافة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وعرف (بحلف بغداد)، أما أفغانستان،فقد أستبعدت من هذه الأحلاف لعداءها المستمر مع باكستان، وتمتعها بعلاقات قوية مع الأتحاد السوفييتي، رغم طلبها مساعدات عسكرية أمريكية لغرض تحقيق التوازن بين المعسكرين [1]

لم يجد رئيس الوزراء الجديد محمد داود (أبن عم الملك زهير) من طريقه يتعامل بها مع الأمريكان بعدما رفضوا تزويده بالسلاح إلا ان يلجأ إلى الاتحاد السوفييتي فكان لمحمد داود تبريراته في تجهيز جيشه، منها: قيام امريكا بتجهيز كل من باكستان وإيران بالاسلحة، وأفغانستان ليست في حلف مع أي من الدولتين، كما أن الجيش الأفغاني وبسبب ضعف أقتصاد بلاده فأنه يعاني من نقص شديد بالأسلحة الثقيلة والطائرات، والأهم أنه لا يستطيع دفع قيمة الأسلحة المشتراة نقدا .

استغل السوفييت ضعف جارتهم الجنوبية اقتصاديا وعسكريا فقرروا تنظيم الجيش والقوة الجوية على غرار ما موجود في الجيش الأحمر السوفييتي، فكانت الوحدات الأفغانية تمتلك الدبابات T- 34,T55 والمدفعية من عيار 122 ملم، 130 ملم والطائرات المقاتلة الحديثة MiG-17 والهليوكبتر M-8 شأنها شأن كثير من دول أوروبا الشرقية [2].

كما ان الأفغان، ولكي يتمكنوا من استيعاب تكنلوجيا الأسلحة السوفييتية فقد أرسلوا على مدى عشرين سنة اكثر من 3700 ضابط، وأكثر من 6000 طالب أفغاني للتدريب في جمهوريات الاتحاد السوفييتي حتى عام 1979، فيما بلغت المساعدات السوفييتية أكثر من بليون ومائتان وخمسون مليون دولار صرفت لإعداد

---

(1) احسان حقي، المصدر السابق، ص151

(2) Stephen tenner , op. cit, p, 227 ; Marten Ewans , op. cit, p. 154.

القوات المسلحة الأفغانية، وبقية مشاريع البنية التحتية، كما هو الحال في أنشاء الطريق السريع شمال منطقة جبال هندوكوش وعبر مضيق سالانك بنفق طوله ثلاثة كيلومترات وبارتفاع أحد عشر ألف قدم فوق الجبال (استخدمها السوفييت فيما بعد أثناء عملية الغزو)[1] .

لم ينتهي الكرم السوفييتي عند هذا الحد فقد وعد السكرتير العام للحزب الشيوعي خروتشيف الملك الأفغاني عام 1955 مبلغ (100,000,000)مائة مليون دولار أضافية على أن تسدد بفائدة قدرها اثنان بالمائة ولمدة ثلاثين عاما، وانشاء قاعدة باكرام الجوية، وبناء مستشفى وعدد من باصات النقل. وفي السنة الثانية 1956 باشر الأفغان بالخطة الخمسية الأولى تحت أشراف المخططين السوفييت، وفي هذا الصدد فقد ذكر(بريجنيف) الذي خلف خروتشيف على سدة الحكم عن هذه المساعدة لدولة ضعيفة، فأجاب أن هذه المبالغ والمساعدات لافغانستان تعد قطرة في محيط بالمقارنة مع تواجد قاعدة أمريكية على الأرض الأفغانية بجوارنا [2].

الجانب الأمريكي، ورغم معرفته بطبيعة العلاقة الأفغانية السوفييتية وعدم وجود موارد اقتصادية ذات قيمة في الجانب الأفغاني، فأنه لم يترك هذا البلد في أحضان السوفييت، فقد بادر إلى أعطاء مقاعد للضباط الأفغان للدراسة في كلية الدفاع الوطني، وأرساله مدرسين ومستشارين من جامعة (كولومبيا) لإصلاح النظام التدريسي في جامعة كابل . وفي الجاني الخدمي فقد باشر المهندسين الأمريكان بفتح طريق يصل من هيرات إلى الحدود الإيرانية، والطريق بين قندهار - كابل وامتداده إلى الحدود الباكستانية وكذلك اصلاح نظام الطيران المدني لتربط بين الشرق الأوسط وجنوب آسيا وكل هذه تمت في نهاية عام 1962 [3]

---

(1) Marten Ewans , op. cit, p. 156.

(2) I bid, p. 157.

(3) I bid , p. 157.

في اليوم الأول من كانون الثاني – 1965 تم تأسيس حزب الشعب الديمقراطي (The peoples Democratic party)(PDPA) في بيت (نور محمد ترقي) في كابل، ومنذ البداية كان كل شيء فيه يوحي إلى أنه شيوعي باستثناء أسمه، حيث كان يتلقى المساعدات المادية من المخابرات السوفييتية (KGB) بانتظام، وبعد مرور فترة على تشكيله أنقسم الحزب إلى جناحين "خلق" يعني الشعب، وبارشام أي الرايات[1].

تصدر بابراك كارمل جناح بارشام الذي عرف بعمله المنظم، في حين ظل الجناح الآخر بعيدا عن المنهجية وان أكثر أعضاءه هم من قبيلة البشتون وأخذ عليهم بعض التطرف فيما بعد [2]. في السياق الآخر شهد عام 1965 بعض الحوادث، وكانت أفغانستان شاهدة لما حدث، فقد أندلعت الحرب الهندية - الباكستانية حول كشمير، وواجهت الهند تحديا كبيرا من الصين، وفي نفس السنة حاولت أمريكا تقويض الحزب الشيوعي في فيتنام، وفي عام 1967 أصيب العرب بنكسة من خلال الحرب بين أسرائيل وثلاث دول عربية هي سوريا، الأردن، مصر واحتلت قسم من أراضي هذه الدول ولا زال قسما منها لحد الآن بيد اسرائيل . وفي عام 1969 غزا الأتحاد السوفييتي جيكوسلفاكيا، وفي عام 1971 اشتبك السوفييت مع الصين على رقعة أرض على الحدود، وفي نفس العام، تجددت الحرب بين الهند والباكستان واسفرت عن أنفصال الجزء الشرقي لباكستان لتصبح دولة بنغلاديش [3].

(1) Stephen Tanner , op. cit, p. 227.

(2) I bid , p. 228.

(3) I bid , p. 229.

أستمر الحكم ملكيا دستوريا حتى تموز 1973 حينما أعلن النظام الجمهوري في افغانستان على أثر انقلاب قاده الجنرال محمد داود خان أبن عم الملك محمد ظاهر شاه (زهير)، بينما كان الملك بزيارة إلى ايطاليا للعلاج [1].

وقف الجيش الأفغاني بقوة مع الجنرال محمد داوود، وكذلك حزب الشعب الديمقراطي، وعبر بخطاب عن عدم انزلاق بلده إلى الشرق أو إلى الغرب معبرا بذلك عن تخفيض عدد المستشارين السوفييت الموجودين في الجيش، كما عبر عن إستعداده لسحق أي معارضة سياسية تريد أن تعيد عجلة التاريخ إلى الوراء [2] .

تلقى الجنرال محمد داوود دعوة رسمية لزيارة الاتحاد السوفييتي عام 1977، واستقبله "لوينيد بريجنيف" وكان من بين القضايا التي أثيرت في المناقشات، أن حكومة أفغانستان تريد أقامة علاقات وطيدة مع مصر والمملكة العربية السعودية، وهما (يعملان عن كثب مع الأمريكان)، اجابه الجنرال محمد داوود، أن هذا القرار أفغاني وقد تم اتخاذه، فكان هذا الجواب بمثابة التحدي الأكبر "للثورة البلشفية" وسياسات الحزب الشيوعي السوفييتي، وبنفس الوقت كان بداية السقوط لحكومة الجنرال محمد داوود[3] .

---

(1) I bid , p. 229; Martin Ewans, op.cit, p.179.

(2) Stephen Tanner, op.cit, p. 230.

(3) I bid, p. 230.

على أثر مقتل (مير اكبر) قتل علي حزم وزير التخطيط، وقتل طيار من شركة الطيران الأفغانية أريانا في وضح النهار، فصار الشيوعيون ينزلون إلى الشوارع للقيام بمسيرات أحتجاجية، وفي يوم السادس والعشرين من نيسان 1977، اوقفت الحكومة جميع الزعماء الشيوعيين بما فيهم نور محمد ترقي، وحفيظ الله أمين وبابراك كارمل.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص158.

وقبيل اسقاط الحكومة الأفغانية، فقد عمد السوفييت إلى أضعافها تماما قبل الاجهاز عليها، ومنها تبني قادة (KGB) إلى تسوية الخلافات بين حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني وتوحيد جناحي "خلق وبارشام" تحت قيادة نور محمد ترقي الشيوعي. في الجانب القبلي، أعتمدت المخابرات السوفييتية على الضباط المنتمين إلى قبائل البشتون الذين درسوا في معاهد ومؤسسات موسكو العسكرية ان يكونوا في خندق حزب الشعب الديمقراطي في أي أجراء يتخذه نور محمد ترقي (1) وفي واحدة من لعب المخابرات السوفييتية للتعجيل في اسقاط الجنرال محمد داوود،أن تم اغتيال الشيوعي البارز " مير أكبر خيبر" في كابل في السابع عشر من نيسان 1978م، وأتهمت أجهزة أمن محمد داود بمقتله، وفي اليوم التالي خرجت مظاهرة كبيرة تقدر بـ بخمسة عشر ألف أثناء تشيع الشيوعي القتيل مما أدى إلى قيام رد فعل قوي من قبل رئيس الدولة الأفغاني بأعتقال قادة الشيوعية في بلده، فحدثت الهزة الكبيرة في أوساط المجتمع وضباط الجيش الأفغاني (2).

في السابع والعشرين من نيسان 1978، تمكنت وحدة مدرعة من تطويق قصر الرئاسة الأفغاني في كابل، ووحدة أخرى بأتجاه المطار، في حين قامت عدد من الطائرات MIG-21 ظهرا بقصف مقر الرئاسة . منطلقة من قاعدة (شنينداد) (Shindand)

أراد الجنرال محمد داود أن يفشل هذه المحاولة الانقلابية بتدخل رجاله في فرقة المشاة السابعة المتمركزة خارج العاصمة كابل (ريشكور) . غير أن القوى المضاده له

---

(1) تم اقتحام قصر الرئاسة (كُل خانه) وقتلوا محمد داود وسبعة وثلاثون شخصا من أفراد أسرته، واطلق الجنرال عبد القادر الذي قام بهذه الحركة سراح جميع الشيوعيين من السجون.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص158; Stephen tanner, Op.cit, p. 230

(2) Stephen tanner, Op.cit, p. 230; .158 إحسان حقي، المصدر السابق، ص

منعتها من الوصول، وعاد ليعتمد على رجال حرسه البالغ عددهم ألف وثمانمائة عنصر، وحصلت معارك دموية بين الثائرين والمدافعين انتهت عند الفجر بقتل كل عائلته وما يزيد عن ألفي قتيل (1).

في اليوم الثاني سلم الضباط الشيوعيين الأفغان مقاليد السلطة إلى رئيس حزب الشعب نور محمد ترقي، ليعلن قيام جمهورية ديمقراطية، وتعيين رئيس جناح (بارشام) بابراك كارمل بمنصب نائب رئيس الجمهورية .أن نجاح المحاولة الانقلابية سميت (بثورة نيسان) التي سرعان ما أجرى تعديلات على المناصب القيادية، فقد قام ترقي بأبعاد (بابراك كارمل) كسفير في جيكوسلفاكيا وتعيين (حفيظ الله امين)بدلا عنه، وبذلك اعتبر أن الثورة الشيوعية نجحت في أفغانستان وكان الأتحاد السوفييتي أول دولة تعترف بهم.

كان صيف 1978 هادئا بعد تسلم حزب الشعب الديمقراطي واعدا الشعب الفقير بمزيد من الاصلاحات، فقد أعلن الرئيس الجديد " الدفاع عن مبادئ الإسلام والديمقراطية والحرية، وعدم انتهاك حرية الفرد، وهذه تعني في السياسة الخارجية الحياد (2)عن المعسكرين الشرقي والغربي.

كانت بداية المعارضة التي صعدت من لهجتها هي الاقليات الاثنية، من النورستان، الهزارة، والطاجيك في الشمال معترضين على تسليم البشتون كل مقاليد الأمور ووصول مزيد من المستشارين السوفييت إلى العاصمة كابل وتبديل العلم الأفغاني، ولم يتمكن حزب الشعب الأفغاني من اخفاء نواياه الحقيقية فترة طويلة، فقد بانت حقيقة الانقلاب وارتباطه بالمخابرات السوفييتية . اشتدت الاحتجاجات

---

(1) تقول الرواية الأخرى إلى أن العملية الانقلابية كانت من تدبير حفيظ الله أمين، حيث عندما طلبت أجهزة الأمن اعتقاله بعد عملية التشييع، أعطي الفرصة للحديث مع قادة الانقلاب لتنفيذ الاتفاق السري بينهم.

Marten Ewans , op. cit, p. 187; Stephen Tanner , op. cit.p.231

(2) Stephen tanner , op. cit, p. 231

وتمرد قادة قبائل البشتون في الجبال الشرقية وحملوا السلاح ضد الدولة، وامتد ذلك التمرد، إلى وادي كونار، جبال هندوكوش، مقاطعة بادخشان وأصبحوا في مركز من يؤثر على قرارات الدولة . أما رد فعل حزب الشعب الديمقراطي ورئيسه ترقي فكان إلى مزيد من العنف والاعتقال والاعدامات بين صفوف الناس مما عقد الوضع وجعل ضباط وحدات الجيش الأفغاني في حيرة عما يفعلون، فظهرت الانشقاقات وترك عدد كبير من الجنود وحداتهم ونهب السلاح والتجؤا إلى قادة القبائل والحركات الإسلامية المناوئه للدولة(1).

في كانون الأول 1978، وقع (ترقي) مع (بريجنيف) معاهدة صداقة وحسن جوار، بين الدولتين، وكانت بمثابة الهزة الأرضية التي افزعت بقية رجال القبائل ورجال الدين الأفغان والحركات الإسلامية لتوحد صفها في مواجهة المد الشيوعي الذي يريد تدمير الإسلام (2). في واشنطن فان ادارة الرئيس الأمريكي كارتر وجدت أن أفغانستان أصبحت شيوعية (3). وحصل الاسوأ في شباط 1979 عندما اختطف السفير الأميركي (ادولف دبس) في العاصمة كابل، وبأمر من رجال KGB أخذ عنوة إلى فندق كابل مع الخاطفين، حيث تم قتلهم جميعا ويضمنهم السفير الأمريكي(4).

أن تسلسل احداث العنف التي تعدّ مخابرات دولة أجنبية طرفاً فيها أدت إلى مزيد من العنف، فأشتعلت مظاهرات عنيفة ومسلحة في هيرات، وأجبرت حكومة

---

(1)I bid ,p. 231.

(2) محمود المرداوي، المصدر السابق، ص54.

(3) Stephen tanner, op.cit , p.231.

(4) Martin Ewans, Op.cit, p. 232

كان عدد الخاطفين أربعة ولم يسمح للسفير بالحديث مع أي من رجال الحكومة الأفغانية، ثم قتل ثلاثة من الخاطفين مع السفير أما الرابع، ولأجل التغطية، فقد أخرجوا سجين مدني ليقتلوه محل الرابع، وتنتهي عملية الخطف تماما؛ Martin Ewans, Op.cit, p.169

ترقي لأن تصدر أوامرها إلى فرقة المشاة السابعة عشر بغية إخماد الفتنة بعد أن تمكنت مجموعات مسلحة من السيطرة عليها لمدة 72 ساعة [1]، أدت إلى قتل موظفي الحكومة ونهب المخازن وحدث الخراب، وعطلت الحياة، فأصدر ترقي الاوامر إلى حركة . لوائين مدرعين من قندهار إلى هيرات لتعزيز قوة فرقة المشاة السابعة عشر، مستعينا بقصف جوي لطائرات IL-28 "اليوشن الثقيلة" .

أن مثل هذا الحدث وأن أنتهى بفعل القوة العسكرية إلا أنه ترك خمسة آلاف قتيل من ضمنهم أكثر من مائة مستشار سوفييتي مع زوجاتهم وقد قطعت رؤوسهم عن اجسادهم ورفعت على الرماح المنتشرة حول المدينة [2]

في مقاطعة بكتيا، حدث تمرد آخر في شهر آذار ولكن هذه المرة في فرقة المشاة السابعة، حيث خرج رتل آلي عن قيادة الفرقة، في حين فتحت قوات حكومية النار في كابل على متظاهرين مسببين خسائر جسيمة، أما في آب، فأن اللواء الخامس من فرقة المشاة التاسعة قد تمرد هو الآخر والتحق مع الثوار في وادي (كونار)، وفي كابل تمكنت وحدة متمردة من السيطرة على قلعة (بيل هزار) متحدين بذلك سلطة نور محمد ترقي وحكومته الشيوعية ودور المستشارين السوفييت ورجال المخابرات، مما دفع بالحكومة السوفييتية إلى إرسال تعزيزات عاجلة، قدرت بمائتي دبابة T-55 ومائة دبابة T-62، واثنا عشر طائرة هيليوكبتر M-24 (هند) واسلحة آخرى مختلفة، أضافة إلى عشرات الآلاف من المستشارين، وقيام الطيارين السوفييت بواجبات قتالية فوق سماء أفغانستان لإخماد الثورة في وادي كونار [3] .

(1) Stephen tanner, Op.cit, p. 232.

(2) I bid, op. cit , p. 232; Marten Ewans , op.cit, p. 197.

(3) Stephen tanner, op.cit, p. 232.

في واشنطن التي ظلت تراقب تطور الاحداث عبر سفارتها وعملائها، فقد اقنع مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي (زيبغنيو برجنسكي) الرئيس كارتر من تقديم مساعدة للثوار، بشيء بسيط، فكان القرار الأولي أرسال بنادق أنكليزية قديمة من نوع (303) ذات المدى البعيد (400 yard) لمقاتلة قوات الحكومة الأفغانية، فكانت هذه بمثابة جرس أنذار لبريجنيف من تدخل أمريكي محتمل في النزاع الدائر[1].

في أيلول 1979 استدعي نورمحمد ترقي إلى موسكو للتباحث بشأن تطور الموقف في بلاده، وعندما حاول العودة إلى بلده كان في أنتظاره الأعتقال ليحل محله حفيظ الله أمين، كما أن الأخير قد تعرض إلى كمين وأن عدد من رجال حمايته قد لاقوا حتفهم . في الرابع عشر من أيلول، أصبح أمين الرئيس الفعلي لإفغانستان حيث تبين بعد أختفاء نور محمد ترقي أنه أعدم بتاريخ 10 تشرين أول بطريقة (وسادة خانقة بدخان)[2].

يذكر Marten Ewans، أن ما جرى لترقي، وحفيظ الله أمين هي من صنع المخابرات السوفييتية، وعبر التوصيات التي قدمت لسكرتير الحزب الشيوعي (بريجنيف) وقد أخذها بجدية[3]. ومن خلال المتبقي من عام 1979، فأن الموقف استمر في التدهور، وظهرت لأول مرة (فرق الموت) في شوارع العاصمة لإعدام قادة جناح خلق، واعمال حرب عصابات بدأت تظهر لمحاربة القوات الحكومية، والمستشارين السوفييت، فكان امام الرئيس الجديد حفيظ الله أن عين صهره أسد الله أمين على رأس جهاز المخابرات الأفغاني، الذي حاول فتح حوار مع الحكومة

---

(1) I bid., p. 233; Marten Ewans , op. cit, p. 200.

(2) Marten Ewans , op. cit, p. 199.

(3) I bid , p. 201.

الباكستانية، واستمالة رجال الدين، والعفو العام عن اللاجئين للعودة، وإطلاق سراح السجناء، والكف عن استمرار العداء للامريكان(1)

في بداية شهر كانون أول 1979 كتب مدير جهاز أمن الدولة اندروبوف (Andropov) تقرير إلى السكرتير العام للحزب الشيوعي (بريجنيف) يخبره فيها أن الاتحاد السوفييتي كان في خطر لما حصل في ثورة نيسان، وهناك احتمالية أن حفيظ الله أمين قد تحول إلى الغرب. ويأتي مثل هذه التقرير بسبب الشكوك التي ظلت تراود (KGB) عن دراسة أمين السابقة في جامعة كولومبيا الأمريكية، واحتمالات العلاقة مع الاستخبارات الأمريكية (CIA)(2).

في اليوم الثامن من كانون اول 1979، أجتمع الأربعة الكبار في الاتحاد السوفييتي وهم بريجنيف، غروميكو (وزير الخارجية) استينوف (الدفاع) اندروبوف (المخابرات) لقراءة آخر ما وصلتهم من تقارير حول تطور الموقف على حدودهم الجنوبية، واحتمالات وصول صواريخ أمريكية قصيرة المدى على الأرض الأفغانية لمعالجة اهداف ستراتيجية في كازاخستان، سيبريا واماكن آخرى . توصل المجتمعون إلى قرار نهائي هو غزو أفغانستان . وفي اليوم الثاني عشر عرض القرار على رئيس الوزراء (كوسيجين) للمصادقة عليه فأعترض على ذلك، وأعتبر أن المناقشة قد جرت في غيابه، وأنه لا يوافق على هذا المسلك(3).

كانت هيئة الاركان السوفييتية قد وضعت مسودة الغزو على ضوء المناقشات التي دارت مع وزير الدفاع معتمدين على وحدتهم المتواجدة في تركمانستان، معتقدين أنهم سينجحون في مساعهم كما حصل في هنكاريا عام 1956،

(1) ادعى أن الـ 12000 افغاني من الذين ماتوا في أحداث ثورة نيسان 1979 لم يكن هو المسؤول عنهم وإنما جهاز المخابرات التابع إلى نور محمد تركي، إحسان حقي، المصدر السابق، ص171.

(2) Marten Ewans , op. cit, p. 202.

(3) I bid , p. 203.

وجيكوسلفاكيا، 1968، بالرغم من حصول مواجهات في بودابست إلا أنهم نجحوا في إعادة الأنظمة إلى المسار الشيوعي (1).

أن المشكلة الأساسية أمام القيادة السوفييتية ليس أن تكون أفغانستان مخلصة للماركسية بل المشكلة هو في عمق علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع دول العالم الإسلامي، فهي خسرت في عام (1979) نفوذها في إيران بنجاح الثورة الإيرانية بزعامة (خميني)، وخسرت بموجبها نقاط التنصت على حدود الاتحاد السوفييتي، والقواعد، والمخازن، ومتطلبات الادامه الضرورية لقواتها المنتشرة وهي على مقربة من حدود الاتحاد السوفييتي، وفي الرابع من تشرين الثاني، تمكن متظاهرين إيرانيين من الاستيلاء على السفارة الأمريكية وحجز (90) من دبلوماسيها وموظفيها واخذهم كرهائن، كما نهبت سفارتهم في الباكستان (2)

بدء الغزو السوفييتي

في منتصف شهر كانون أول 1979، أعطت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقريراً لادارة الرئيس "كارتر" مفادها أن قوات سوفييتية على وشك أن تدخل أفغانستان، وقد جرى إيجاز هذه القوات لانجاز هذه المهمة (3). وخلال هذه الفترة القصيرة التي سبقت الاعلان الرسمي للغزو، فأن فوج مشاة سوفييتي قد تم نقله جوا إلى مطار كابل، وتبعه ثلاثة افواج آخرى، في حين تواجد في قاعدة باكرام

---

(1) Stephen tanner , op. cit, p. 234.

(2) I bid, p. 234.

(3) Marten Ewans , op.cit, p. 203. (اتهم حفيظ الله أمين السفير السوفيتي بالتآمر مع ترقي لقتله، وأنه احتفظ بالوزراء الأربعة الذين عزلهم ترقي لديه، وطلب تسليمهم إليه فإنكر السفير التهمة، كما أنكر أن يكونوا في السفارة، وقد صرح حفيظ الله في تشرين أول 1979 لأحد الدبلوماسيين الأمريكان قائلا لو سألني بريجنيف نفسه أن اقوم بأي حركة خلاف مصلحة أفغانستان فأني لن اتردد بان أضحي بروحي، ولن اجيب مثل هذا الطلب.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص180

الجوية وحدة مدرعة سوفييتية ثم نقلها على عجل، وجرت كل هذه بأجراءات آمنية مشددة وكأنها مساعدات عسكرية للحكومة الأفغانية كما جرى أبان "ثورة نيسان [1].

أما في تركمانستان فأن وحدات من الجيش الأربعين قد تحركت على البر لتكون على مقربة من حدود الاتحاد السوفيني مع أفغانستان [2].

في يوم 24 كانون أول، (عصر ذلك اليوم) تم نقل وحدات من الفرقة المحمولة جوا (105) إلى مطار كابل بواسطة طائرات النقل انتينوف (22) و (24)، لإنجاز واجبها في أقصر وقت ممكن، وعند ظهر يوم السابع والعشرين من كانون أول، تمكن المستشارين السوفييت من أتمام واجباتهم المكلفين بها وانجاز خطة المخادعة، ومنها تحييد عمل الفرقتين السابعة والثامنة مشاة الأفغانية من عمل أي شيء يعيق حركة الوحدات السوفييتية، مثل سحب العتاد الحقيقي من الدبابات الأفغانية ورفع البطاريات لضمان عدم تشغيلها، وتزويدهم بعتاد كاذب لغرض أجراء تمرين عسكري مزعوم، وتم حجب كل هذه الاجراءات عن قيادة الجيش الأفغاني وحتى أقرب الضباط لهم ممن تخرجوا من اكاديميات موسكو العسكرية [3] في مساء نفس اليوم تحركت وحدات سوفييتية لتطويق مدينة كابل والتهيؤ للقتال، فيما قامت وحدات أخرى من السيطرة على وسط المدينة والوزارات الاساسية بما فيها محطة راديو كابل. في الليل ظهر بحدود (700) من رجال المخابرات السوفييتية KGB بزي رجال الجيش الأفغاني بأتجاه الدارلمان (مقر الحكومة) لمواجهة مقاومة قوية سببت في مقتل اكثر من مائة من المهاجمين من بينهم رئيس الدولة حفيظ الله امين [4] . وفي صباح الثامن والعشرين عبرت الفرقتين الآليتين 357، والسادسة

(1) Martin Ewans, op.cit, p. 203.
(2) I bid ,p. 203.
(3) I.bid, p. 203.
(4) I bid , p. 203.

هو ثالث الثلاثة الذين أسسوا الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني، ترقي، حفيظ الله، وكارمل الذي اختلف في نشأته عن الأثنين لكونه أبن جنرال في الجيش الأفغاني، وحتى ليقال أن أسمه مأخوذ من

والستين من جيش الأربعين السوفييتي الحدود الأفغانية من منطقة "كشكة" في تركمانستان وتقدمت آلياتها إلى الجنوب على طول الطريق الرئيسي[1]، في حين سلكت الفرقتين (360) و(201) محور نهر (آموداريا) وعبرت على جسر (بونتون) من منطقة ترمز (Termez) في أوزبكستان، وتمكنت الفرقة (360) من الوصول إلى كابل في اليوم الثاني، أما الفرقة (201) فقد تمكنت من الوصول إلى (قندز) إلى الشرق من (بدخشان) و(بغلان)، وفي نفس الوقت وصلت وحدات محمولة جوا إلى القاعدة الجوية (شينداد) (Shindand) جنوب هيرات، وكذلك قندهار، وجلال أباد . وبنهاية يوم الثامن والعشرين من كانون أول كان هناك خمسين ألف جندي في داخل أفغانستان[2].

القوات المظلية كانت هي الأخرى داخل العاصمة، للسيطرة على دوائر البريد، مخازن العتاد، والدوائر الحكومية، وفي الوقت الذي تعطلت الاتصالات بين دوائر الدولة واجهزتها الأمنية تماما، تم نقل بابراك كارمل[3] من مطار كابل بواسطة دبابة إلى مقر الحكومة ليكون رئيس الدولة الجديد، ويعلن عبر راديو كابل عن الأعمال الدموية التي قام بها حفيظ الله أمين ضد الشعب الأفغاني، وأنه كان عميلا للمخابرات الأمريكية، واستكمل الرئيس حديثه المدبر في اليوم التالي ليقول لشعبه أنه استدعى القوات السوفييتية للمساعدة السياسية والأقتصادية وكذلك المساعدة العسكرية، وأنه وبموجب معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة مع السوفييت عام 1978، فأن السوفييت استجابوا لهذ الطلب[4].

كانت خطة الغزو السوفييتية مصممة لإنجاز ما يلي : التخلص من رئيس الدولة في كابل، ونقل القوات جوا لضمان أمن المدن الأفغانية الرئيسية، وقيام الفرق الآلية

أسمي كارل ماركس ولينين وأصبح الأمين العام للحزب، رئيس مجلس الوزراء، رئيس مجلس الثورة والقائد العام للقوات المسلحة، وقد وصف نور محمد ترقي بانه بطل شهيد، وأن المجازر والويلات جاءت من حفيظ الله امين منذ ثورة نيسان 1978. إحسان حقي، المصدر السابق، ص178.

(1) Stephen tanner op. cit, p. 235.

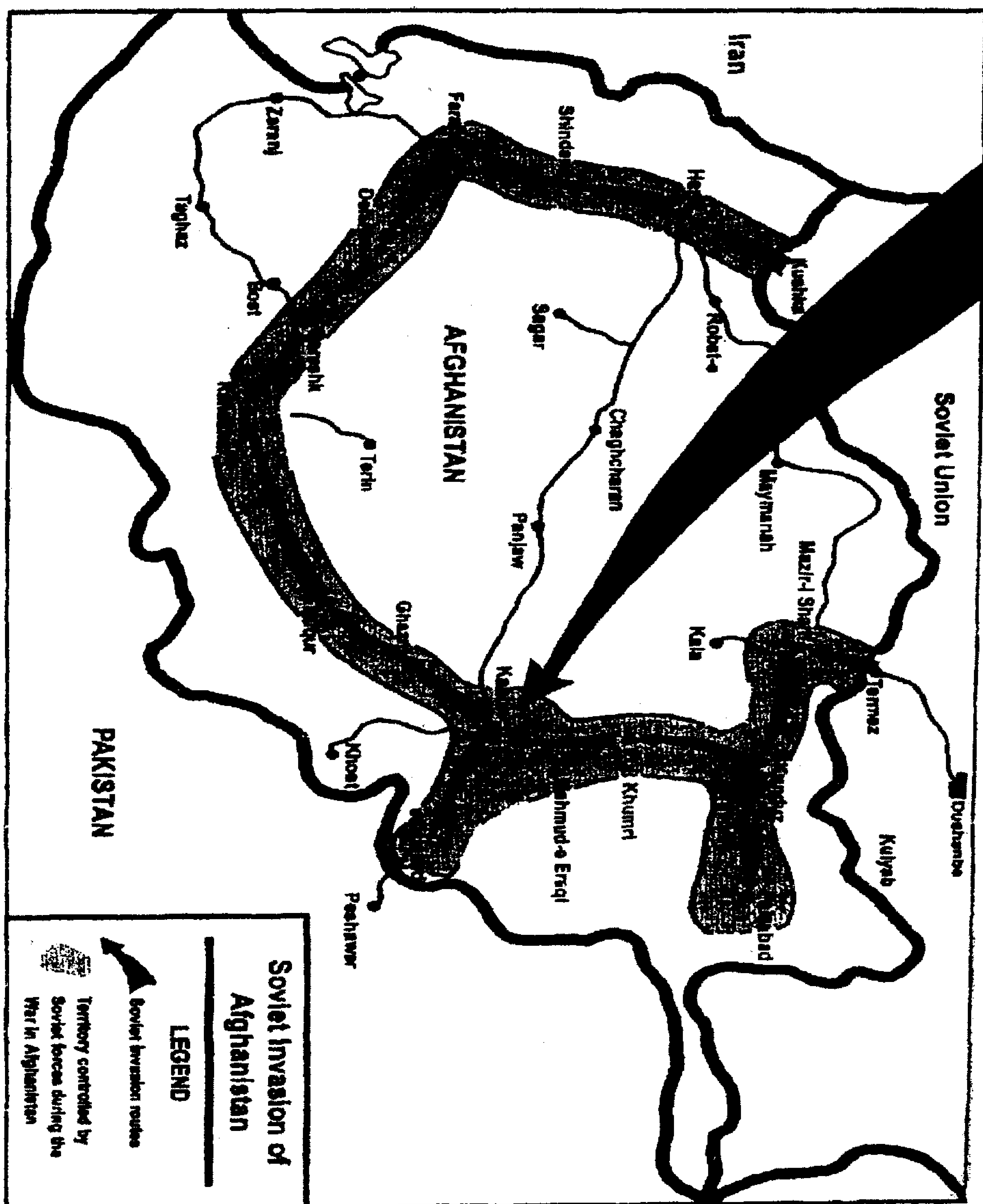
(2) I bid, p. 237.

(3) I bid , p. 237,..186ص، المصدر السابق، إحسان حقي

(4) I bid , p. 237;.186ص، المصدر السابق، إحسان حقي

السوفييتية بالحركة إلى أفغانستان من منطقتي (كشكة) (وترمز) للسيطرة على الولايات الأفغانية الرئيسية،هيرات، فرح،قندهار، غزنة، كابل العاصمة، جلال آباد، طالقان، قندز، مزار شريف. انظر الخريطة رقم (5).

خريطة الغزو السوفييتي لأفغانستان في 27 كانون أول 1979



المبحث الثاني

المقاومـــة الأفغانيـــة

مهما تذرع الاتحاد السوفييتي من أسباب للغزو، فإن أقل ما يمكن أن يوصف به هو ورغبة شيوعية لإنهاء الحركة الإسلامية في أفغانستان حيث تخشى الشيوعية من تطورها باتجاه جمهورياتها الإسلامية الجنوبية. بدأ السوفييت بالتمهيد الإعلامي لإرسال قوة عسكرية إلى أفغانستان لحماية النظام هناك من أي انقلاب ثوري إسلامي[1].

كان الاحتمال الذي خرج به المتابعون لتطورات الموقف، وهم يستمعون إلى ما تقوله صحيفة (برافدا) السوفييتية وهجومها اللاذع على باكستان، حيث اتهمتها بدعم مجموعات المقاومة الأفغانية وإيجاد ملجأ لـ (8000) من المهاجرين الأفغان[2].

ظهر أن الولايات المتحدة ومن خلال سير الأحداث التي تلت الغزو أنها كانت على علم ودراية، فخططت لجر السوفييت إلى هذا التدخل، حيث سيجلب لموسكو مخاطر سياسية منها عزلتها عن العالم الإسلامي بدرجة أساسية، وعسكرياً، فإنهم سيضيعون في شعب الجبال الوعرة ضد شعب صعب المراس خاض غمار حرب العصابات ضد الإنكليز قبل مائة سنة بالتمام[3].

كانت البداية في عام 1980، ولم يكد يمضي أسبوع واحد على الغزو حتى تمرد قائد فرقة المشاة الخامسة عشر الأفغانية وأعلن الثورة في قندهار، ثم المواجهات في شوارع العاصمة كابل وهيرات. أما قائد الفرقة الثامنة فكانت معاركه ضد

---

(1) محمود المرداوي، المصدر السابق، ص60.

(2) Martin Ewans, op.cit, P.207; القبس الكويتية ،مترجم عن مجلة دير شبيغل الألمانية في 1980/5/27.

(3) الأنباء الكويتية مترجم عن مجلة نيويورك تايمز في 1980/1/5.

قوات الاحتلال هي الأعنف، عندما خسر ألفيّ من مقاتليه حتى الخامس من كانون الثاني 1980[1].

في جلال آباد كان الوضع مختلف عما حدث في ولايات أخرى، حيث بادرت ثلاث أفواج من الفرقة الحادية عشر بترك معسكراتهم واللجوء إلى قراهم وقادتهم من رجال القبائل عندما بدأت وحدات الفرقة 201 السوفييتية من التمركز هناك[2].

في شهر شباط 1980 كانت العاصمة كابل على موعد للخروج بتظاهرة صاخبة تنادي بخروج المحتل من أرضهم، وتحول الهياج إلى أشبه بحشد مسلح كانت نتيجته سقوط أكثر من ثلثمائة قتيل من المدنيين، فهرب الناس خارج العاصمة وأغلقت أبواب المتاجر احتجاجاً لمدة أسبوع[3].

أحدث الغزو الأجنبي لبلد مسلم إلى إثارة الناس، فأعلن الآلاف من رجال الدين (الجهاد) ضد المحتل وطلبوا من جنودهم ترك المعسكرات ونهب السلاح والذخيرة لمقاتلة عدوهم المشترك، في حين حاول الرئيس بابراك كارمل من رجال الدين تهدأة الخواطر وعدم الانجرار إلى ما تقوله وكالات الأنباء وتبني الحكمة في تشكيل حكومة وحدة وطنية تكون غايتها خدمة المواطن الأفغاني. إلا أن ما يقوله الرئيس الشيوعي شيء وما يجري على الأرض شيء آخر، فقد أظهرت الإحصائية أن الجيش الأفغاني قد تقلص في عام 1980 من تسعين ألف مقاتل إلى ثلاثين ألف فقط، وهذا يعني أن مضيّ الوقت ليس في صالح حكومة بابراك كارمل ولا القيادة السوفييتية[4].

في الجانب الآخر بادرت القيادة العسكرية السوفييتية في أفغانستان من إعادة آلاف الجنود من الذين اشتركوا في عملية الغزو إلى جمهورياتهم الإسلامية، فقد

(1) Stephen Tanner, op. cit, p. 243.
(2) I bid , p. 243.
(3) I. bid, p. 243.
(4) I bid , p. 243; Angelo Rasanayagam, op.cit, p.96.

وصلت إلى أذهان قائد جيش الأربعين السوفييتي إلى وجود تعاطف كبير بين هؤلاء الجنود والمواطنين الأفغان بسبب كونهم ينتمون إلى الجمهوريات الإسلامية السوفييتية، وأن عامل الدين قد سيطر على شعورهم ومنعهم من إيذاء المسلمين الأفغان[1].

مجموعات المقاومة:

إن الغزو السوفييتي قد أدى إلى ظهور مجموعات المعارضة الصغيرة والكبيرة في الباكستان وهو ما عرف بمجموعات المجاهدين.

صنفت الحكومة الباكستانية أو الاستخبارات الباكستانية المجموعات المنضوية تحت اشرافها إلى سبعة مجموعات في بداية سنة **1980**، وكان تمركزها في منطقة بيشاور الباكستانية والتي لا تبعد أكثر من خمسون كيلو متراً من العاصمة كابل[2].

- مجموعة الحزب الإسلامي: بقيادة البروفسور (حكمت يار) الذي ينتمي إلى قبائل البشتون، متعصب إلى تأسيس دولة إسلامية. تتمتع مجموعته بكبر حجمها وتنظيمها، كما يتميز أعضاءه بانضباط عالٍ بالمقارنة مع المجموعات الأخرى، وهذا ما جعله مميزاً ومرغوباً ليس للاستخبارات الباكستانية وإنما حتى مع مجموعة ارتباط وكالة المخابرات المركزية المتمركزة في بيشاور. تتواجد مجموعاته في مقاطعة ننكهار وحول قندز وبغلان في الشمال، اشتغلت بعض عناصر حزبه بتصنيع المخدرات وتهريبها[3].
- الحزب الإسلامي: مجموعة أخرى انشقت من مجموعة حكمت يار، ترأسها يونس خالصي، تنتمي إلى قبائل البشتون وتتمركز حول مقاطعة قندهار. من

---

(1) إحسان حقي، المصدر السابق، ص237.

(2) Martin Ewans, op. cit. 213.
(3) I. bid, p. 214.

قادة حزبه المعروفين في الجهاد «عبد الحق» الذي هيأ ودرب مجموعته لأعمال حرب العصابات، تتمركز هذه المجموعة ضمن محيط العاصمة كابل، ومجموعة أخرى عملت في مقاطعة بكتيا تحت قيادة جلال الدين(1).

- الحركة الإسلامية: تحت قيادة برهان الدين رباني، معظم أنصاره من قبائل الطاجيك والقبائل الأخرى غير البشتونية، تتمركز عناصره في شمال شرق البلاد، وله تواجد في قندهار. من أشهر قواده أحمد شاه مسعود الذي تميز بقدرة الحركة والمرونة وكان من المجموعات الجهادية المميزة بين مجموعات المجاهدين. كانت لبرهان الدين رباني علاقة مع حكام إيران(2).
- المجموعة الإسلامية لتحرير أفغانستان: تحت قيادة عبد رب الرسول سياف، كان في السجن أيام حكم الجنرال محمد داوود. يتواجد عدد من العرب المتطوعين في صفوف مجموعاته، يتلقى الدعم من السعودية.
- حركة انقلاب إسلامي: تحت قيادة نبي محمدي، معظم عناصرها من البشتون، كانت مجموعاته مميزة في عملها ضد الغزاة في مقاطعة لوكار جنوب كابل وفي منطقة وادي هلمند. اتهمت بعض عناصره بتجارة المخدرات والفساد فيما بعد(3).
- الجبهة الإسلامية الوطنية: تحت قيادة سيد أحمد الكيلاني، المعروف باتباعه الطريقة القادرية الصوفية. رجل أعمال ثري، وطني، أظهر عداءً للإسلاميين، علاقاته ليست جيدة مع الباكستانيين، ويدعو إلى عودة الملكية إلى البلاد. تتمركز مجموعاته قرب قندهار وبين القبائل المنحدرة من أصل تركي في شمال غرب البلاد(4).

---

(1) Angelo Rasanayagam, op.cit, p.103.
(2) I. bid, p. 103.
(3) Martin Ewans, op.cit,, p. 215.
(4) I. bid, p. 215.

- جبهة التحرير الوطنية: تحت قيادة صبغة الله مجددي، من المرشدين الإسلاميين، والوحيد الباقي من عائلته، له علاقات مع الجيل الأول من الثوار، ويتمتع بشخصية مؤثرة. غادر أفغانستان بعد محاولة الانقلاب ضد الجنرال محمد داود واستقر في الدانمارك ثم عاد إلى بيشاور. عرفت مجموعاته بقلة فاعليتها في القتال، وعلاقته بالباكستانيين والعرب غير جيدة(1).

أما المجموعة الأخرى فهي مجموعة الهزارة (شيعية) التي تتغذى وتتسلح وتتدرب على أيدي رجال من المخابرات الإيرانية. جرى إعادة تنظيمهم تحت اسم حزب الوحدة بعد انسحاب القوات السوفييتية.(2) في شهر مارس 1980 حاولت السلطات الباكستانية جمع هذه المجموعات في بيشاور في محاولة للسيطرة عليها إلا أنها وجدت صعوبة متناهية في ذلك، مما يعطي الانطباع إلى أن كل زعيم منهم متشبث بمنصبه وينتظر الغنائم فيما بعد، وقد ينظر إلى أن سياسة الاستخبارات الباكستانية إنها لا تريد لهم التوحد لكي تبقى تتعامل مع كل مجموعة وقائدها بطريقة مختلفة عن الأخرى، كما أنها لا ترغب برؤيتهم قوة موحدة يمكن أن تخلق لها متاعب في المستقبل(3).

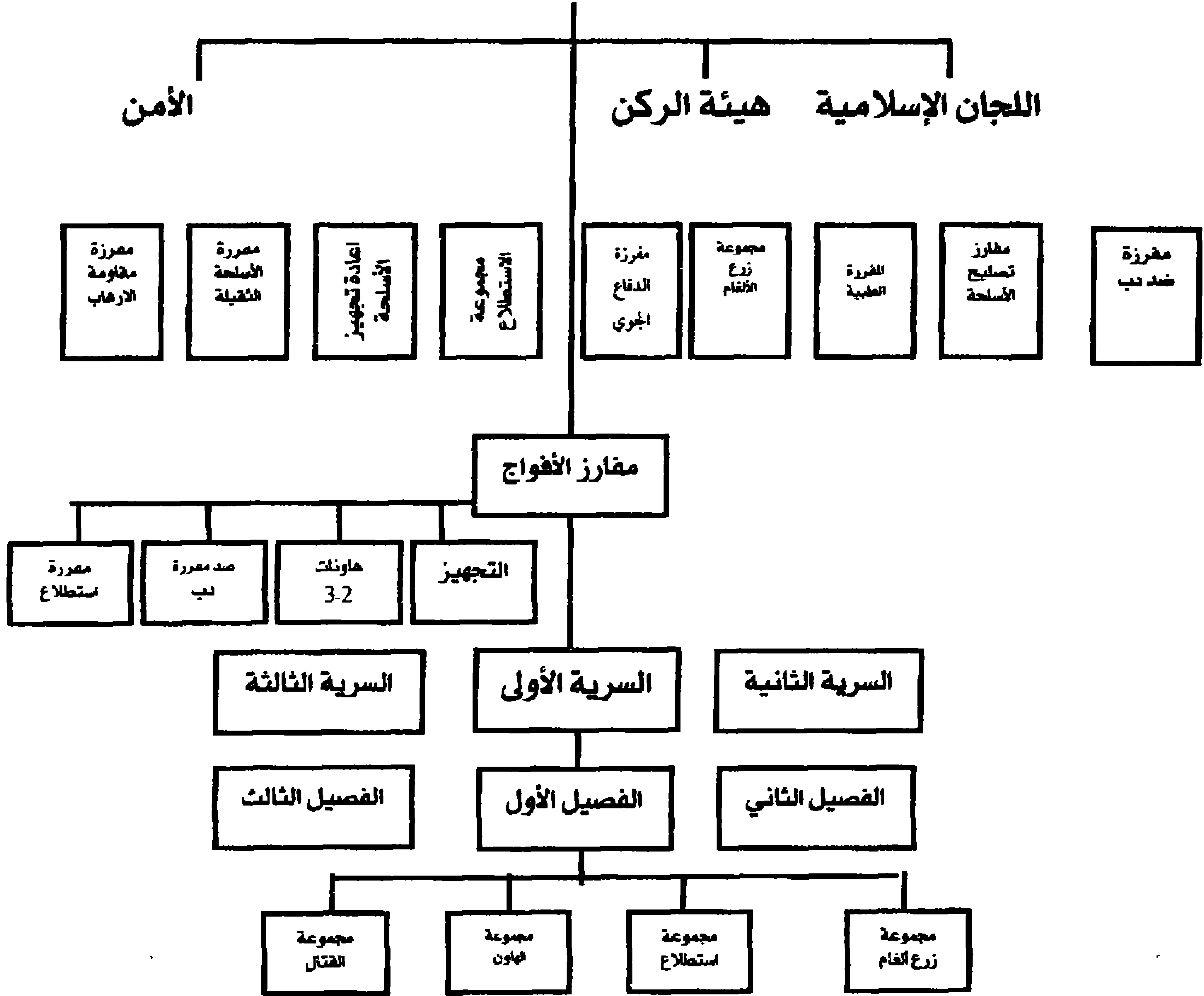
أعطيت لهذه المجموعات حصة من الأسلحة السوفييتية الموجودة لدى مخازن الجيش المصري، والمرسلة عبر طائرات النقل إلى المطارات الباكستانية، وبموجب قوائم معدة لهذه الغاية جرى توزيع الحصص على هذه المجموعات وفق سجلات رسمية محفوظة في جهاز المخابرات العسكري الباكستاني.

---

(1) Angelo Rasanayagam, op.cit, p. 104.
(2) Martin Ewans, op.cit, p. 216.
(3) I.bid., p. 216.

تنظيم كتيبة المجاهدين

آمر الكتيبة



<u>الأشخاص والتجهيزات (للكتيبة)</u>[1]:

الأشخاص 600 -900

الدفاع الجوي 10

هاونات 4 -6

ألغام ضد الدبابات 4 -8

قاذفات صواريخ محمولة 2 -4

دفاع جوي مدافع رشاشة 2 -4

دوشكا 10 -12

قاذفات RPG-7 20

---

[1] Theadore C. Mataxis, op.cit, p. 59.

أجهزة اتصال 5 -10

ومن خلال سير العمليات التي جرت ضد القوات الأفغانية والسوفييتية، فإن كثير من الأسلحة المستولى عليها قد تم بيعها من قبل مجموعات المقاومة في الأسواق، مما حمل الأمريكان على شراءها مرة أخرى، وبمرور السنوات على هذه الحرب فإن كثير من عناصر المقاومة كانت ضالعة في تهريب السلاح، وصفقات المخدرات والفساد بصورة عامة(1).

في الجانب الآخر، فقد ظهر العديد من القيادات الميدانية داخل البلاد ومن خارج «مجموعات بيشاور» لترسم لها دور وطني كبير في إجراء عملية التنسيق بين مختلف المجموعات بغية تكبيد القوات الغازية والحليفة خسائر جسيمة.

التعبية المستخدمة من قبل الطرفين

كان رجل المخابرات السوفييتية في كابل الجنرال «شيبارشين» مقتنعاً بما كتبه عن أحوال الناس في أفغانستان وفي العاصمة كابل على وجه التحديد آخذاً بنظر الاعتبار الحشد الهائل من الضباط الأفغان الذين تخرجوا من معاهد موسكو وولائهم تجاه أي تغيير يقدم عليه السوفييت في بلادهم. إلا أنه لم يصل إلى حد التقييم الواقعي لمشاكل الشعب الأفغاني وتاريخهم الطويل في مقاومة الأجنبي، وإن أفغانستان ليست هنكاريا أو جيكوسلفاكيا عندما استيقظ الناس وشاهدوا دبابات سوفييتية تجري في شوارعهم عام 1968(2).

كانت الستراتيجية السوفييتية في أفغانستان تعتمد على ما يلي:

احتلال مراكز المدن والمدن الرئيسية، وإسناد الجيش الأفغاني بقوة نارية عند الحاجة مع تأمين إسناد إداري (logistic) للوحدات المشتركة بالعمليات ضد

---

(1) جيمس كرن، فيليب كارير، المصدر السابق، ص 21.

(2) محمد حسنين هيكل، كلام في السياسة، من نيويورك إلى كابل، مصر، 2002، ص 421.

مجموعات المقاومة في ضواحي المدن، وفي نفس الوقت تقوم القيادة العسكرية السوفييتية ببناء مزيد من الوحدات الأفغانية وتدريبها بغية جعل الجيش قادراً لوحده في مواجهة التمرد مستقبلاً، وكان في عقل السوفييت أن بضعة أشهر كافية لإحلال الأمن أو على الأقل يجري سحب معظم القوات السوفييتية والإبقاء على مستشارين فقط[1].

في مطلع عام 1980 وبعد سلسلة من العمليات الخاصة للمقاومة الأفغانية داخل أراضيهم تمكنوا من تكبيد القوات الحكومية الأفغانية والسوفييتية خسائر جسيمة بالمعدات والأرواح، وهذا ما أتاح للقيادة السوفييتية إلى النظر بجدية إلى تبديل القطعات الآسيوية بقطعات أخرى يعتمد عليها سياسياً[2].

في شباط 1980 وصل مدير المخابرات السوفييتية (أندروبوف) ووزير الدفاع (استينوف) إلى العاصمة كابل، بغية الاطلاع عن كثب على التطورات الجارية وتقييم الموقف، وكان من جملة ما قاله مدير الـ (KGB) هو أن على القوات السوفييتية أن لا تفكر بالعودة إلى قواعدها في الاتحاد السوفييتي قبل مضيّ عام أو عام ونصف، وإن الرئيس بريجنيف قد وعد بإرسال مزيد من القوات إذا دعت الحاجة لذلك. وبانتهاء الزيارة حدثت مظاهرات عنيفة في العاصمة كابل والمدن الأخرى، مما استدعى فرض حظر التجول وصعود الناس فوق المنازل للتكبير بكلمات الله أكبر. وفي الثاني والعشرين من شباط وبسبب العصيان والمظاهرات في العاصمة، فقد اندلعت اشتباكات مسلحة كانت حصيلتها أكثر من (300) قتيل واعتقال أكثر من (900) من المواطنين الأفغان[3] في شرق البلاد. وفي المنطقة الجبلية التي تقطنها

---

(1) Martin Ewans, op. cit, p. 217.

(2) كانت القوات المشتركة بعملية الغزو من جمهوريات أوزبكستان، طاجاكستان، تركمانستان وادعى السوفييت أنها ضعيفة التدريب، والحقيقة أنهم متعاطفون مع الجنود الأفغان والشعب الأفغاني المسلم.

Martin Ewans, op. cit, p. 218.

(3) I. bid, p. 219.

القبائل الأفغانية أظهرت التقارير أن أول اشتباك عنيف سجل بين قوات الغزو وقوات المقاومة الأفغانية، ففي آذار 1980 اشتبكت وحدات مدرعة من الفرقة 201 السوفييتية مع مجموعات مسلحة أفغانية وذلك لفك الحصار عن وحدات الفرقة التاسعة الأفغانية المتمركزة في منطقة أسد آباد[1].

كانت مجموعات المقاومة قد هيأت عدد من الكمائن السريعة خلف التلال وفي المنعطفات في وادي كونار وسببت إرباكاً وخسائر في صفوف الفرقتين التاسعة الافغانية و201 السوفييتية. ولم تكد تمضي شهرين على العملية، حتى تعرض رتل من الفرقة 201 والفرقة 201 إلى كمين من رجال المقاومة في إحدى قرى منطقة جلال آباد، مما أجبر الجنود السوفييت من الترجل والصعود إلى أعلى المرتفعات للتخلص من رجال المقاومة المختفين خلف الصخور، واجبرتم على طلب نيران المدفعية التي سرعان ما أجبرت مجموعة المقاومة من الاختفاء مرة أخرى، وتبين فيما بعد أن العملية سببت خسائر كبيرة في صفوف السوفييت[2].

وفي مقابلة تلفزيونية أجريت مع محمد آصف وعلي أحمد جلالي وهم من قادة المقاومة لما جرى للفرقة 201 السوفييتية مؤخراً، قالا أن السوفييت تركوا قتيلين في أرض المعركة وسحبوا عدداً آخر، وما أن عادت مفرزة سوفييتية لسحب القتلى حتى أصابهم كمين آخر ليتركوا سبعة قتلى، إلا أن قائد الفرقة السوفييتية ونتيجة لما جرى اعتقد أن أهالي القرية هم من دبروا الكمين فارتكب مجزرة بحق أهل القرية فقتل الكثير من رجالهم وحيواناتهم[3].

---

(1) Stephen tanner, op. cit, p. 245.

(2) I bid, p. 246.

(3) I. bid, p. 246.

بقي الجنود السوفييت في المنطقة اثنا عشر يوماً، وكان عدد القتلى المدنيين من القرى بحدود 1800رجل، كما روى آصف.

في أواخر شهر نيسان خرج آلاف من طلاب المدارس بمظاهرة تحدي لرجال الأمن الأفغان بسبب تردي الأوضاع واعتقال ذويهم، فما كان من رجال الأمن إلا أن فتحوا النار ليقتلوا عدداً من الطلاب ويجرحوا آخرين منهم واعتقال مجموعة أخرى فتسبب في ترك كثير من موظفي الدولة لدوائرهم، ومعهم أساتذة جامعات، فرق رياضية، طيارين وحتى قسم من الدبلوماسيين الذين وجدوا أن حياتهم في خطر، والأهم من ذلك أن أكثر من (17000) جندي أفغاني قد تركوا وحداتهم في شهر نيسان وحده[1].

وفي شهر حزيران وجد رجال المقاومة فرصتهم للانتقام من الفرقة السوفييتية 201 لما فعلته برجال القرى والمدنيين العزل قبل شهرين، ففي مقاطعة (بكتيا) تابع رجال المقاومة فوج يتنقل على الطريق ما بين (كارديز) إلى (خوست) قرب الحدود الباكستانية حتى فوجئ بكمين محكم يفتح النار ويجبر جنود الفوج البقاء داخل ناقلاتهم حتى نفذ عتادهم ثم أجهزوا عليهم، وتناقل الخبر رجال المقاومة الافغانية، ثم قيادة جيش الأربعين السوفييتي وهو يستمع إلى نسبة الخسائر بالمقارنة إلى استشهاد خمسة وعشرون من رجال المقاومة فطلبت قيادة الجيش تحقيق عاجل لما حدث لفرقته[2].

اعتمد رجال المقاومة الأفغانية في المرحلة الأولى من الغزو على الكمائن والغارات بالدرجة الأساس نظراً لمعرفتهم التفصيلية بطبيعة الأرض وطرق التقرب والانسحاب. فالأطفال والفلاحين ورعاة الغنم قد استخدموا وهم في عملهم اليومي في رصد حركة آليات عدوهم دون أن يكون أحدهم يحمل سلاح، ولكن على مسافة

---

(1) Martin Ewans, op. cit, p. 219.

(2) Stephen Tanner, op. cit, p. 247.

منهم قد لا تبعد ثلثمائة متر هناك كمين ينتظر إشارة من أحد الأفغان بتقرب جنود أفغان أو سوفييت[1].

إن إدارة العمليات والتعبية المستخدمة أصبحت غير مستقرة لكلا الطرفين، وخصوصاً السوفييت الذين تحملوا نسبة خسائر غير محسوبة، فكانت في:

-المرحلة الأولى، اتسمت بطابع القتال بمجموعات كبيرة سواءً مجموعات المقاومة أو السوفييت، معتمدين على مناطق الانفتاح (opening up area) التي كانت تحت سيطرة المقاومة، وأن ما شجع السوفييت ولاتباع هذه التعبيه هو عزم المقاومة على الصمود والقتال بمجموعات كبيرة رغم ضعف التسليح بالمقارنة مع الطرف الآخر، فأدى ذلك إلى كثرة الخسائر[2].

وجد السوفييت أن أحد المسالك التي يستخدمها رجال المقاومة للتسلل من الباكستان هو عبر ممر (سالانك) إلى (وادي بانجشير) شمال كابل، ومن خلال اشتباكين مع السوفييت، وجدوا أن إطلاقاتهم لا تؤثر بناقلات الجنود، ورشاشاتهم ضد الجو لا تصل إلى الطائرات السوفييتية، وأن بإمكان الأسلحة السوفييتية أن تحدث خسائر بهم من مسافات بعيدة، فقرر قادة المقاومة وبالتشاور مع المقاتلين أن يتم تأليف مجموعات صغيرة تتألف من عشرة إلى ثلاثين مقاتل لمقاتلة السوفييت والقوات الحكومية الأفغانية، مجبرين السوفييت إلى استخدام قواتهم الآلية والمدرعة والمدفعية لمواجهة قوة صغيرة تتنقل وتختفي في خلال دقائق[3].

في المدن، حاول قادة المقاومة من إحداث تخريبات أو اغتيال رجال الحكومة الأفغانية معتمدين على إثارة الناس للتظاهر والإضراب العام إلا أن يقظة رجال

---

(1) Theodore C. Malaxis, The soviet-Afghan war, How a supper power fought and lost, the Russian General staff, U.S.A, 2002, p. 65.

(2) جيمس كرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص7.

(3) Stephen tanner, op. cit, p. 247.

المخابرات الأفغانية (Khad) داخل المدن الأساسية قد أفشلت أي جهود للمقاومة، فاضطرت مجموعات المقاومة من العمل في الريف أو على أطراف المدن(1).

- المرحلة الثانية سنة 1981، وجدت قيادة جيش الأربعين السوفييتي نفسها عاجزة عن إحداث تغيير نوعي في عملياتها ضد مجموعات المقاومة التي تعتمد بالأساس على البندقية AK-47 (كلاشنكوف) والقاذفة الخفيفة المقاومة للدبابات RPG-7 ومدافع الهاون من طراز 60 ملم و82 ملم.

وجد السوفييت ضرورة الانتباه إلى الريف الأفغاني لمنع قوات المقاومة من الحصول على الملجأ والطعام والمعلومات من أبناء القرى المنتشرة هناك، مما أجبر القوات الأفغانية إلى إبلاغهم رسمياً بواسطة ضباط من الجيش والداخلية الأفغانية بأن أي قرية أو مدينة تأوي رجال المقاومة أو تقدم لهم أي تسهيلات ستكون في عداد القرى المتمردة على الدولة وسيطالها القانون(2).

وظهر من خلال التنفيذ أن حققت نجاحات مؤثرة كعمليات مستقلة عن بعضها في تقليل الخسائر السوفييتية، ولكن الرقعة الجغرافية التي تجري عليها العمليات واسعة وجبلية معقدة بحيث يستحيل على مثل هذه القوة من بسط نفوذها على كل ولايات وقرى أفغانستان، وبات السوفييت يدركون أن حملتهم الموجهة لكسب قلوب وعقول الناس أمر في غاية الصعوبة بسبب الواقع المر لحقيقة الاحتلال والتباين بين بلاغه البيانات والوعود، والأكثر من ذلك تمسك القبائل الصارم بالدين الإسلامي ونبذهم مذهب المادية الإلحادية، وهذه بمجملها جعلت ولاء سكان الريف لدين الإسلام وفي الوقت نفسه سعيهم الجدي لتقديم معلومات استخبارية لقادة المقاومة(3).

---

(1) I. bid, p. 247.

(2) Martine Ewans, op. cit, p. 220.

(3) جيمس كيرن، المصدر السابق، ص26.

وبمضي الوقت وكثرة الخسائر قرر السوفييت إلى إجبار سكان القرى من إخلاء مساكنهم وذلك عن طريق قصف المساكن التي يعيشون فيها، على أن تسند القوة المتقدمة بعد ذلك وحدات مدرعة وآلية مسندة بالمدفعية وطائرات الهليوكبتر للسيطرة على محيط القرية، لتفتيشها. وعندما تكون القرية خالية من السكان الذين هجروها إلى التلال يقوم السوفييت بتطبيق سياسة (الأرض المحروقة) (1) أي تدمير الأبنية، قتل الحيوانات، تخريب أنظمة الريّ، وقتل أي افغاني في القرية، ولكي يتركوا القرية بلا حياة يقومون بنصب مصائد المغفلين والألغام لإحداث أكبر فوضى بين رجال وأطفال القرية الذين يباغتون بما زرعه رجال الهندسة السوفييت عند انسحابهم. إن هذا الوضع قد خلق نوع من عدم الثقة بين رجال المقاومة وسكان القرى مما أدى إلى وقوع صدامات فيما بينهم قبل أن يكتشفوا حقيقة نوايا وخبث قوات الاحتلال (2).

أجرت القيادة العسكرية السوفييتية تعديلاً على التعبية المستخدمة فقد أعادت تنظيم وحداتها، وجعلتها عبارة عن مجموعات صغيرة لا تزيد عن سرية (أي بحدود 80 -100) مقاتل يمكن لطائرات الهيلوكبتر نقلهم على وجه السرعة خلف مجموعات المقاومة، وفي ذات الوقت إسناد قوتها بنيران إسناد قريب من مروحيات أخرى مرافقة لقطع خطوط انسحاب مجموعات المقاومة (3).

لم يستسلم رجال المقاومة في القرى الأفغانية لهذه المرونة التي أبداها الطرف الآخر، فقد بادرت المجموعات من الظهور ليلاً لمهاجمة عدوهم المنسحب (أي بعد مغادرتهم)، وأظهر القائد الميداني أحمد شاه مسعود قدرة عالية في المرونة وإدارة

(1) إحسان حقي، المصدر السابق، ص188، .Martine Ewans, op. cit, p. 221
(2) Martine Ewans, op. cit, p. 219.
(3) I bid, p. 222.

العمليات في وادي «بانجشير»[1]، حيث هاجم السوفييت هذا الوادي تسع مرات خلال سنوات الحرب. ولغرض إيقاف عمليات التسلل من هذا الوادي، فقد عمد السوفييت على بث الألغام من الجو التي شوهدت على شكل لعب أطفال لتقتل أكبر ما يمكن من البشر والحيوانات التي يعتمد عليها رجال المقاومة أثناء تنقلهم[2].

إن تحول السوفييت إلى التعبية المرنة قد ساهمت في نجاح كثير من العمليات ضد رجال المقاومة، وكبدتهم خسائر أثناء عملية الانسحاب، إلا أن رجال المقاومة لم يفقدوا العزيمة في مجاراة عدوهم، فهم أيضاً غيّروا من عملياتهم، فكانت هذه المرة حرب الألغام التي وجد رجال المقاومة أن الوحدات السوفييتية تتنقل في آليات للوصول إلى الأهداف التي حددوها أو معرفة نتائج معركة على الأرض، فعمد رجال المقاومة على زرع الألغام على كل الطرق التي تسلكها عجلات الحكومة الأفغانية وأرتال السوفييت، فجرى تلغيم طريق كابل - قندهار - هيرات، وكابل - هيرتان، وكابل - جلال آباد والطريق الآخر، كابل - كارديز - خوست[3].

أما الطرق الأخرى التي وصلها رجال المقاومة، فقد تمثلت بأقسام من طريق خارج المناطق المبنية والتي لا بد أن تسلكها العجلات، أقسام من الطرق الجبلية المارة على طول حافات الجبال وحافات الأنهار والوديان الضيقة والتي يستحيل تخطيها من مكان آخر[4].

أن الألغام ضد الدبابات هي الأخرى شملها الزرع ويعثر حولها ثلاثة إلى خمس ألغام ضد الأشخاص، بحيث يصعب تميزها من قبل سائقي العجلات المدرعة

---

(1) يقع الوادي شمال العاصمة كابل، يتميز بوعورته الشديدة، يمتد إلى مسافة (250)كم حتى يصل جبال هندوكوش، وهو القاعدة الرئيسية لمجموعات المقاومة. Teodore c. Mataxis, op. cit. p. 74.

(2) Martine Ewans, op. cit, p 222.

(3) Teodore c. Mataxis, op. cit, p. 69.

(4) I bid , p. 69.

السوفييتية أو الافغانية أثناء حركتهم، إلا أن ما يعاب على رجال المقاومة بهذا الخصوص هو كثرة الخسائر بين مجموعات زرع الألغام التي كان معظمها من شباب القرى النائية الذين تلقوا تدريبات بسيطة لا تزيد على شهر[1].

كانت حصيلة هجمات رجال المقاومة في نهاية 1981 قد وصلت إلى أكثر من خمسة آلاف هجوم على وحدات سوفييتية وأفغانية، وفي التسعة أشهر الأولى من عام 1982، كان الرقم يصل إلى سبعة آلاف وستمائة هجوم، وأربعة آلاف وستمائة عمل تخريبي ضد أهداف اقتصادية، من ضمنها خطوط الكهرباء وخطوط نقل الغاز، وأسلاك الضغط العالي[2].

كان قادة فصائل المقاومة السبعة متوحدين على عدوهم عندما اجتمعوا ليعلنوا أن أهدافهم من العمليات هي:

أ. عدم الاعتراف بأي شرعية لحكومة كابل، واستمرار تشجيع ثقافة المعارضة للاحتلال بين أفراد الشعب الأفغاني.

ب. تأسيس قاعدة لحرب العصابات وتأمين سيطرة إدارية في المناطق المحررة.

ج. الاستمرار في حرب استنزاف وهي مكلفة للسوفييت[3].

في عام 1982 حصلت فصائل المقاومة السبعة في بيشاور على كميات مهربة من الأسلحة، منها صواريخ ضد الدبابات، RPG-7، رشاشات دوشكا عيار 12.7 ملم، رشاشات صينية نوع – 75 عيار 14.5 ملم ضد الطائرات[4].

كان رأي القيادة الباكستانية أن يتم تزويد أحزاب المقاومة عن طريق جهاز الاستخبارات الباكستانية، وأن لا يتدخل أحد من رجال الحكومة في عمل هذه

---

(1) I, bid, p. 70.

(2) Martine Ewans, op. cit, p. 223.

(3) Stephen tanner, op, cit, p. 248.

(4) I bid, p. 250.

المجموعات، وكان رجل الاستخبارات الأول هو الجنرال اختر عبد الرحمن، يعاونه الجنرال يوسف، واستطاع الأول أن يقنع رئيس الجمهورية الجنرال ضياء الحق بأن لا تصعد باكستان لهجتها مع السوفييت وأن "لا نصل إلى أي احتكاك مباشر مع السوفييت". إلا أن مشكلة باكستان هي وجود ملايين من اللاجئين الأفغان الذين بدأوا بالوصول إلى شمال غرب مقاطعاتها الحدودية[1].

بدأت الصين وهي واحد من حلفاء باكستان، إرسال مساعداتها العسكرية إلى الباكستان في تحدي واضح للسوفييت والهند، فيما أبدت مصر، هي الأخرى من ارسال أعداد كبيرة من الأسلحة السوفييتية المصنعة، وكانت السعودية على استعداد لاقناع الرئيس الباكستاني ضياء الحق لاستلام مبلغ أولي قدره 400.000.000 مليون دولار كان الرئيس الأمريكي كارتر قد خصصها لهم. أما إيران فقد بدت غير راغبة في مساعدة رجال المقاومة، بعد اندلاع الحرب مع العراق، ولكنها أرسلت مساعدات للهزارة الشيعة في أفغانستان[2].

في حزيران 1981 قصفت مدينة قندهار[3] معقل قبائل البشتون بحشد هائل من نيران المدفعية والطيران مما أدى إلى تدمير 3/1 الأماكن السكنية في المدينة.

ومع بدء المرحلة الثالثة عام 1982 ضربت مدينة قندهار ضربة شديدة للمرة الثانية، وكذا الحال مع مدينة هيرات المحاذية لإيران، وعانت المدن الصغيرة من قصف جوي وبري في تعبية عرفت (حاصر واقصف)[4]. إن هذا النهج الجديد أجبر المدنيين على ترك ديارهم واللجوء إلى باكستان وإيران أو إلى مدن آمنة مثل العاصمة كابل التي ازداد عدد سكانها إلى ثلاثة أضعاف منذ أن بدأت الحرب[5].

---

(1) I, bid, p. 250.

(2) Martin Ewans, op. cit, p. 224.

(3) جيمس كرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص8.

(4) Stephen Tanner, op, cit, p. 251.

(5) جيمس كرن، المصدر السابق، ص9؛ Teodore c. Mataxis, op. cit, p. 70.

في الجانب الآخر فإن قادة المقاومة قد سخّروا كل إمكانياتهم من أجل صمود الشعب الأفغاني بوجه السوفييت. فقد بادروا إلى تكريم المجموعات وكالآتي:

أ. كل من يستطيع قتل أو أسر جندي سوفييتي يكرم بمبلغ مائتان وخمسون ألف أفغاني أي ما يعادل ألف ومائتان وخمسون دولار.

ب. كل من يستطيع قتل أو أسر ضابط سوفييتي يكرم بضعف المبلغ أعلاه.

ج. كل ناقلة أو دبابة حكومية أو سوفييتية تدمر تكون المكافأة ألف وخمسمائة دولار.

د. كل من يسقط طائرة يكافأ بمبلغ خمسة آلاف دولار.

فن العمليات السوفييتي في وادي بانجشير:

قررت قيادة جيش الأربعين[1] السوفييتي أن تجري العمليات بصورة مستقلة أحياناً ومشتركة في بعض الواجبات وذلك بالاعتماد على المتيسر من القوات والموارد حسب متطلبات الواجب.

جرت العمليات المستقلة بصورة واسعة في الصفحة الثانية من الحرب، حيث شهدت المدن الأفغانية استخدام وحدات من الجيش السوفييتي بلغ عددها مائتان وعشرون عملية ضد تواجد مجموعات المقاومة[2]، أما العمليات المشتركة فقد استخدمت بصورة واسعة ومكثفة خلال الصفحة الثالثة والرابعة من الحرب، وبلغت خلال الفترة 1979 -1989 أكثر من أربعمائة عملية[3].

---

(1) حسب التنظيم السوفييتي، فإن تنظيم الجيش مساوي في الحجم لتنظيم الفيلق في العراق، بريطانيا، الباكستان، فهو قادر على إدارة وحركة ثلاث فرق أو أكثر أثناء العمليات.

(2) Theodore c. Mataxis, op. cit, p. 73; Angelo Rasanayagam, op.cit, p.114-115.

(3) I bid, p. 74.

إن القرار على حجم القوات والموارد المطلوبة لأي عملية تعتمد على المكان، والمدة المحتملة لاستمرارها، طبيعة أعمال مجموعات المقاومة، الأرض التي تجري عليها العمليات. إن عمليات مقاومة العصابات يتطلب مشاركة أربعة إلى خمسة أسلحة مشتركة ووحدات فرعية تقوم بعمليات خاصة ذات دور مؤثر وساند في إحداث الخلل المطلوب في قيادة المقاومة.

إن إدارة العمليات من قبل قيادة الجيش السوفييتي والأفغاني إنما أراد تحقيق الأهداف التالية[1]:

أ. تحطيم قوة المقاومة في مناطق عملهم.

ب. المحافظة على أمن المنشآت العسكرية.

ج. المحافظة على مرور أرتال التجهيزات.

إن عمليات تحطيم مجموعات المقاومة، تطلبت عمليات تعرضية، تتقدم فيها القوات على محاور مختلفة. إن تنظيم وإدارة العمليات التعرضية كانت أكثر تعقيداً من العمليات الأخرى. ففي شهر مايس 1982 بدأت عمليات وادي بانجشير لتطويق محافظة بروان، وظهر جلياً لكلا الطرفين المتصارعين تشبثهما في المواضع التي يتحصنون بها، فهو بالنسبة للمقاومة قاعدة مركزية يتدربون فيها، ويجري تسليحهم وتجهيزهم وإعادة تنظيمهم[2].

كانت قوة مجموعات المقاومة في وادي بانجشير تزيد على خمسة آلاف مقاتل، معتمدين في قوتهم الدفاعية على وعورة الجبال والمناطق الحاكمة التي يتحصنون

---

(1) I. bid, p. 74.

(2) Theodore c. Mataxis, op. cit, p. 75.

فيها، كما أسسوا نقاط منيعة في ضواحي القرى تستوعب ما بين عشرة إلى عشرين من رجال المقاومة مجهزين بأسلحة نارية مختلفة[1].

قادة المقاومة الأفغانية وبسبب علاقاتهم الوطيدة مع مختلف شرائح الشعب الأفغاني، أوجدوا مراكز إسلامية على الأرض في مختلف مقاطعات أفغانستان سميت بمراكز (اللجان الإسلامية)، في كل مركز قوة مقاومة تتراوح بين (ثلاثون إلى خمسون) مقاتل مجهزين بأسلحة وصواريخ ضد الطائرات. أما مدفعية المقاومة، فقد وضعت في مناطق قريبة ومخفية من رصد الطائرات السمتية السوفييتية أو عن طريق التصوير الجوي، فهي تقوم بواجب الرمي والعودة إلى مواضعها المغشوشة جيداً[2].

بدأت الاستعدادات لعمليات وادي بانجشير من خلال عمليات الاستطلاع الواسعة التي أجراها الضباط السوفييت والأفغان للتعرف على نقاط قوة مجموعات المقاومة، وأسلحتهم، وظهر من خلال جمع المعلومات عن وجود خمسة وتسعون مفرزة ومجموعة للمقاومة، أي ما يقرب من ثلاثة آلاف رجل، وستة عشر لجنة إسلامية، ومائة من أنظمة أسلحة الدفاع الجوي، إثنان من مراكز التدريب، وعدة نقاط تجهيز[3].

كان قرار قيادة جيش الأربعين واضحاً بضرورة مهاجمة هذه المجموعات القوية في وادي بانجشير وتدميرها، غير أن ذلك استلزم مناورة لعدد من الوحدات السوفييتية لمواجهة المجموعات في أرض وعرة.

اختارت القيادة السوفييتية فوج مشاة واحد من كل من فرقتي المشاة (108)، و(201)، ومثلهما من الفرقة المحمولة جواً (103)، لواء المشاة السدس والستون

---

(1) جيمس كرن، فيليب كارير، المصدر السابق، ص 32.
(2) Theodore C. Mataxis, op.cit, p.75.
(3) جيمس كرن، فيليب كارير، المصدر السابق، ص 33.

المستقل، ووحدات فرعية من الفوجين الثماني والستين، و(191)، فوج المظليين المستقل (345)، عدة أسراب من طيران الجيش[1].

أما الجيش الأفغاني، فقد طلب منه أن يشارك بعدة أفواج مشاة ووحدات فرعية من القوات الخاصة المدربة على أيدي السوفييت، ووحدات من الاستخبارات الأفغانية[2].

إن مفهوم العمليات في قيادة جيش الأربعين قد أخذ بالاعتبار أن تنفيذ العمليات ستكون مشتركة مع قوات حليفة (الجيش الأفغاني) وهناك احتمالات من تسرب خبر العمليات ومحاورها إلى مجموعات المقاومة، فقرر القائد أن تتقدم القوة الرئيسية للهجوم من قاعدة (باكرام الجوية) صعوداً إلى قرية (أفيم) Evim في حين تقوم قوات أخرى بعمليات هجوم كاذب لتضليل قوة المقاومة باتجاهات وأهداف قوة الهجوم، فاختارت الطريق المحاذي لوادي نهر كوريند[3].

كان قرار القائد السوفييتي أن تبدأ العمليات بهجمات جوية كثيفة على أماكن تجمع مجموعات المقاومة، ثم يتبعها استخدام السمتيات المسلحة لتقديم الإسناد الجوي القريب للقوات المتقدمة إلى أهدافها، بغية تأسيس قواعد مهمة في تلك المنطقة الستراتيجية من أفغانستان[4].

إن انفتاح القوات سيغطي جبهة واسعة تصل إلى ستون كيلو متر في الأمام و(220) كيلومتر في العمق، وإن الوقت المستغرق لإنجاز عملية وادي بانجشير قد تأخذ من ثلاثة عشر إلى خمسة عشر يوماً، وهذا يعني أن معدل حركة القوات سيكون ما بين خمسة عشر إلى ثماني عشر كيلو متر في اليوم الواحد[5].

---

(1) Theodore C. Mataxis, op.cit, p. 75.
(2) I bid, p. 76.
(3) I.bid, p.76; Martin Ewans, op.cit, p.227.
(4) Theodore C.,Mataxis Op.cit ,p.76.
(5) I.bid, p.76.

إن فريق التخطيط للعمليات، قد أخذ عامل الأمن في الاعتبار الأول، معتبراً أن ضباط أفغان، وعناصر مدنية مسلحة، ووحدات فرعية من الاستخبارات الأفغانية ستشارك في العملية، وهذا يعني أن خطة الهجوم سوف لا توزع إلا على عدد محدود من الضباط خشية تسربها إلى عناصر المقاومة.

ولأجل تلافي ما قد يحدث من ثغرات أمنية مع الحليف الأفغاني، فقد عهد فريق التخطيط إلى إبلاغ القيادة الأفغانية من أن خطة الخداع هي الخطة الحقيقية، وبذلك أرادوا خداع حليفهم الأساسي المشارك في العمليات[1].

في الفترة المحددة من الخامس إلى العاشر من شهر مايس 1982، كان الواجب الأساسي لقادة الفرق والألوية المستقلة والأفواج الملحقة هو إدارة عمليات الاستطلاع لمنطقة القتال، والحاجة إلى إجراء مزيد من التنسيق لمعرفة حدود مسؤولية كل فرقة لضمان عدم تداخلها مع عمل الوحدات الأخرى المشتركة بالعملية[2].

خلال عملية التنسيق التي استمرت بينهم قبل وبعد العمليات، فقد عرف كل قائد فرقة محاور التقدم، مناطق الإنزال المحتملة لوحدات الصولة الجوية، تحديد الموانع المطلوب تدميرها أو التي يتطلب إنشاؤها، الأوامر والإشارات المطلوب استخدامها خلال احتلال الأهداف المهمة. كما عمل القادة أثناء عملية الاستحضارات إلى التركيز على مسائل مهمة، مثل تنسيق تقدم القطعات وتأمين نار الإسناد لكل من المدفعية والطائرات السمتية، توزيع الأهداف المطلوب مشاغلتها من قبل المدفعية والطائرات لتفادي الازدواجية بالعمل، مع ملاحظة وقت فتح نار المدفعية ووقت تحليق الطائرات في الجو لاحتمال إصابتها بطريق الخطأ، ولذلك فقد أعطوا آمراً بتوقيت الضربات، خطوط الطيران، زوايا رمي المدافع، وأسلوب معالجة أسلحة الدفاع الجوي

---

(1) جيمس كرن، فيليب كارير، المصدر السابق، ص 33.

(2) Theodore C. Mataxis, op.cit, p.76.

للمقاومة والتي من المحتمل أن تظهر على طول خطوط طيران قنابل المدفعية ومنطقة استخدام السمتيات[1].

كانت القوات المعدة للإنزال الجوي واحدة من المسائل ذات الأهمية، وأخذت وقتاً طويلاً من تفكير هيئة ركن جيش الأربعين، حيث أن منطقة العمليات تقع في منطقة جبلية عالية وحادة، أي أن ارتفاع بقعة إنزال تصل ما بين (1800) إلى (2000) متر عن مستوى سطح البحر، وقد لا تتمكن الطائرة في هذه الحالة من حمل أكثر من أربعة إلى خمسة جنود، في حين تزداد قدرة السمتية على نقل ثمانية جنود عندما تكون منطقة الإنزال أقل من (1500) متر عن مستوى سطح البحر. إن هذا التباين قد حدد من عدد الرفعات الجوية لنقل كامل القوة، والعبأ الإضافي المطلوب من الطيارين تحمله[2].

بدأت عمليات وادي بانجشير في الخامس عشر من مايس 1982، وتضمنت أربع صفحات، الأولى، استمرت من الخامس عشر إلى السادس عشر من مايس وفيها جرى تحويل الهجوم إلى محافظة كَوربند لغرض خداع المقاومة عن مكان الهجوم الرئيسي وكانت نتائج خطة المخادعة مثمرة، حيث سرعان ما تصرف قادة المجاهدين أثر تلقيهم المعلومات الأولى عن المعركة، فقاموا بنقل مجموعات مسلحة من قواطع أخرى ومن وادي بانجشير إلى منطقة وادي نهر كَوربند قبل وضوح تفاصيل خطة المعركة[3].

بعد مرور يومين من بدء أعمال الصفحة الأولى جرى تحشيد وحدات سوفييتية وأفغانية شمال قاعدة باكَرام الجوية، أي مدخل وادي بانجشير، حيث تمكنت إحدى عشر سرية استطلاع من السيطرة على المرتفعات المؤدية إلى مدخل الوادي بدون

---

(1)Theodore C. Mataxis, op.cit, p. 77.

(2) I bid, p.78.

(3) I bid, p.79.

قتال مما أتاح لوحدات المدفعية من نقل مدافعهم للأمام وتقديم إسناد ناري كثيف لأحد أفواج المشاة الذي تقدم مسافة عشرة كيلو مترات[1].

الصفحة الثانية، بدأت من (السابع عشر إلى الثاني والعشرين)، فقد بدأت بالساعة الرابعة فجراً، عندما أكملت السمتيات (المروحيات) المسلحة من توجيه ضربة قوية في عمق الوادي، وتمكنت المدفعية من تدمير نقاط قوة المقاومة وإحباط الهجمات المقابلة، ومع عنف الهجوم المخطط له، فقد تمكن فوج سوفييتي وآخر أفغاني من إجراء عملية إنزال جوي قرب المدن (رخ، وبزرك) بغية إحكام السيطرة على مناطق الإنزال الجوي أولاً، ومنع رجال المقاومة من الانسحاب إلى العمق[2]. ومع ذلك فقد تكبد السوفييت طائرتان سمتية وإصابة أخريات خلال عملية الإنزال.

وخلال اليوم الأول لبدء الصفحة الثانية، قررت قيادة جيش الأربعين من القيام بعملية إنزال كبيرة، فأشركت ثلاث أفواج سوفييتية وثلاثة أفغانية أي ما مجموعه (1200) جندي في عمق يتراوح بين أربعين إلى خمسين كيلو متر، وبمسافة تبعد ثمانين كيلو متر من قاعدة باكرام الجوية، واستهدفت القيادة من هذه العملية، إحداث المباغتة وتدمير أماكن تواجد المقاومة، والسيطرة على مناطق حاكمة لضمان تأمين محور التقدم للقطعات الأرضية.

إن العمل المشترك بين القوات السوفييتية والأفغانية قد أتاح لها العمل عن قرب، مما أعطى قدرة أكبر على المناورة وقيام وحدات بتخطي مجموعات المقاومة وقيام وحدات أخرى بعمليات إحاطة أسفرت عن عزل منطقة المعركة ومنع وصول الاحتياط لتعزيز دفاعات مجموعات المقاومة ومنع انسحاب المتبقي[3].

---

(1) Theodore C. Mataxis, op.cit, P.79.
(2) I bid, p.79.
(3) Theodore C. Mataxis, op.cit, p.79

وفي صباح اليوم الثاني، أمرت قيادة جيش الأربعين من تعزيز القوات المتواجدة في محيط قرية (هتّة) بصولة جوية أخرى مكونة من فوج سوفييتي وآخر أفغاني فمنعت مجموعات المقاومة من الانسحاب نحو الشرق، ومنعت أيضاً وصول احتياط قدر له أن يصل من وادي نهر (اندرب)[1].

في التاسع عشر من مايس تمكنت قيادة جيش الأربعين من القيام بعملية إنزال فوجين أحدهما سوفييتي والآخر أفغاني في منطقة (استانة) وقوة أخرى في منطقة (متّة)، وفي اليوم التالي تم إنزال أربع أفواج في منطقة (أفيم) الكائنة في عمق وادي بانجشير بمسافة (100) كيلومتر، وبذلك وفي خلال أربعة أيام زجت القيادة ما مجموعه ست وخمسون فوجاً في مؤخرة مجموعات المقاومة[2].

وبالرغم من الكثافة العددية التي جرت في عمليات الإنزال الجوي والتنسيق الناجح لعمل المروحيات الناقلة والمسلحة إلا أن مجموعات المقاومة أبدت مقاومة عنيدة في الدفاع حيث اعتمدت على الأراضي الحاكمة، وعمق الدفاعات، والكهوف، ومسك جوانب الوديان المغلقة والموانع الاصطناعية مما أثر على تقدم القوات الأرضية وكبّدها خسائر بالأشخاص والمعدات، وتمكن أعداد كبيرة من مجموعات المقاومة للانسحاب من خلال خنادق القتال المهيأة سلفاً[3].

في الحادي والعشرين من مايس تمكنت قوات سوفييتية وأفغانية برية من دخول مدن متّة و"باصي شيوان مردان" وتأمين الاتصال مع قوات الصولة الجوية.

---

(1) I.bid, P. 80.

(2)Theodore c. Mataxis, op. cit, p. 81.; جيمس كرت وفيليب كارير، المصدر السابق، ص34

(3) I.bid., p. 81.

إن ما يميز عمليات الصفحة الثانية هو أن السوفييت والأفغان قد استخدموا الصولات الجوية على نطاق واسع وقاتلوا بكفاءة أثناء الليل ونجحوا في مباغتة مجموعات المجاهدين وإحداث خسائر بين صفوفهم[1].

في الصفحة الثالثة التي امتدت من اليوم الثاني والعشرين وحتى الرابع والعشرين من مايس، كان الهدف هو السيطرة على تقاطعات الطرق بالقرب من (أفيم) بهدف منع وصول العتاد والسلاح عبر الحدود مع الباكستان[2]. ولغرض إنجاز واجب الصفحة الثالثة، فقد بادرت قيادة جيش الأربعين بإنزال جوي لفوجين أحدهما سوفييتي وآخر أفغاني قرب قرية (أفيم) التي تبعد بحدود (220) كيلومتراً عن قاعدة باكرام الجوية[3].

إن إدارة عمليات الإنزال الجوي على مسرح محدد بمنطقة معلومة وفق جدول زمني محدود تطلب نقل كميات مهمة من التجهيزات الموجودة في مخازن قاعدة باكرام. وخلال ثلاثة أيام من العمل المضني تطلب وجود ثلاثون طائرة مروحية لحمل تجهيزات (180) طن من العتاد وثلاثون طن من الطعام والتجهيزات الأخرى إلى قرية (أفيم) من أجل إدامة الوحدات وجعلها مستعدة دوماً للقتال.

إن متطلبات الموقف في تزايد مستمر، وهذا ما أثر على مقدرة الطيارين حيث تطلب منهم القيام بسبع طلعات قتالية في اليوم أي بمعدل تسع ساعات يومياً[4].

الصفحة الرابعة، وهي الأخيرة في سلسلة عمليات وادي بانجشير، استمرت ما بين الخامس والعشرين إلى الثامن والعشرين من شهر مايس، وتضمنت انسحاب

---

(1)Theodore C. Mataxis, op.cit, p.81.
(2) I.bid, p.82.
(3) I.bid.,p82
(4) I bid, p. 82.

الجزء الرئيسي من الوحدات السوفييتية من منطقة القتال وتسليم المسؤولية إلى وحدات الجيش الأفغاني[1].

بعد مرور أربعة عشر يوماً من العمليات، تمكنت القوات المشتركة في العملية من إنجاز ما يلي، تدمير عشرة مقرات للجان الإسلامية بضمنها اللجنة المسؤولة عن وادي بانجشير، مخازن الأسلحة والعتاد والطعام، مخازن التجهيز، الاستيلاء على وثائق في غاية السرية، منها ما يتعلق بتنظيم قيادة حرب العصابات، أسماء أعضاء الحزب الاجتماعي الإسلامي الأفغاني مع صورهم، قائمة بأسماء الأعضاء البارزين في الحزب بأسماءهم المستعارة في كابل العاصمة، خطة العمل لمقاتلة السوفييت والقوات الحكومية، أسماء المسؤولين الحكوميين المطلوب التخلص منهم[2].

في الرحلة الرابعة من عام 1983، تناقلت الأخبار عن هجمات كيماوية في أفغانستان، وهناك العديد من الأسئلة المتعلقة بسعة تلك الهجمات ومقدار ما سببته من هلاك، ولكن يبدو أن السوفييت كانوا يستخدمون عوامل كيماوية متعددة بما في ذلك الغاز المسيّل للدموع، وغازات شل بجرعات قاتلة وغاز أعصاب ثابت وغير ثابت فضلاً عن غاز (مايكوتوكسين) أو ما يسمى بـ (المطر الأصفر) وكان السوفييت بالدرجة الأساس يستخدمونها على مناطق التسلل للحد من تدفق رجال المقاومة ومواد التموين من مناطق الريف غير الخاضعة للسيطرة السوفييتية[3].

في المرحلة الخامسة من عام 1984، اجتمع الرئيس الباكستاني ضياء الحق مع قادة فصائل المقاومة، ليسمع منهم مباشرة مشاكلهم، وكان من بينها مسألة استلام السلاح والعتاد مباشرةً[4]، إلا أن المشكلة التي أثيرت هي بين مكتب C.I.A في بيشاور والاستخبارات الباكستانية، حيث كان الأمريكان يريدون

(1) I.bid., p. 83.
(2) Stephen tanner, op.cit, p. 254; احسان حقي، المصدر السابق، ص 189؛
(3)Theodore c. Mataxis, op. cit, p. 254
(4) I bid., p 254

وصول السلاح إلى يد رجال المقاومة مباشرة، في حين ترى الاستخبارات الباكستانية أن يتم استلام السلاح من قبلها وتحت إشرافها ثم يتم توزيعه إلى أحزاب المقاومة بوصولات نظامية[1].

في العاصمة كابل، كان الرئيس الأفغاني بابراك كارمل يعمل مع وزرائه لإقناع الشباب الأفغان للدفاع عن بلدهم، وتمكن من إيصال القوات الأفغانية إلى (40000) مقاتل في نهاية 1984، في حين تمكن مدير مخابراته محمد نجيب الله من تجنيد ما يقارب (18000) من الأفغان لتأمين الأمن في العاصمة والمقاطعات المهمة ومناطق الأرياف[2].

رجال المقاومة من جانبهم، جاهدوا في تهريب الأسلحة والذخيرة من خارج أفغانستان، إلا أن المشكلة أمامهم هو تأمين عامل الأمن وضرورة إخفاءه عن أعين رجال المخابرات الأفغانية (الخاد) وعناصر الـ KGB السوفييتية التي نشرت وكلائها حتى داخل قصر الرئاسة الأفغاني.

استخدمت الحيوانات والحاويات والجرارات الزراعية لتامين السلاح، فهناك أكثر من خمسين طريقاً لحركة الآليات. وفي عملية مسح لعدد الطرق، وجد أن هناك تسعة وتسعون طريق في أفغانستان، تسعة وستون منها للعجلات وثلاثون لتنقل الحيوانات[3].

المرحلة الخامسة، اقترب السوفييت في عام 1983 من التطور التعبوي الأمريكي حيث الاعتماد المتزايد على طائرات الهليوكبتر في دوريات القتال والإسناد والغارات لتمشيط المناطق التي تقوم بها وحدات محمولة جواً بهدف استدراج مجموعات المقاومة الأفغانية إلى أماكن منتخبة ثم غلق المنافذ، وفي هذه الحالة فإن مدير العمليات

---

(4) Stephen tanner, op. Cit, p. 254.
(1) Stephen tanner, op. Cit, p. 254.
(2) Theodrre c. Mataxis, op. cit, p. 275.

السوفييتي ما كان عليه إلا استدعاء القاصفات الإستراتيجية في ضربات مماثلة لضربات B- 52 الأمريكية في فيتنام[1].

في مجال الاستخدام الجوي السوفييتي في أفغانستان، كانت هناك عناصر رئيسية تتحكم فيها هي:

أ. إن القدرة الجوية السوفييتية ممثلة بطائرات قاصفة من نوع (توبوليف ـ 16) وسيخوي ـ 17) في تركمانستان، وقد استخدمت بتأثير واضح على رجال المقاومة في وادي بانجشير.

ب. استخدمت طائرات سيخوي ـ 17 وميغ ـ 21، وميغ 23، وميغ 27 من قواعد داخل أفغانستان لتقوم بأعمال تجريد ميدان المعركة أو تقديم الإسناد الجوي القريب للقوات السوفييتية والحكومية.

ج. استخدام سيخوي ـ25 لضرب أهداف نقطوية في أفغانستان، إلا أن السوفييت استخدموها لإبادة قوافل المقاومة الأفغانية[2].

د. ظهر من خلال الاستخدام الجوي، أن سميتات الهجوم (M-8) و(M-24) (هند)[3] هما الأكثر تأثيراً في دور الإسناد الجوي القريب. وقد جرى انفتاحهما خلف القوات السوفييتية كقوة إسناد ناري حين الطلب، كما تولت هذه السمتيات تنفيذ صولات جوية مستقلة ضد مجموعات المقاومة، وبحسابات الكلفة والتأثير والاستخدام الأمثل لخواص الأسلحة، تطورت أساليب العمل التعبوي السوفييتي، وأصبحت السمتيات أكثر تكاملاً في استخدامات الصولة الجوية العمودية حتى تمكنت في سنة 1984 من نقل عجلة قتال مدرعة

---

(3) جيمس كرن، المصدر السابق، ص37.

(2)Stephen, Tanner, op. cit, p. 252.

(3) أطلق عليها الأفغان الدبابات الطائرة، وذلك لما تتمتع بهما من تدريع وتسليح ثقيلين.

جواً من طراز (BMD) لتشترك في القتال مع قوات المشاة في أماكن وعرة يصعب وصولها إلى هناك[1].

هـ. في السنوات الثلاث الأخيرة زاد السوفييت من استخدامهم للمقاتلات والقاصفات والسمتيات في ظروف وأحوال متباينة، كان فيها الطرف السوفييتي يحتاجها بإلحاح للتخلص من موقف صعب في وادي (بانجشير)، وفي المقابل فإن قادة المقاومة الأفغانية ظلوا يترقبون حصولهم على صواريخ تحمل على الكتف لمقاومة ذلك الزخم من نيران الجو، وتمكنوا من ذلك في سنة 1985 من الحصول على صاروخ (سام ـ 7)[2] واستخدم بشكل كفوء ضد الطائرات السوفييتية، غير أن طياري المقاتلات تنبهوا إلى هذا التطور الجديد، وبدت التعبية الجوية السوفييتية أكثر حذراً مما كانت في السنوات الأولى للحرب، وبدت الهجمات الجوية تنفذ من ارتفاعات عالية وغالباً ما تصاحبها استخدام مكثف(لمشاعل الخداع الحرارية)لكي تجذب إليها صواريخ(سام).أما السلاح الآخر لمقاومة الطائرات السوفييتية فكان رشاشة 14.5 ملم سوفييتية الصنع تمكن المقاتلين الأفغان من الحصول عليها من الجنود السوفييت أو عن طريق الهاربين من الجيش الأفغاني.

ازداد عدد اللاجئين الأفغان إلى باكستان بمرور الوقت ووصل بحدود ثلاثة مليون وفي إيران مليون وأربعمائة وفي الداخل مليون ومائتان مما أثر على عملية إدامة قوات المقاومة الأفغانية، فأصبحت إمدادات الطعام أكثر ندرة كنتيجة مباشرة لتلك الحرب، وفي تقدير لأعداد المواشي والدواب التي وصلت باكستان مع عوائل أفغانية، وجد أن لدى الأخيرة ما يربو على المليون بقرة[3].

---

(1)Stephen tanner, op. cit, p. 262.

(2) Stephen tanner, op. Cit, p. 265.

(3) جيمس كرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص40.

وفي تحليل إستراتيجي لمجمل الأوضاع العسكرية والسياسية وجد السوفييت أن الضرورة تستدعي تحاشي الاصطدام بباكستان مباشرة ومن خلفها الولايات المتحدة، فقد أسند للطيارين الأفغان قصف مخيمات اللاجئين وتفيد تقديرات وزارة الخارجية الأمريكية أن ما يزيد على خمسين غارة جوية وعشرون غارة أرضية قد وقعت داخل حدود باكستان في غضون الأشهر الأربعة الأخيرة من عام 1984[1]، وتكبدت معسكرات اللاجئين ما يزيد عن (1000) قتيل. وبغية الحد من تدفق مواد الإدامة من دولة باكستان جارتها الشرقية والجنوبية فقد عمد السوفييت إلى نشر وحدات أفغانية على امتداد تلك الحدود الطويلة والوعرة والتي تتجاوز (1400) كيلو متر. غير أن ذلك لم يساهم في تحقيق رغبة السوفييت بسبب قلة موجود هذه الوحدات أولاً وكونهم من أبناء جلدتهم ثانياً، وهم لا يرغبون في مقاتلتهم.

ويستفاد أن عدداً من المقاطعات الحدودية من ضمنها مقاطعتي (خوست وكارديز) قد عزلت، وثمة حاميات شدد عليها الحصار مما اقتضى تموينها بواسطة جسر جوي، وفي هذه المنطقة كانت واحدة من أكبر المعارك التي خاضتها المقاومة، حيث تمكنوا في كمين مدبر من القضاء على (800) مقاتل من لواء المغاوير الثامن والثلاثين الأفغاني، وما تبقى منهم على قيد الحياة بحدود (500) إما تركوا الخدمة أو أنظموا إلى المقاومة مع أبناء جلدتهم[2].

في عام 1984 كان السكرتير العام للحزب الشيوعي (شيريننكو) الذي خلف أندروبوف، وكان من أقرب أصدقاء بريجنيف، متحمساً لكسب الحرب في أفغانستان، معتمداً على بعض النجاحات العسكرية في وادي بانجشير، إلا أن الحاجة

---

(1) المصدر نفسه، ص42.

(2) ا جيمس كرن، وفيليب كارير، المصدر السابق ه، ص43.

للهدنة باتت مطلباً عسكرياً وقد أعلن عنها بين القائد أحمد شاه مسعود والقائد السوفييتي الجنرال ساردوف في وادي بانجشير[1].

ومهما يكن فإن عمليات وادي بانجشير السابقة قد بدأت بين الطرفين، وما أن انقضى أسبوع على القتال حتى أعلن راديو كابل عن أخبار مفرحة للشعب الأفغاني، وفيها شوهد الرئيس الأفغاني بابراك كارمل يزور وادي بانجشير وهناك مئات من أسرى المقاومة، وأن أحمد شاه مسعود لم يعد موجوداً[2].

في آذار عام 1985 حل ميخائيل غورباتشوف محل شيرينتكو المريض بعد وفاته، وهو الزعيم الرابع في أقل من أربع سنوات، ويعتبر غوربا تشوف شاباً بالمقارنة مع سلفه، ولديه أفكار لإجراء إصلاحات اجتماعية في بلده بعيداً عن الحرب ومآسيها، وقد شجعه في هذا المسعى نظيره الأمريكي رونالد ريغن الذي هو الآخر فاز في الانتخابات الأمريكية ليحل محل الرئيس جيمي كارتر[3].

خلال شتاء عام 1985 وصلت رجال المقاومة مجموعة من الأسلحة والتجهيزات، فقد حصلوا من الصين على صواريخ عيار 107ملم، 122ملم واستخدمت قسم منها على العاصمة كابل لمعرفة رد فعل المدنيين، وإن بالإمكان مشاغلة السوفييت وقوات الحكومة الأفغانية من مديات بعيدة عما كان معمول به سابقاً مع نيران الهاونات[4].

---

(1) Stephen tanner, op. cit, p. 259. استفاد الطرفين من الهدنة، لإعادة تنظيم قواتهم، فالمقاومة حشدت خمسة آلاف من رجالها، ومئات الرشاشات مقاومة الطائرات، ومدافع 122 ملم، وآلاف الألغام. أما القائد السوفييتي، فقد حرك هو الآخر وحدات من الفرقة السادسة والستون والفرقة (191) من جلال إياد وغزنه، ومعهم خمسة آلاف أفغاني حكومي.

(2) Stephen tanner, op.cit, p. 261.

(3)Stephen tanner, op.cit,, p. 263.

(4) I bid, p. 265.

كما كان هناك مزيداً من الطعام الجاهز، والأحذية التي تناسب التنقل على الصخور، بطانيات، نواظير، خرائط، أجهزة اتصال. ومع استمرار الوقت والدعاية التي أحدثتها إذاعات وتلفزيونات الدول العربية والإسلامية عن القتال في دولة أفغانستان المسلحة، كان رد الفعل أيضاً مزيد من المساعدات، ومزيد من التطوع بين الشباب المسلم، فقد حضر إلى أفغانستان جنسيات عربية وإسلامية امتدت من تونس إلى أندونيسيا[1].

في ربيع عام 1986، حدث ما لم يكن في حسبان رجال المقاومة، الذين غالباً ما يهملون عامل الأمن في تحركاتهم، وأن خلفهم عيون مخابرات دولة عظمى تراقب أي اجتماع يعقد حتى في أقصى نقطة من هذا العالم. فكانت قرية «زهوار» الأفغانية التي لا تبعد أكثر من ثلاثة كيلو مترات من الحدود الباكستانية، مكاناً لعقد لقاءات مع الصحفيين الأجانب، وزيارات بعض رجال الكونجرس الأمريكي مع قادة المقاومة أما في الطرف الآخر، فقد هيأت القيادة السوفييتية أربعة آلاف من القوات المحمولة جواً لتجد مكاناً لها في مقاطعة خوست، وثمانية آلاف من القوات الآلية باشرت هي الأخرى حركتها من مقاطعة كارديز، وفي هجوم مباغت ظهرت المقاتلات السوفييتية داخل الفضاء الجوي الباكستاني لتغير على تجمعات المقاومة مراراً، لتدمر أربع دبابات للمقاومة وتستولي القوات السوفييتية الزاحفة على (18000) لغم، وطن من الذخيرة وتقتل (1000) من رجال المقاومة[2].

ظل رجال المقاومة، وقادتهم في حيرة لما حصل لهم، وكان عليهم الانتظار فترة من الوقت قبل أن ينتقموا من السوفييت في عملية مدبرة. في صيف عام 1986، ظهر أحمد شاه مسعود إلى الشمال من وادي بانجشير، في منطقة جبلية، ولكن القوات المحمولة جواً السوفييتية كانت تراقب مقره حتى مقاطعة «بدخشان» وفي الوقت الذي

---

(1) I. bid, p. 265.

(2) Stephen, Tanner, op. cit, p. 265; جيمس كرن وفيليب كارير، المصدر السابق، ص 47

جري انفتاح قوة محمولة من طائرات M1-17 إلى الجنوب، باغتتها قوة من رجال المقاومة تمكنت من أسر أكثر من (300) جندي، إلا أن جرح (زهوار) لا زال قاسياً في واحدة من أكثر العمليات التي أرهقت المقاومة[1].

وعلى أثر تلك العملية، وجد السوفييت أن وجه بابراك كارمل الشيوعي لم يعد مقبولاً، وإن عليه مغادرة القصر الرئاسي، ليحل محله مدير المخابرات نجيب الله في شهر مايس من عام 1986[2].

في موسكو، كان غورباتشوف متشوقاً لإنهاء ما صمم عليه سلفه في أفغانستان، فقد أظهر السوفييت مرونة في محادثات جنيف للسلام بشأن أفغانستان، إلا أن غورباتشوف أعلن وبدون استشارة لأصدقاءه أنه سيسحب (6000) من جنوده البالغ عددهم (115.000) جندي. أما في الميدان فإن رجال المقاومة ظلوا يبحثون عن أسلحة متطورة لمعالجة التفوق الجوي السوفييتي، (طائرات الإسناد الجوي الأرضي) وطائرات M-8، M-24 (هند) التي أرهقت رجال المقاومة أثناء عملية الاشتباك بالأسلحة التقليدية.

اجتمع الأمريكان والباكستانيين مرات عديدة لتدارك الأمر إذا ما تم تجهيز رجال المقاومة بصواريخ (ستنكر الأمريكية) المضادة للطائرات، واحتمالات أن يقع هذا السلاح المعقد بيد رجال (الخاد) أو السوفييت في أي عملية مقبلة[3].

كان الباكستانيون ينظرون إلى مصلحة بلادهم بالدرجة الأساس، وهم يشاهدون ما يجري على حدودهم، والمخاطر التي تحملوها من جراء إيواء رجال المقاومة وتجهيزهم وإيواء ملايين اللاجئين الأفغان وما يسببه من ضغط اقتصادي إذا

---

(1) I. bid, p. 265.

(2) I. bid, p. 265.

(3) Stephen tanner, op. cit, p. 266; جيمس كرن وفيليب كارير، المصدر السابق، ص 48

ما استمر الحال إلى سنوات أطول، وفي المقابل، وفي مدينة بيشاور كان رجال المخابرات المركزية الأمريكية ينظرون إلى أن هزيمة الجيش الأحمر قد لاحت في الأفق بعد أن حل غورباتشوف محل القادة السوفييت المتطرفين(1). في الجانب الاستخباري الباكستاني، فقد أظهر الجنرال يوسف مقدرة ومرونة في إغراء الجانب الأمريكي بضرورة تدريب رجال المقاومة على استخدام صواريخ «ستنكر» الأمريكية، وأن يثبتوا قدرتهم على استخدامها بنجاح قبل التفكير بنشرها على نطاق واسع(2).

في عام 1986، ظهرت أعداد من هذا السلاح بيد رجال المقاومة، في الخامس والعشرين من أيلول، 1986 وفي واحدة من الحوادث التي أفزعت قيادة جيش الأربعين السوفييتي تمكنت مجموعة من المقاومة من إسقاط ثماني طائرات MI-24 كانت في واجب في منطقة جلال آباد، فتخلص رجال المقاومة من تأثيرها المباشر فيما بعد، وظل الطيارين على بعد كاف في واجباتهم المقبلة(3).

إيران المشتبكة في حرب مع العراق منذ ست سنوات، ظلت هي الأخرى بحاجة إلى هذا السلاح لتحجيم دور الطائرة M-24 المستخدمة من قبل الطيارين العراقيين، فقد تمكن رجال استخباراتهم من الحصول على إثنا عشر قاذف (ستنكر) من قبل مهربين على حدودها مع أفغانستان(4).

في لقاء جمع رونالد ريغن وغورباتشوف، بيّن الأخير أن له الرغبة الأكيدة في الخروج من هذه الحرب، فتحسنت العلاقات الأمريكية - السوفييتية ولكن ليس

---

(1) I. bid, p. 266.

(2) I. bid, p. 267.

(3) تم إسقاط 270 طائرة سوفييتية خلال الحرب Stephen tanner, op. cit, p. 267.

(4) Stephen tanner, op. cit, p. 267; جيمس كرن وفيليب كارير، المصدر السابق، ص 50

على حساب الحرب الدائرة في أفغانستان، وأن الأمريكان لا يقبلون بأقل من اندحار الجيش الأحمر في أفغانستان[1].

وفي سنة 1987، ظهر توجيه من قيادة جيش الأربعين إلى وحداته في أفغانستان بعدم البدء بمهاجمة مجاميع المقاومة قبل أن يقوموا بذلك، باستثناء الهجوم الواسع الذي استمر خلال شهري تشرين الثاني وكانون أول واشتركت فيه خمسة فرق سوفييتية وأفغانية لفتح الطريق إلى خوست قرب الحدود الباكستانية، وكان ذلك تمهيداً لسحب الوحدات السوفييتية قريباً[2].

وعند انتهاء عام 1987، جرى اتصال بين غورباتشوف ونجيب الله أبلغه بأن القوات السوفييتية ستنسحب من أفغانستان، وأن السوفييت سيجرون محادثات مع الجانب الباكستاني ولكن عبر الأمم المتحدة لوضع جدول زمني لسحب هذه القوات. وفي الرابع عشر من نيسان 1988 جرى التوقيع على وثيقة الانسحاب في جنيف، وأعلن غورباتشوف أن القوات ستنسحب بدءاً من 15 مايس وإن الانسحاب يحتاج إلى تسعة أشهر[3].

في آب عام 1988، كان حاكم باكستان الجنرال ضياء الحق، والجنرال أختر عبد الرحمن مدير الاستخبارات الباكستانية، والسفير الأمريكي في باكستان أرنولد ربيل، والملحق العسكري الأمريكي، وثمانية جنرالات من الجيش الباكستاني في طائرة هيركوليز C-130 عندما تحطمت قرب إسلام آباد، بدون معرفة الأسباب[4].

قبل أن ينتهي عام 1988، وبحلول شهر تشرين أول كان نصف القوات السوفييتية قد غادرت أفغانستان، وفي الخامس عشر من شباط 1989 أعلن القائد

---

(1) I.bid, p. 267.

(2) I.bid., p. 267

(3) I bid, p. 268

(4) Stephen tanner, op. cit, p. 268

العام للجيش الأربعين الجنرال «بوريس كراموف» أنه آخر من سينسحب من أفغانستان تاركاً كثير من المستشارين السوفييت مع وحدات نجيب الله الذي بقي يكافح معارضيه دون أمل[1].

وبموجب المعلومات الرسمية التي ظهرت أن قيادة جيش الأربعين قد خسرت أربعة عشر ألف وخمسمائة وثلاثة وثلاثون ضابطاً وجندياً سوفييتياً وأكثر منهم من الجنود الأفغان على مدى عشرة سنوات من القتال في جبال أفغانستان الوعرة[2].

أما البلد المحتل، فقد ترك ما يقارب سبعة ملايين مواطن أفغاني مساكنهم وتغيير نمط حياتهم ومهنهم، وأن هناك نصف مليون أرملة وآلاف الصبيان الذين فقدوا أهلهم.

وبحسب تقرير النمو السكاني الصادر من قبل الأمم المتحدة، فقد أظهر أن في عام 1987 هبطت نسبة الإنتاج الزراعي إلى 45٪، وتعمل وسائل الري بنسبة 36٪ من مستوى قدرتها، وتوليد الطاقة الكهربائية بنسبة 40٪ من مستواها قبل الحرب، وخرب 237 مركز للهاتف من أصل 245 مركز، وإن هناك 40٪ من سكان الريف لديهم ماء للشرب، وإن واحد من كل ستة أشخاص معاق، وإن معدل العمر أصبح اثنان وأربعين سنة، ومعدل وفيات الأطفال 296 في كل ألف، ووفيات الأمهات بمعدل 640 من كل مائة ألف، ومعدل الولادات ثمانية وأربعين في كل ألف، ومعدل الوفيات 28 في كل ألف وإن 25٪ من كل السكان يراجعون المراكز الصحية[3].

---

(1) I bid, p. 269.

(2) I. bid, p. 269.

(3) إحسان حقي، المصدر السابق، ص263.

المبحث الثالث

عواقب الغزو السوفييتي

في نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأ السوفييت يعلنون عن مطالب سياسية لا سيما المتعلق منها بتعديلات في الحدود مع تركيا وفتح المضايق أمام الملاحة البحرية، والمشاركة في الوصاية السياسية على كل من أرتيريا وليبيا. ولكن الهموم الداخلية في الاتحاد السوفييتي كانت كبيرة، منها قيادة الدولة نفسها، ومشاكل أوروبا الشرقية ومساعدة الصين على ربح معركتها الأهلية[1].

في الولايات المتحدة الأمريكية، لم يكن الأمر كذلك، فقد كان «روزفلت» في عام 1946 يبحث مع مستشاريه، كيفية الوصول إلى استراتيجية عسكرية وسياسية خاصة بها تمكنه من قيادة المعسكر الغربي كله، وكان لهذا أسبابه منها، أن الولايات المتحدة قوة اقتصادية بدون منافس، كما أن شعبها ظل في مأمن من دمار الحربين الأولى والثانية، وليس كما حدث لأوروبا والاتحاد السوفييتي والخسائر التي طالت المدنيين من جراء القصف اليومي بالطائرات[2].

بعد موت روزفلت، وتولي ترومان رئاسة الولايات المتحدة، كان الهدف أمامه وأمام جورج كيتان (من أكبر المنظرين الستراتيجيين) ووزير الخارجية جورج مارشال، الوصول إلى وضع الأسس الأولى لستراتيجية الولايات المتحدة وهي: حماية الولايات المتحدة ونظام حياتها وديمقراطيتها، والوقوف في وجه الاتحاد السوفييتي وحصره، وكذلك حماية الديمقراطيات في العالم[3].

---

(1) محمد عدنان مراد، مراجعة شهيرة مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، دمشق، 1984، ص498.

(2) المصدر نفسه، ص498.

(3) المصدر نفسه، ص499.

في الغرب عموماً والولايات المتحدة هناك كره شديد للشيوعية لأنها تنافي مبادئهم ونظام حياتهم الحرة غير المقيدة، والكراهية ليست نابعة فقط من كراهيتهم للمبدأ الشيوعي والشيوعية كنظرية، بل لاعتقادهم بعدم الفصل بين الشيوعية كمبدأ والاتحاد السوفييتي كدولة، والواحد منهما يكمل الآخر[1].

في الجانب الآخر وهو المهم، فقد رأى الأمريكان وحلفاءهم الغربيين أن السوفييت وعبر قراءة تاريخهم الطويل يريدون التوسع خارج حدودهم، ووجدوا أن هناك تنازلات قدمت لهم بعد الحرب عندما وضعوا دول البلطيق الشمالية وقسماً من بولونيا ورومانيا ضمن حدودهم، ولذلك ينبغي التصدي له ومنعه من الامتداد وحصره في حدوده[2].

استغلت الولايات المتحدة اقتصادها القوي على حساب الوضع الإقتصادي المنهار في العالم بعد الحرب، لتضع إمكانياتها في خدمة سياستها الخارجية، فوقف الرئيس الأمريكي ترومان في 16 آذار 1947 ليقول «نحن عمالقة العالم في الاقتصاد إن كان هذا يَسر أو يسيء لنا أو لأعدائنا وإلينا سيعود تنظيم العلاقات الاقتصادية في المستقبل، فالعالم ينتظر ويراقب ماذا علينا أن نعمل وعلينا نحن أن نقرر فيما إذا كنا نستطيع قيادة الأمم نحو السلام أو نوقعه في خضم حرب اقتصادية»[3].

---

(1) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص499.

(2) المصدر نفسه، ص502.

(3) المصدر نفسه ص506، يرى ترومان أن وجود إسرائيل في وسط دول عرب المشرق لكي تتصدى لتيار النعره الوطنية، فإن لم تستطع فعلى على الأقل أن تجذبه بعيداً عن مصالح البترول الأمريكي في الشرق، وهذا ما يحدث حالياً، حيث تقف إسرائيل بوجه كل جهد عربي يريد التفكير بالوحدة أو كان يريد تنمية اقتصادية؛ الكسييف، كرونسكينج - يفتلوف، الروح العسكرية الأمريكية، نقله إلى العربية محمود شفيق شعبان، دمشق، ط1 1988، ص28.

كانت منطقة الشرق الأوسط العصا السحرية للأمريكان نظراً لموقع هذه الدول بين قارات العالم الثلاث، وعقده للمواصلات البحرية والجوية والبرية، كما أنه أقرب طريق ما بين الغرب والشرق الأقصى. والأهم في ذلك هو ما تحويه هذه المنطقة من موارد نفطية هائلة وقربها من الاتحاد السوفييتي. فنشطت الشركات الأمريكية العملاقة مثل (أرامكو) للتنقيب وإنتاج النفط في السعودية وبسبب النفط اشتركت أمريكا وباركت إنشاء دولة إسرائيل في قلب العرب[1] ومن أجل النفط سقط مصدق وأعيد الشاه إلى إيران ومن أجل النفط اشترك البريطانيون بإخماد ثورة الإمامة ضد سعيد بن تيمور واحتلت بريطانيا البريمي وأبعد شيخ شخبوط[2] ومن أجل النفط كانت حرب عبد الناصر عام 1956بين مصر ودول العدوان الثلاثي (بريطانيا، فرنسا، إسرائيل).

ومن الجدير بالذكر أن القادة الألمان نصحوا القيادة الأمريكية بعد الحرب نتيجة لخبرتهم في قتال الاتحاد السوفييتي «أن يخططوا في حرب مقبلة للوصول إلى قلب الاتحاد السوفييتي ليس عن طريق أوروبا الطويل والمملوء بالعقبات بل عن طريق الشرق الأوسط وبالتحديد عن طريق إيران، تركيا، الباكستان لقصر المسافة التي تمكنهم من الوصول بسرعة إلى المراكز الستراتيجية والصناعية ما وراء الأورال وفصل القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي عن القسم الآسيوي ذو القوميات والجنسيات التي يمكنها الانضمام للحلفاء تخلصاً من نير الشيوعية، وإبعاد كل خطر سوفييتي عن الشرق الأوسط والخليج»[3] ونعتقد أن هذه الوصية بالغة الحكمة لعقل طالما تميز بالابتكار والمرونة أثناء الحرب العالمية، ولكن يعاب عليه أنه صنع الدمار للبشرية بدلاً من خدمتها على طريق الرفاه والحرية.

---

(1) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص507.

(2) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص509.

(3)المصدر نفسه، ص518.

واعتقد العقل الاستراتيجي الأمريكي بهذه التوصيات الغالية، فكان هناك سلسلة من الأحلاف والقواعد التي تحيط بالاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية يمكنها أن تضرب في قلب وجنوب الاتحاد السوفييتي وغربه، لتحمي المصالح النفطية من أي هجوم سوفييتي، وكذلك إفشال أي مسيرة نحو الوحدة الوطنية بين أقطار المنطقة والعرب على وجه الخصوص[1].

يقول الرئيس الأمريكي كارتر بعد الغزو السوفييتي لأفغانستان في كانون أول 1979، يجب علينا أن نأخذ بجدية إمكانية حدوث المزيد من التحركات السوفييتية، وقد عبّرت الشعوب في هذه المنطقة منذ وقت طويل من أن أهداف السوفييتية تكمن في الحصول على ممر إلى المياه الدافئة عبر بلوخستان أو التحرك إلى الخليج للسيطرة على موارد النفط[2].

إن التواجد العسكري السوفييتي في أفغانستان أدى إلى جعل العلاقات السوفييتية الباكستانية بحالة إرباك والخشية من أن تكون القفزة الأخرى باجتياح باكستان عسكرياً بغية وضع حد للعلاقات الإسلامية التي تجمع القبائل على الحدود المشتركة والمناهضة للوجود الشيوعي[3].

وفي حديث (لبريجنسكي) مستشار كارتر لشؤون الأمن القومي، إلى مجلة (لانوفيل أوبسر فاتور) الفرنسية، من أن أمريكا بدأت تساعد المجاهدين الأفغان بشكل مكثف قبل ستة شهور من دخول الجيش السوفييتي إلى ذلك البلد، فكان جوابه، نعم ولكن الولايات المتحدة لم تدخل بثقلها إلا سنة 1980، ثم يستطرد بقوله «إنني في يوم الثالث من تموز 1979 عملت على إصدار توجيه رئاسي من كارتر

---

(1) المصدر نفسه، ص518.

(2) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص518.

(3) اسماعيل صبري مقلد، العلاقات الأمريكية السوفييتية، مشكلات الأمن والتسلح في الثمانينات الكويت، 1987، ص226: إحسان حقي، المصدر السابق، ص163.

بتقديم كل المساعدات الممكنة إلى العناصر المعادية للسوفييت في كابل، وفي ذلك اليوم كتبت للرئيس مذكرة قلت فيها «إن موقف السوفييت يزداد صعوبة في أفغانستان مع كل يوم، وأعتقد أننا إذا رفعنا الضغط درجة فإن السوفييت سوف يرغمون على التدخل عسكرياً ومباشرة في أفغانستان»[1]. ويوم تدخل السوفييت بجيشهم كتبت إلى الرئيس كارتر مذكرة قلت فيها «أن أمامنا الفرصة الآن لكي نجعل الاتحاد السوفييتي يذوق مرارة الكأس التي شربناها في فيتنام، والحقيقة أننا ولمدة عشر سنوات جعلنا الروس ينزفون دماً ولا يستنزفون جهداً فقط، فهم حين دخلوا أضروا باقتصادهم وأرهقوا سلاحهم وأضعفوا معنويات جنودهم وأضروا هيبتهم، وقد أدى ذلك في النهاية إلى تمزيق الإمبراطورية السوفييتية»[2].

بعد مرور أربع ساعات ونصف من بدء الغزو السوفييتي، كان الرئيس الأمريكي كارتر ينتظر تحليلات لـ(لبريجنسكي)، وسأله الرئيس عن تقديره لنوايا السوفييت، وكان جوابه، سيادة الرئيس، نحن أمام جيش سوفييتي يزحف جنوباً في أفغانستان، وأفغانستان هي أقرب طريق للسوفييت إلى المحيط والخليج، ونحن لا نستطيع على الإطلاق وبضمير مستريح أن نقطع بأنهم لن يذهبوا إلى أبعد من أفغانستان، وحتى من أفغانستان فإنهم اقتربوا أكثر مما ينبغي من المياه الدافئة للمحيط الهندي ومن منابع النفط في الخليج، وذلك يدعونا إلى التصرف وتصرف يكون له هدفان، الأول: إيقاف السوفييت ومنعهم من التقدم لأبعد من أفغانستان، والثاني: هو إرغامهم على التراجع والخروج من أفغانستان. ويستطرد بريجنسكي، أن الروس وقعوا في الفخ وتلك فرصتنا لكي نرد لهم جميل فيتنام[3]. وفي ختام الاجتماع

---

(1) هدى الهاشمي، تدخل C.I.A في أفغانستان سبق الدخول السوفييتي، مجلة الحكمة العدد 28 آب، 2002، بغداد، ص24.

(2) محمد حسنين هيكل، كلام في السياسة، المصدر السابق، ص242.

(3) جيمس كيرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص235.

الذي حضره مدير وكالة المخابرات الأمريكية ستانسفيلد تيرنر، وسايروس فانس وزير الخارجية وجدوا أن اجتماع مجلس الأمن القومي قد استقر على الخطوط الآتية:

أ. أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تدخل الصراع القائم بصورة فعلية ضد السوفييت خشية أن يؤدي ذلك إلى صدام مباشر، كما لا يمكن التكهن بردود فعل السوفييت، مما يتطلب وجود قيادة بديلة لإدارة الصراع.

ب. إن المملكة العربية السعودية وثقلها الإسلامي والمادي يمكن أن تتكفل في مواجهة الإلحاد الشيوعي الذي يمثله السوفييت. ولأجل معاونة المملكة لكي تتخلص من الحرج أمام الآخرين، فقد رأت الولايات المتحدة من إشراك مصر السادات داعمةً لتجمع إسلامي يخوض الجهاد دفاعاً عن الدين. وكان السادات مستعداً لذلك اعتقاداً منه أن معظم أوراق حل مشكلة الشرق الأوسط هي بيد الولايات المتحدة[1].

ج. إن المخابرات الأمريكية متعاونة مع المخابرات الباكستانية في دور سابق على شكل إدارة عمليات حرب نفسية هدفها إثارة المشاعر المعادية للاتحاد السوفييتي داخل جمهورياته الجنوبية ذو الغالبية المسلمة التي تجد اختلافاً كبيراً بين تفكير القيادة السوفييتية وفلسفتها المادية وبين الإسلام الروحاني في مبادئه، فكان القرار هذه المرة أن تكون باكستان اللاعب الرئيسي على شكل قاعدة للعمليات في أفغانستان[2]. أما السلاح الذي يجب أن تزود بها مجموعات المقاومة الأفغانية، فكان رأي بريجنسكي أن يكون سوفييتي الصنع حتى يصعب اتهام الولايات المتحدة، ويجب أن يحصل عليه من أي مكان، نشتريه، نستأجره، نسرقه إذا لزم الأمر[3].

---

(1) محمد حسنين هيكل، المصدر السابق، ص248.

(2) المصدر نفسه، ص249.

(3) المصدر نفسه، ص237.

في اليوم الثالث من كانون الثاني 1980، قابل (بريجنسكي) الرئيس أنور السادات لمدة ثلاث ساعات ونصف، وفي اليوم التالي قابل الأمير فهد وليّ العهد السعودي والأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع، وفي اليوم الخامس من كانون الثاني وصل المستشار إلى إسلام آباد لمقابلة الرئيس الباكستاني ضياء الحق ليرتب القاعدة الإسلامية باسم الإسلام ضد الإلحاد[1].

باكستان، تختلف عن مصر أو المملكة العربية السعودية، فهي الآن أصبحت في مرمى المدفعية السوفييتية، وإمكانياتها الاقتصادية ضعيفة لا تجعلها مؤهلة لتحمل تبعات حركات المقاومة من أراضيها لفترة طويلة، جيشها المسلح بأسلحة قديمة أصبح في مواجهة عدوهم التقليدي الهند من الشرق وأفغانستان وجيش سوفييتي من الغرب، ولا وجود لحلف السنتو (الحلف المركزي) بعد أن نجحت ثورة إيران، ومع كل هذا فإن السوفييت أشاروا عليهم بالانتقام إذا ما حاولوا معاونة (المجاهدين الأفغان)، وعبّر عن ذلك الشيخ مفتي محمود رئيس التحالف الوطني وأمين عام جمعية علماء الإسلام بقوله «إن حكومة الاتحاد السوفييتي قد حذرتنا تحذيراً شديداً من مساعدة إخواننا المسلمين وهددتنا بحقها في غزو أراضينا بموجب معاهدة الدفاع المشترك مع الحكومة الأفغانية؛ كما لوحت الحكومة الأفغانية هي الأخرى بإثارة مشكلة بلوشستان المعلقة»[2].

عرضت الولايات المتحدة رفع حظر بيع السلاح إلى باكستان الذي بقي مفروضاً عليها بسبب البرنامج النووي الباكستاني، كما اقترح بريجنسكي تقديم

---

(1) المصدر نفسه، ص248؛ حسن الربيعي، مجموعات المقاومة المسلحة في أفغانستان والعراق، الأردن، 2009، ص72.

(2) محمود المرداوي، المرجع السابق، ص56.

مساعدات اقتصادية وعسكرية بشروط وجدت باكستان أنها لا تستطيع قبولها، ومنها إنشاء حلف إسلامي[1].

أغا شاهي مستشار ضياء الحق رفض هو الآخر مبلغ مائتي مليون دولار لأغراض عسكرية ومائتي مليون دولار للتنمية الاقتصادية، وقد أعلن الجنرال ضياء الحق أن المعونة التي تستطيع باكستان أن تحصل عليها من الدول الإسلامية تفوق المعونة الأمريكية، وإن السوفييت جاهزين للتفاوض وتقديم مساعدات اقتصادية[2]، وإن باكستان ستلتزم بسياسة عدم الانحياز، ولن تقبل بقرارات جاهزة تتخذ في واشنطن[3].

هكذا بدا الموقف الباكستاني متشدداً لتحقيق مكاسب مالية وصلت إلى بابها، وكذلك تذكير الإدارة الأمريكية، كيف أنها أوقفت مساعداتها وأسلحتها عن شعب وجيش هما أحوج ما يكونا إليه، وبعد عقد المؤتمر الإسلامي الذي اكتمل على أرض اسلام آباد بداية عام 1980، كانت قرارات المؤتمر شديدة، فقد أدانت الغزو السوفييتي بقوة، في حين كانت قرارات مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الهند الحليف الستراتيجي للسوفييت أقل قساوة، حيث طالب بسحب القوات السوفييتية واحترام استقلال أفغانستان[4].

وجدت الإدارة الأمريكية مخرجاً لإرضاء الحكومة الباكستانية، حيث تذرعت بالاتفاقية العسكرية المعقودة بين البلدين عام 1959، وبموجبها تلتزم أمريكا بالدفاع عن الباكستان في حالة تعرضها لهجوم شيوعي واسع، والآن فإن

---

(1) المصدر نفسه، ص72.

(2) المصدر نفسه، ص73.

(3) المصدر نفسه ص237، تقدم السوفييت إلى باكستان لبناء جسر ضخم في (إقليم السند) كما لوحوا بإيقاف مساعدتهم الفنية اللازمة لاستمرار تشغيل صناعة الصلب الباكستانية إذا استمرت في نهجها المعادي لهم.

(4) Martin Ewans, op. cit, p. 209.

التواجد السوفييتي على حدودها أصبح كافياً ليهدد كيانها فعقدت صفقة عسكرية بلغت قيمتها 3.2 مليار دولار وتضمنت تزويد باكستان بأربعين مقاتلة متطورة من طراز F-16، على أن يستغرق تجهيزها بضع سنوات. وفي المقابل لم تذعن الحكومة الباكستانية للوكالة الدولية للطاقة النووية بمراقبة منشآتها النووية، وإنها وبصبر وعزم رجالها وبمساعدة تقنية من الصين ودعم مالي سعودي وليبي تمكنت باكستان من إقامة مركزاً سرياً لتحضير اليورانيوم في (كوهوتا) وآخر في (سيهالا) وأنتجت كميات من البلوتونيوم كان كافياً لإنتاج الرادع النووي الإسلامي[1].

سياسة المحاور:

أدى التدخل السوفييتي وانتشاره في أفغانستان إلى بروز حقيقة هو أن أفغانستان تشغل موقعاً بالغ الأهمية بين محورين سياسيين متنافسين فيما بينهما هما:

أ. حلف هندي - سوفييتي.

ب. حلف باكستاني - صيني.

ويقدم هذا التقسيم نموذج تقليدي عن ميزان القوة الذي يقول (عدو عدوي صديقي) وأربع حالات من العداوات سوفييتي - باكستاني، صيني - سوفييتي، هندي - باكستاني، وأخيراً صيني - هندي ... ومن بين هؤلاء يوجد خصمين نوويين مرشحين ليكونا ضمن النادي النووي ومنهم دولة باكستان المسلمة التي أصبحت بين فكي كماشة (الاتحاد السوفييتي والهند)[2].

إن الميزان العسكري التقليدي الهندي - الباكستاني، وإن كان قد مال لصالح الهند، فإنه لم يصل بعد إلى نقطة الترجيح الكلي، وقد ولت الفترة الماضية

---

(1) إسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص232؛ Angelo Rasanayagam, op.cit, p.105

(2) جيمس كيرن وفيليب كارير، المصدر السابق، 1984، ص142.

التي كان بإمكان باكستان أن تحلم فيها بدفاع تعرضي (إجهاضي) تتمكن فيه وحدات تعبوية مدرية تدريباً (راقياً) أن تقوم بمباغتة عملياتية لتعوض عن نقصها العددي والإمساك بالمبادأة الاستراتيجية. وهنا عندما نبسط خريطة مسرح العمليات بين الطرفين، فنجد على طول (1600) كم، من الحدود المشتركة، أن هنا ثمة أرض وعرة في منطقة عمليات كشمير في قسمها الشمالي، في حين يتوفر عمق شاسع للمناورة على جناح صحراء السند الجنوبي. وبالنسبة لباكستان فإن القاطع الأكثر وهناً في تخطيطها هو القسم الأوسط من جبهة البنجاب، وعلى هذا الأساس فإن قادة الجيش الباكستاني يبحثون دوماً عن أفضل السبل لتنفيذ دفاع متقدم بقطعات مدربة وهو إجراء ضروري لحماية عنق البلد الضيق، الذي يحتوي على خطوط المواصلات الشمالية فضلاً عن كثافته السكانية العالية[1]، وفي هذا الإطار بالذات شكّل المحور السياسي الهندي السوفييتي تهديداً خطيراً على أمن باكستان، مما جعلها تضاعف متطلبات الدفاع، ويقول قائد الجيش الباكستاني الجنرال (إسلام بيك) في هذا التطور غير المعلوم "أن انفتاح أربعة فرق سوفييتية قريبة من حدود الباكستان مع إسناد جوي ستراتيجي وتعبوي ينطلق من قواعد جوية في أفغانستان يمكنه أن يقلب الميزان العسكري على نحو حاسم[2]" وفي هذا الصدد فإن السوفييت وإدراكاً منهم لضرورات الأمن الحاسمة، فقد كان قادراً على توجيه ضربة مميتة إلى ظهر الجيش الباكستاني الذي يشخص ببصره نحو الجهة المقابلة (الهند) ويقيناً أن المساهمة السوفييتية في كل نوع من أنواع التسليح التقليدي للقوة البرية تقلق ميزان الوضع

---

(1) المصدر نفسه، ص143.

(2) جيمس كرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص143؛ بلانس، تعبية السوفييت في أفغانستان، المجلة العسكرية، بغداد، 1980، ص23.

في مقابلة للرئيس الباكستاني ضياء الحق مع صحفي هندي، سأله عن رأيه بما قالت أنديرا غاندي، من أن تسليح الباكستان يهدد الهند، فأجاب الرئيس، إن نسبة قوتنا إلى قوة الهند نسبة واحد إلى سبعة من حيث عدد النفوس، فنحن مائة مليون والهند سبعمائة مليون، ونسبة قواتنا الجوية نسبة واحد إلى عشرة، وقواتنا البحرية بنسبة واحد إلى عشرين، ثم إن نصف الجيوش الهندية موجودة على حدود الباكستان، أي بحدود ثلاثة آلاف وخمسمائة دبابة، ومن غير المحتمل أن تستخدم هذه الأسلحة ضد بنغلادش أو النيبال.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص224.

التنافسي الهندي الباكستاني، وقد ظهرت مقولات وأحاديث مصدرها السوفييت وروجتها أجهزة الإعلام الهندية بضرورة تجزأة الباكستان ضمن تخطيط معد، وهي في هذا تتخذ ذريعة أن باكستان تغذي ثورة السيخ وهي اتهامات زالت بشكل ملحوظ بعد مقتل أنديرا غاندي رئيسه وزراء الهند آنذاك[1].

إن تسليح الطرفين عقب الأحداث بلغ أشده في كل الأسلحة ولكنه على حساب شعبيهما الذي يعيش تحت عتبة الفقر، فالقوات المسلحة الهندية، كانت تعيش في ذلك الوقت عملية تحديث سريعة من خلال تقديم أسلحة متقدمة لعجلات المشاة من طراز BMP-1 وكذلك عجلات BRDM/2 وصواريخ موجهة ضد الدبابات من نوع (ميلان) وطائرات (MG-27) وسمتيات (M-8) و(M-24) وطائرات نقل (ANT-32) (ULU-76)، هذا وإن صناعة الدفاع الهندية المبرمجة قد دخلت في اتفاقيات إنتاج مشترك يمكنها إنتاج دبابة (T-72) و(MIG-27) و(MIG-29) و(MIR-2000) وطائرات جاكوار وسمتيات اليوت الفرنسية[2].

في الطرف الآخر، وعلى النقيض من ذلك، فإن الباكستان افتقرت إلى صناعة دفاع مهمة في ذلك الوقت، ولغاية عام 1965 كانت الولايات المتحدة المجهز الرئيسي للأسلحة، ثم تحولت شطر السوفييت ثم غيّرت وجهها نحو الصين ... وبموجب اتفاقية المساعدة الأمريكية لعام 1981 والبالغة (3.2) مليار دولار تم الاتفاق على تسليم الباكستان مجموعة من منظومات الأسلحة للطائرات (F-16) بالإضافة إلى ناقلات الأشخاص المدرعة من طراز (M-113) ومدفعية حديثة وصواريخ مسيرة لمقاومة الدبابات، غير أن هذه التحسينات سوف لن ترقى إلى مستوى الزيادة الهندية المتوقعة في الإطار الزمني نفسه، وعليه فإن رجحان ميزان القوة سيبقى لصالح الهند[3]. ولهذا

---

(1) تعبيه السوفييت في افغانستان، المصدر السابق، ص24.

(2) ديفيد سي اسبي، الحرب مستمرة، مجلة الدفاع العالمية، عدد 2 أفغانستان، 1982، ص52.

(3) ديفيد سي اسبي، المصدر السابق، ص55.

نجد وبسبب افتقار باكستان إلى صناعة دفاعية مستقلة سيجبرها على ولاءات مع هذا الطرف الدولي أو ذاك.

إن الوجـود العسـكري السـوفييتي في أفغانسـتان واقترابـه مـن الحـدود الباكستانية كان مبعث قلق لدى الدول الإسلامية والغربية على حد سواء ومبعث القلق هو أن لمنطقة جنوب آسيا تاريخ حافل في تسوية خلافاتهما عن طريق العنف. فالمجابهة المتواصلة بين الهند والباكستان قد أسفرت عن ثلاث حروب ساخنة في أقل من (40) سنة[1].

إن ارتقـاء الهنـد إلى منزلـة قـوة إقليميـة كـبرى كانـت دومـاً علـى حسـاب الباكسـتان، فالمجابهـة الأولى بـين 1947 -1948 أبلـت باكسـتان بـلاء حسـناً باحتفاظها بالأراضي الحيوية والمهمة، لكن وادي كشمير أصبح مـن نصيب الهنـد. أما حرب 1965 فكانت باهظة الكلفـة للطـرفين، وبـرغم الأداء الضـعيف للجيش الهندي، فإن ما كسبه الجيش الباكستاني مـن شهره في تلك الحـرب خسـروه في الحرب المعادة بعد (6) سـنوات بسـبب تطـورات الحـرب في باكسـتان الشـرقية الـتي أسفرت عن خسارة كبيرة وأسرى يقـارب (90.000) الـف أسـير، وظهـور بنغلادش كدولة جديدة عام 1971[2].

---

(1) جيمس كيرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص144.
تشير التقارير المعتمدة أن عدد جنود الجيش الباكستاني يصل إلى 1.6 مليون جندي ويملك (4) آلاف دبابة و (12) ألف قطعة مدفعية و (8) آلاف صاروخ مداها يصل إلى (1200) كم وبضع قنابل نووية و (675) طائرة و (250) سفينة حربية و (6) غواصات. أما في الهند فيصل تعداد جيشها إلى (3) ملايين جندي و (6500 دبابة، (18) ألف قطعة مدفعية، (12) ألف صاروخ و (275) قنبلة نووية و (865) طائرة و (325) سفينة حربية، حاملتي طائرات وثماني غواصات. مصطفى الدباغ، الصراعات الدولية الراهنة، ط1، الأردن، 2000، ص 16.
(2) حسين عبد الجبار، الحرب الهندية الباكستانية 1971، ط1، مترجم بغداد 1972، ص107.

بالنسبة للسوفييت ونظراً للظروف القاسية التي كانت تمر بها قواتها على أراضي مقفرة خالية باردة، تزداد عليها نسبة الخسائر، فقد أجرت تنسيقاً عالياً مع حليفتها الهند تجاه خصمها التقليدي الباكستان، فالسوفييت الذين كانوا يلاقون صعوبة في العثور على شيء ذو قيمة بسبب تبعثر الأهداف في أفغانستان، غير أن ما يغريهم هو كثرة معسكرات المقاومة الأفغانية عبر الحدود المباشرة، وهو ما يجذب المقاتلات لقصفها من الجو، في الطرف الآخر من الحدود، فقد وصلت أخبار عن تدفق أعداد كبيرة من الأسلحة إلى المقاومة الأفغانية عن طريق الصين، مما اضطر السوفييت للقيام بغارات تجريد ضد طرق التموين الأكثر وضوحاً، ذلك هو طريق (كراكورام) للنقل السريع الذي يربط ما بين الصين وباكستان[1].

إن الهجوم من الجو ضروري لأي محاولة للتخلص من البرنامج النووي الباكستاني ... لكن معضلة الهند أو السوفييت في هذا الموضوع هو المقاومة الفعّالة لسلام الجو الباكستاني، ويبدو في حالة تعرض المفاعل الباكستاني لتعرض جوي منسق من السوفييت والهنود أي من (اتجاهين) فإنه سينهي فكرة انضباط طياري المقاتلات المعترضة الباكستانية[2]. حيث أن قيام المقاتلات بتحديد معدل طلعات الطرف المدافع، سيدفع الطيران الستراتيجي السوفييتي بتوجيه ضربات مؤثرة ضد

---

(1) جيمس كيرن وفيليب كارير، المصدر السابق، ص145.

قال خبراء وعسكريون من حلف شمال الأطلسي **North Atlantic Treaty Organization** إن الغزو السوفييتي لا يمكن أن يكون طارئاً، بل هو يتعدى ذلك الهدف بغزو بحري يبدأ من جوار أفغانستان. وهناك تقرير سري صادر عن منظمة الناتو، إن البحرية التجارية السوفييتية قادرة على حمل خمسة وسبعين ألف جندي، وإن هناك أربع سفن تستطيع كل واحدة منها أن تحمل مائتان وسبعون مصفحة في داخلها وثمانون مصفحة على سطحها، وفي ساعة واحدة تستطيع تفريغ حمولة ألفيّ طن من التجهيزات العسكرية، وتجد بلدان أوروبا الشرقية بأن الهدف بعد أفغانستان سيكون باكستان، إيران، يوغسلافيا، ولذلك بات العالم يدرك أن أمن مناطق مهمة في الشرق الأوسط مربوط بأفغانستان فتحرك المعسكر الغربي لضمان سلامة باكستان.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص218.

(2) جيمس كيرن، وفيليب كارير، المصدر السابق، ص146.

القواعد الجوية الباكستانية، وبالتالي تحقيق فائقية جوية ذات معنى، وبحملة كهذه تستطيع الهند والسوفييت عن طريق العمل المشترك من تحقيق ما لا يستطيع أي منهما تحقيقه على انفراد[1].

إن العمل المشترك يوفر حلاً أبعد طموحاً وأكثر ديمومة، وباكستان المجزأة عام 1971، لم تتعرض عاصمتها الجديدة إلى تهديد فعلي بالتجزئة إلى أن وقع الغزو السوفيتي لأفغانستان وليس واضحاً ما إذا كان الاتحاد السوفييتي أو الهند راغبين بزوال باكستان كدولة بيد أن تصرفهما السابق المتمثل بإسناد السوفييت لانتفاضة حركة البلوش في أوائل عام 1970[2]. والغزو الهندي لبنغلادش لا يلغي بالتأكيد إمكانية وقوع هذا الاحتمال. وإذا ما أقدم البلدان على شن صولة برية مشتركة ومتزامنة من اتجاهين متعاكسين، عقب تعرض جوي مدمر، فإن الهنود ما كان عندهم غير الضغط من البنجاب باتجاه إسلام آباد أي على (عنق باكستان) واندفاع سوفييتي من خارج ممر (خيبر) فإنهم سيتمكنون من مسك الأرض الحيوية مستفيدين من سمتيات الهجوم لإعاقة وتأخير التقويات والمناورة، فإن الباكستانيين سيضطرون بالنتيجة للقتال وظهورهم متقابلة وفي هذه الحالة ستكون الخيارات المتاحة للباكستانيين غير مقبولة لأنها ستكون إما أن يدافعوا في مكانهم مع توقع إحاطتهم بطوق يضيق عليهم باستمرار، أو أن ينسحبوا جنوباً ويتخلوا عن العاصمة وعن كشمير، وهنا يمكن القول أن هناك إمكانية لشن هجوم مدرع عبر صحراء السند كما حدث في عام 1971 ليلتقي عند نهر (الهندوس) شمال كراجي مع حركة

---

(1) المصدر نفسه، ص146.

(2) Seligs. Harrison, in Afghanistan's shadow: Baluch Nationalism and soviet temptation,2000, p. 70; Stephen tanner, op. cit, p. 250.

سوفييتية معاكسة خلال قاطع بلوشستان ذات الدفاعات الخفيفة، فإن ذلك سيقرر نهائياً مصير باكستان(1).

إن حصيلة العدوان على باكستان ستمنح الحليفين فائدة ستراتيجية، وباستخدام نهر (الهندوس) كحد فاصل أولي، في هذه الحالة ستتمكن حكومة الأفغان من إعادة تثبيت حق مطالبتها التاريخية بالحدود الشمالية الغربية من الأراضي الباكستانية، وسيتمكن السوفييت من النفوذ إلى جمهورية (بلوشستان) التي ستعطيهم حرية استخدام مرفأ مطل على المحيط الهندي. وتستطيع الهند إكمال مطلبها المنشود في كشمير وإدارة ما تبقى من باكستان كمنطقة حكم ذاتي(2).

وبالنسبة للصين، وحليفتها باكستان، فلا يمكن ترجمة قربها من منطقة المعركة المحتملة إلى قوة قابلة للانفتاح للوقوف مع شريكها، حيث يقع إقليم (سنكيانغ) قرب الحدود الباكستانية، ويفصلها سلسلة جبلية هائلة الارتفاع ولا توجد للصين في هذا الإقليم سوى عدد قليل من فرق المشاة وقوة جوية قديمة، وما لا تستطيع الصين توفيره قبل بدء الحرب لن يرتجى منها لاحقاً، علماً أن الطريق البري الوحيد المهم عسكرياً الذي يربط بين الصين وباكستان هو طريق (كاراكورام)(3).

---

(1) حسين عبد الجبار، المصدر السابق، ص81.

(2) seligs. Harrison, op. cit, p. 75.

(3) طريق كراكوم طوله (800) كم، استغرق إنشاؤه (20) سنة بجسور عددها (99) وقناطره التي تربو على (1708) قنطره، ويعد هذا الطريق من أكثر الأهداف في العالم جاذبية للتجريد الجوي. جيمس كيرن، فيليب كارير، المصدر السابق، ص150.

غير أن ذلك لا يعني تخلي الصين عن حليفتها باكستان في المحافل الدولية، فقد زار وزير الخارجية الصيني باكستان في اليوم الثالث والعشرين من كانون الثاني 1980، وقبل أن يعود إلى بلاده قال في مؤتمر صحفي في كراجي، إن الصين ستقف وراء باكستان للحفاظ على وحدتها

إن النقطة المهمة هي ليست ما إذا كان السوفييت والهنود يريدون شن حملة كهذه، ولكن كيف يمكن تنفيذها عملياً، وإن الحملة السوفييتية ضد أفغانستان واحتلاله قد جعل من هذا المشهد احتمالاً قابلاً للتأمل لم يكن له وجود قبل عام1979 [1].

الإقليمية، ووصف الوضع بعد الغزو، بأنه توتر دولي سببه السوفييت وإن الباكستان تواجه تهديداً لأمنها. إحسان حقي، المصدر السابق، ص220.

(1) المصدر نفسه، ص153.

الفصل الثالث

الغزو الأمريكي لأفغانستان 2001

المبحث الأول: تنظيم القاعدة وحركة طالبان.

المبحث الثاني: الحرب الأهلية 1994-2000.

المبحث الثالث: فن الحرب الأمريكي على الأرض الأفغانية.

المبحث الأول
تنظيم القاعدة وحركة طالبان

ولد أسامة بن لادن في الرياض سنة 1377 هجرية، 1957 ميلادية من أب يمني وأم سعودية. والده محمد بن لادن، هاجر من موطنه حضرموت في اليمن إلى جدة في السعودية في بداية عام 1930. اشتغل والده في المقاولات ونجح في الحصول على عدد من عقود الإنشاءات في المملكة السعودية، مما وفر أموالاً طائلة لعائلته الكبيرة المكونة من سبعة وخمسون فرداً[1].

توفي محمد بن لادن في عام 1970، وكان ترتيب أسامة بين الأطفال هو السابع عشر، الذي تمكن من الدراسة في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، ليحصل على شهادة في إدارة الأعمال[2].، و كان الغزو السوفييتي لأفغانستان عام 1979، واحدة من الأحداث التي أثرّت على نفسية أسامة بن لادن؛ حيث دولة كافرة ملحدة تغزو بلد مسلم وتقتل أبناءه بدون وجه حق.

في عام 1980 زار أسامة بن لادن، باكستان، وبقي في مدينة بيشاور الباكستانية شهراً، التقى هناك قادة المقاومة الأفغانية، أمثال برهان الدين رباني، عبد رب الرسول سياف، وآخرين ممن كانوا يترددون على والده خلال فترة الحج.

ظلت صورة العوائل الأفغانية والأطفال المشردين من جراء الغزو ماثلة في ذهنه ويتألم لأحوالهم المعاشية في ظروف بالغة الصعوبة، فقرر العودة إلى السعودية، حيث شرح لإخوانه وأقاربه وزملاءه في الدراسة ما شاهده على الحدود الأفغانية

---

(1) Ahmed Rashid, Taliban, the Story of the Afghan warlords, G.B, 2001, p. 131; يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص65

(2) I. bid, p. 132; Martin Ewans, op. cit, p. 281.

الباكستانية، والأكثر من هذا أنه أطلع العائلة المالكة السعودية على مجريات الأحداث بحكم علاقة والده برجالاتها ومنهم مدير الاستخبارات السعودية الأمير تركي بن الفيصل[1].

عاد أسامة بن لادن مرة أخرى إلى الباكستان مصطحباً معهُ عدد من الباكستانيين والأفغان ومعه كمية كبيرة من التبرعات المالية والعينية واستقر هناك لمدة شهر. وفي عام 1982 سافر مرة أخرى ولكن هذه المرة معهُ عدد كبير من المهندسين والتجهيزات الثقيلة لتعبيد الطرق وبناء المخازن لمجموعات المقاومة في مدينة بيشاور[2].

كان مدراء الاستخبارات في السعودية، والباكستان، والولايات المتحدة وبريطانيا على اتصالات مستمرة لمواجهة السوفييت على الأرض الأفغانية، ومنع أي امتداد أو توسع على الأرض الباكستانية، وفي أثناء المؤتمر الصحفي الذي عقدته بنازير بوتو لمجموعة من الصحفيين، كان من بين المدعوين، الجنرال حميد جل مدير الاستخبارات الباكستانية، وكان أحد الأسئلة التي وجهت لهُ من أحد الصحفيين الغربيين، هل أنتم مستعدين لدعوة مزيد من الشبان المسلمين المتشددين من الدول الإسلامية لمحاربة السوفييت، فكان جوابه نحن نقوم بواجب الجهاد، وهذا أول لواء إسلامي عالمي في التاريخ الحديث، مذكراً أن الغرب لديهم حلف الناتو (Nato) والسوفييت لهم حلف وارشو(Warsho)، فلماذا لا يستطيع المسلمين من تكوين جبهة مشتركة[3].

في عام 1982 حث مدير المخابرات الأمريكية وليم كيسي مدير الاستخبارات الباكستانية لجذب مقاتلين من دول العالم إلى الباكستان بغية زجهم

---

(1) Ahmad Rashid, Op.cit, p. 131

(2) I.bid, p. 130..

(3) I. bid, p. 129.

كمقاتلين ضد الجيش السوفييتي، ووجد الجنرال حميد جل في هذا الطلب ما يقنع الرئيس الباكستاني ضياء الحق، الذي كان يعد من أشد المتشددين ضد الشيوعية، ويريد في الوقت نفسه أن يضع باكستان في قيادة الدول الإسلامية[1].

وفي غمرة الحملة المعادية للسوفييت، طلبت الخارجية الباكستانية من كل سفاراتها في الخارج بتسهيل دخول الشباب العربي والمسلم من دخول باكستان "للجهاد" ضد الشيوعية الملحدة، من منطقة الشرق الأوسط، وخصوصاً من السعودية والمنظمات الفلسطينية المتطرفة. أعدت الاستخبارات الباكستانية بالتعاون مع قادة الأفغان المسلمين ترتيبات استقبالهم، من سكن وتدريب وإلقاء المحاضرات التي تثير فيهم الحماس لحماية الإسلام في بلاد الأفغان[2].

كانت الفترة ما بين 1982 -1992 مميزة في تاريخ تطوع الشباب، فقد وصل ما مجموعه خمسة وثلاثون ألف مسلم متشدد من ثلاثة وأربعون دولة مسلمة، منهم من الشرق الأوسط، ومن شمال وشرق إفريقيا، من وسط آسيا والشرق الأقصى، فيما ذهب عشرات الآلاف إلى مئات المدارس التي أنشأها ضياء الحق على طول الحدود مع أفغانستان، فكانت المحصلة أن مائة ألف مقاتل كانوا جاهزين للالتحاق مع قوات المقاومة الأفغانية، وكانت هذه أول مرة يلتقي فيها العربي مع المسلم من جنوب آسيا أو الفليبيني مع المسلم من وسط آسيا[3]، وكانت أفواج السعوديين من العوائل الفقيرة والطلاب، وأبناء القبائل «البدو»، وكان بينهم أسامة بن لادن ولكن ليس بصفة «مجاهد» وإنما لتنظيم المجموعات المجاهدة فكانت العلاقة وطيدة بين أسامة بن لادن، وتركي الفيصل، وحميد جل لإنجاز الهدف المشترك[4].

---

(1) Ahmed Rashid, Op.cit, p. 129

(2) I.bid, p. 130.

(3) I. bid, p. 131; Martin Ewans, op. cit, p. 280.

(4) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص74؛ Stephen Tanner, op.cit, p. 274

في عام 1984، أنشأ ما يسمى بين الأنصار في مدينة بيشاور لاستقبال المتطوعين للقتال وتنظيمهم وتدريبهم، ولم يكن أسامة بن لادن يملك تنظيماً خاص به، وإنما كان يوجههم إلى الالتحاق بالحزب الإسلامي وزعيمه (قلب الدين حكمت يار) والجمعية الإسلامية تحت زعامة برهان الدين رباني[1]. في حين كان هناك مكتب آخر في بيشاور أسسهُ عبدالله بن عزام (الفلسطيني) الأصل سمي بمكتب الخدمات، وكان واجبه إعلامي لحث العرب على الجهاد بالنفس والمال، وجمع التبرعات من الجمعيات الخيرية لواجب مقدس، فتوثقت العلاقات بين عبد الله بن عزام وأسامة بن لادن لتمهيد الطريق أمام المقاتلين[2].

في عام 1986، بادر أسامة بن لادن إلى إنشاء ست معسكرات تدريب للأفغان العرب خاصة بهم، كان من بينها معسكر خوست، وقال في حديث يظهر أنه موجه للسوفييت، "إن السعودية اختارتني كممثل لهم في أفغانستان، وأنا مستقر في منطقة الحدود الأفغانية الباكستانية. وقد استقبلت عدداً من متطوعي المملكة العربية السعودية، ومن أقطار عربية وإسلامية". واستمرت جموع المتطوعين العرب تصل باكستان ومعهم من يرشدهم إلى مكتب عبد الله عزام[3]، الذي استقر في بيشاور لفترة ثلاث سنوات.

وفي الفترة ما بين 1986 -1989 جهز رجال المقاومة الأفغانية، وبجهد باكستاني مميز بصواريخ (ستنكر) الأمريكية ضد الطائرات، وتذكر التقارير أن (300 -500) صاروخ قد وضعت في أيدي مدربين لتحجم حرية الطائرات السوفييتية في أجواء أفغانستان، ومنع الطيارين من تقديم إسناد قريب للوحدات السوفييتية

---

(1) Martin Ewans, Op.cit, p. 280

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص74.

(3) Ahmed Rashid, Op.cit, p. 132; Angelo Rasanayagam, op.cit, p. 219. ذكر أن عبد الله عزام، فلسطيني ولد في مخيم جنين، درس النظرية الإسلامية في دمشق والقاهرة وفي عام 1980 غادر إلى الباكستان، قتل في بيشاور عام 1989.

والأفغانية في المعارك اللاحقة، فكانت بداية للحديث عن انسحاب سوفييتي من أفغانستان[1].

وفي حراجة الموقف السوفييتي في جبهات القتال، ورغبة الرئيس السوفييتي غورباتشوف على مغادرة أفغانستان عام 1989، قتل عبد الله عزام في حادث تفجير سيارة بطريقة مدبرة في مدينة بيشاور، فقرر أسامة بن لادن من جمع مجموعات المتطوعين تحت تنظيم عسكري اسمهُ القاعدة[2]، كما أرسل عدة آلاف من الأفغان العرب إلى قواعد أفغانية جديدة في مقاطعات كونار، نورستان وبدخشان[3].

لم يكن أسامة بن لادن فيلسوفاً ولا منظراً لتنظيمه، بل ما كان في ذهنه هو أن يجاهد لطرد المحتل من أفغانستان، وحماية أرض الإسلام وشعوبها من غدر القوى الكبرى، فقرر عام 1990 الذهاب إلى المملكة العربية السعودية لتفقد عائلته وتجارته، وسنحت الفرصة له أن يلتقي بعوائل المحاربين من الأفغان العرب الذين استقروا في مكة والمدينة المنورة ليساهم في توزيع الهدايا على العوائل التي فقدت أبنائها في أفغانستان[4].

وفي غمرة انشغاله بتنظيمه الجديد غزا العراق الكويت في 2 آب 1990 فكانت صدمته وهو يرى دولة عربية تغزو أخرى، مما دعاه إلى نصح العائلة المالكة

---

(1) Ahmed p. 130:74، يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص.

(2) Ahmed Rashid, Op.cit, p.132; Angelo, Rasanayagam, op.cit, p. 234.

يذكر الكاتب الأمريكي (إنجيلو) أن هناك (260) من الأفغان العربموزعين في أربع قواعد حول ولاية قندهار، و (145) في ولاية أرزجان، و (1870) في كابل وحولها، (404) في قرار شيف (400) في قندز، (300) في لكمان، (1700) في تنكهار، (160) في كونار، (600) في خوست، (740) في بكتيا.

(3) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص 75.

(4) I. bid, p. 133.

السعودية إلى تنظيم الدفاع الشعبي عن المملكة، وأنه مستعد لجلب متطوعين من أفغانستان لقتال العراق بدلاً من دعوة الملك فهد للولايات المتحدة لإرسال قواتها الـ 540.000 ألف جندي إلى المملكة، فكانت بداية الخلاف بين أسامة بن لادن والأسرة الحاكمة السعودية، حتى وصلت إلى دعوة العلماء لإصدار فتوى ضد وجود قوات غير مسلحة على أرض المملكة[1]. واستمر بن لادن في تصعيد لهجته ضد المملكة عندما وافق الملك فهد على بقاء عشرون ألف أمريكي على أرض المملكة بعد عودة الكويت وحكومتها وانسحاب قوات الدول الأخرى، إلا أنه لازال محتفظاً بعلاقات مع مدير الاستخبارات السعودية الأمير تركي الفيصل[2]. انتقل أسامة بن لادن إلى السودان في عام 1992، وهناك استقبله حسن الترابي زعيم الجبهة القومية الإسلامية الذي اعتبره ضيفاً كريماً على الحكومة السودانية وعضو في هذه الجبهة، مما دعى أسامة إلى استثمار بعض من أمواله على مشاريع الطرق، الزراعة، والمصارف، وكذلك تقديم قرض ميسر بقيمة ثمانون مليون دولار لشراء قمح كانت السودان بأمس الحاجة إليه. إلا أن أسامة بن لادن ظل على انتقاداته للمملكة بسبب الوجود الأمريكي مما أغضب الملك، فقررت وزارة الداخلية السعودية تجريده من الجنسية عام 1994[3]. إلا أن وجوده في السودان قد أغاض الولايات المتحدة، ومصر بعد حادث محاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك في أثيوبيا مما ولد ضغطاً على حكومة الرئيس السوداني لإبعاده وإبعاد المجاهدين العرب المتواجدين على أراضيها، إلا أن الولايات المتحدة لم تخفف العقوبات الاقتصادية المفروضة على السودان، بل دمرت مصنع الشفاء بصواريخ (كروز) عام 1998 بحجة إنتاج أسلحة كيماوية، وعلاقتهم بابن لادن[4].

---

(1) I. bid, p. 133.

(2) Ahmed Rashid , op.cit, , p. 133.

(3) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص69، I bid, p. 133.

(4) المصدر نفسه، ص69، I.bid , p. 133.

عاد بن لادن مرة أخرى إلى أفغانستان، عام 1996، مصطحباً معهُ حمايته الشخصية، وعائلته، بضمنهم زوجاته الثلاث وثلاثة عشر طفلاً ليعيشوا تحت حماية مجلس شورى مقاطعة جلال آباد التي أصبحت تحت حكم حركة طالبان، فأصدر أول بيان له يدعو فيه الشباب المسلم للجهاد ضد الأمريكان الذين لا يزالون يحتلون المملكة السعودية، معلناً عن صداقته وقربه من الملا محمد عمر، الذي دعاه للسكن في قندهار عام 1997. إن هذه الفتوى من شخص ابن لادن قد وضعت خطاً أحمراً لعلاقاته وتحركاته واتصالاته اللاسلكية عبر القمر الصناعي مع أقاربه وأصدقاءه، مما دفع وكالة الاستخبارات المركزية إلى وضع اتصالاته تحت المراقبة السرية لتقول في تقرير أفصح عنه فيما بعد، أن أسامة بن لادن هو المموّل المالي لمعسكرات الإرهابيين في الصومال، مصر، السودان، اليمن، أفغانستان، فأعطى ذلك مبرراً للرئيس كلنتون لأن يصدر أمراً بتجميد أموال بن لادن في المصارف، المقدرة بـ 250 -300 مليون دولار، في حين أعلنت المخابرات المصرية، أن هناك ألف مُدرب من الأفغان العرب، من الجيل الثاني أعدوا لإحداث ثورات إسلامية في الأقطار العربية(1)، وأصبح ابن لادن طريداً من قبل عدة مخابرات دولية لقتله أو أسره منذ بداية عام 1997.

في الجانب الآخر، وبغية تأجيج النار وتجنيد أكبر ما يمكن من الشباب المسلم في العالم لضرب المصالح الأمريكية في كل مكان، فقد عقد بن لادن في الثالث والعشرين من شباط 1998 مؤتمراً في معسكر خوست، حضره كل قادة تنظيم القاعدة تحت شعار "الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين" منددين بالاحتلال الأمريكي لأرض المقدسات في السعودية منذ سبع سنوات، متخذين من أرض الإسلام قاعدة لإرهاب الدول الإسلامية المجاورة(2). كما أصدر العلماء الحاضرين في معسكر خوست (فتوى) تعطي كل فرد مسلم في العالم الحق في قتل

(1) Stephen tanner, op. cit, p. 286; Ahmed Rashid, op, cit, p. 134.

(2) Ahmed Rashid, op. cit, p. 134; Stephen tanner, op. cit, p. 286.

الأمريكان والبريطانيين، وحلفاءهم، مدنيين وعسكريين وتحرير كل بلدان منطقة الشرق الأوسط من نيّر الاحتلال الأمريكي مشدداً على استهداف المدنيين في العراق جراء القصف الوحشي الذي طالهم في عام 1998.

استمرت الاتهامات بين ابن لادن وتنظيم القاعدة من جهة والإدارة الأمريكية من جهة أخرى، مما شد الانتباه إلى أن أحداثاً أخرى قد تحدث لضرب المصالح الأمريكية، في حين ظلت السلطات الباكستانية في حيرة كيف تتصرف حيال صديقها أسامة بن لادن، والملا عمر وحركة طالبان التي أوجدتها بمعونة أمريكية.

وفي تصعيد واضح بين تنظيم القاعدة والولايات المتحدة الأمريكية، فقد استهدفت سفارتيّ الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في شهر آب 1998، بانفجار شديد هزّ المكانين، مسبباً بقتل مائتان وعشرون من المدنيين، معطياً الإعلام الأمريكي والأوروبي المبرر لوضع اسمهُ على أولوية لائحة المطلوبين حياً أو ميتاً، ولم يتأخر الرد الأمريكي على العملية أكثر من ثلاث عشر يوماً، عندما أطلقت القوات الأمريكية سبعين صاروخ "كروز" باتجاه معسكرات بن لادن في خوست وجلال آباد، ومعسكرات أخرى يتواجد فيها الأفغان العرب وجماعات باكستانية مثل معسكر (بدر)، (خالد بن الوليد)، (ميواي) التي تدار من قبل حركة الأنصار الباكستانية، فكانت الحصيلة، قتل سبعة من المدنيين الأفغان، ثلاثة من اليمن، اثنان من مصر، وسعودي تركي واحد، سبعة باكستانيين وعشرون أفغانياً[(1)].

تنظيم القاعدة وزعيمه بن لادن ذهب هو الآخر إلى دعوة المسلمين إلى امتلاك الأسلحة الكيماوية والنووية لاستخدامها ضد الولايات المتحدة، وإن الله سيجزي من يملكها، وهي بمثابة واجب ديني، في حين رصدت الولايات المتحدة مبلغ خمسة

---

(1) Ahmed Rashid, op. cit, p. 134; Stephen tanner, op. cit. p. 286.

أشار ستيفن إلى أن القتلى في السفارتين وصل إلى (212) من المدنيين في حين كان الجرحى أكثر من 200.

ملايين دولار كمكافأة لمن يلقي القبض على ابن لادن[1] وأجمل التقرير الأمريكي الذي صدر، من أن أي عمل موجه ضد الولايات المتحدة في البلاد الإسلامية سيكون تنظيم القاعدة وزعيمه مسؤولاً عنهُ في المستقبل، وأظهر التقرير أيضاً مجمل الاتهامات التي تناقلتها وكالات الأنباء، ومنها أن ثمانية عشر جندي أمريكي قتلوا في مقاديشو (الصومال) في عام 1993، خمسة جنود أمريكان في الهجوم الذي استهدف مدينة الرياض (السعودية) عام 1995، تسعة عشر جندي في مدينة الظهران السعودية عام 1996، كما إشارة أصابع الاتهام إلى تنظيم القاعدة في تفجير المدمرة كول "Cole" في ميناء عدن اليمني مسبباً في مقتل سبعة عشر وجرح تسعة وثلاثين آخرين في عام 1992، مركز التجارة العالمي عام 1993، محاولة اغتيال الرئيس كلنتون أثناء زيارته إلى الفلبين عام 1994، والخطة المعدة لتفجير إثنا عشر طائرة مدنية عام 1995[2].

يعتبر أيمن الظواهري، المصري الجنسية، المنظر الحقيقي لتنظيم القاعدة، ومجمل خطاباته التي نشرت تشير إلى عمق تفكيره وفلسفته في كيفية خوض الجهاد ضد اليهود والصليبيين، فهو زعيم تنظيم الجهاد المصري الذي شكّل على أساس تحالف أربع تنظيمات، تنظيميّن إسلاميين في الباكستان، تنظيم إسلامي بنغلاديشي، وتنظيم القاعدة، ودلت المصادر الأخرى إلى وجود علاقة مع رموز الجبهة الإسلامية في السودان، حزب الله في لبنان، وحركة حماس الفلسطينية في غزة والضفة الغربية[3]، أما داخل أفغانستان، فكانت العلاقة وثيقة مع الشيشانيين، البنغلاديشيين، الفلبيين، الجزائر، كينيا، باكستان، ومسلمي أمريكا الشمالية[4].

---

(1) I. bid, p. 135.

(2) Ahmed Rashid, op. cit, p. 135; Stephen tanner, op. cit. p. 286.

(3) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص76.

(4) Ahmed Rashid,op.cit., p. 136.

ظلت العلاقة وثيقة بين الولايات المتحدة وباكستان والسعودية بالرغم من تقاطع المصالح أحياناً، والعلاقة بين هذا الطرف أو ذاك، فالأمريكان يروّن أن بدون الباكستان لا يمكن التوصل إلى مخبأ بن لادن، كما أن السعودية هي الأخرى ظلت على علاقة وثيقة مع حركة طالبان.

ففي تموز 1998 وصل الأمير تركي الفيصل إلى قندهار للقاء الملا عمر ومعاونيه بغية تجاوز المصاعب المالية التي تواجهها، والحاجة إلى بذل جهد عملي بغية إخضاع بقية المحافظات الأفغانية من سيطرة أمراء الحرب، ولم يكد تمضي أسابيع، حتى استلمت حركة طالبان (400) عجلة بيكب لا تزال أرقام لوحاتها تشير إلى أنها استوردت من الإمارات العربية المتحدة، وشيك مسحوب على أحد المصارف لصرف مرتبات جنودها بالرغم من الضغط الأمريكي المتواصل إلى قطع المساعدات عنها، وحقيقة الموقف السعودي، أنهم كانوا يفضلون إلى ترك بن لادن لوحده في أفغانستان، حيث أن اعتقاله ومحاكمته من قبل الأمريكان سيولد شعور بالغضب لدى الأسرة الحاكمة السعودية، وعناصر استخباراتها، والأنفع هو إما أن يموت، أو يعتقل من قبل طالبان وليس من قبل الأمريكان، إلا أن الضغط الأمريكي تصاعد مرة أخرى مما أجبر مدير الاستخبارات السعودية تركي الفيصل من العودة إلى قندهار، لإقناع الملا عمر بتسليم أسامة بن لادن، إلا أن الملا عمر رفض الطلب واعتبره مخزياً بحق العائلة المالكة، ثم سأله الأمير مرة أخرى، بضرورة استسلامه أو طرده خارج أفغانستان، إلا أن الشرطين رفضا من قبل الملا عمر، مما جعل السعودية تجمد علاقاتها الدبلوماسية مع الحركة وكذلك تعليق المساعدات[1] في الباكستان. نواز شريف رئيس الوزراء هو الآخر واجه مشكلة مع الأمريكان خلال زيارته لواشنطن في كانون أول 1998، حيث طلبوا منه اعتقال بن لادن، في الوقت الذي لا زال يتمتع بعلاقات وثيقة مع رجال الاستخبارات العسكرية الباكستانية،

---

(1) Ahmed Rashid, op, cit, p. 139.

وإن آلاف الأفغان العرب الموجودين في معسكر خوست هم طوع الحكومة الباكستانية لمقاتلة القوات الهندية في كشمير[1].

كان نواز شريف محرجاً أمام رؤساء الأجهزة الأمنية، الباكستانية، فيما إذا أذعن للطلب الأمريكي، مذكراً نظيره الأمريكي بكمية المساعدات التي أرسلوها إلى ابن لادن عام **1980** وطالبان عام **1990**، أما بن لادن نفسه، فقد كانت تصله المعلومات السيئة من خلال علاقاته مع بعض العناصر الاستخباراتية عن ما يدور في كواليس السياسة في إسلام آباد والضغط الأمريكي لإقناع الاستخبارات الباكستانية بضرورة تسليم بن لادن، ولكن (المسؤول الباكستاني) في قرارة نفسه كان يقول أن ذلك مستحيلاً رغم المعاونة في اعتقال أعداد أخرى ممن يدعمون القاعدة[2].

في الولايات المتحدة، بقي رجال مخابراتها على مثابرتهم في جمع المعلومات عن رموز القاعدة بغية إقناع الرأي العام الأمريكي من أن حادث السفارتين في إفريقيا لن يمر دون عقاب، فعمدت إلى إجراء تنسيق مع مخابرات دول أخرى، وتمكنت من اعتقال ثمانون مسلماً، عبر تنزانيا، كينيا، السودان، اليمن، باكستان، بنغلادش، ماليزيا، الفليبين[3]. أما في الهند، فقد تمكنت السلطات الهندية من اعتقال مجموعة شبان بنغلاديشيين كانوا يخططون لتفجير القنصلية الأمريكية في كلكتا، في حين ألقي القبض على سبعة شبان أفغان يحملون جوازات سفر إيطالية مزورة في ماليزيا، كانوا ينوون تفجير مصالح أمريكية في كوالالامبور، وطبقاً لرواية مكتب التحقيقات الفيدرالي **FBI**، إن السياح الغربيين الستة عشر المختطفين في اليمن تلقوا دعماً مالياً من ابن لادن، كما تلقت حركة المجاهدين في

---

(1) I. bid, p. 138.

(2) I. bid., p. 138.

(3) Ahmad Rashid, p. 136; Angelo Rasanayagam, op.cit, p. 225; Stephen tanner, op.cit, p. 286.

بنغلاديش وقادتها الذين كانوا في أفغانستان مبلغ مليون دولار لجعل بنغلاديش دولة إسلامية على غرار نموذج طالبان[1].

في الباكستان، وأجهزتها الاستخباراتية الفعّالة لما يجري في أفغانستان، فقد ورد في أحد تقاريرها التي كانت تتابع عن قرب منذ خمسة سنوات، فقد قدرت عدد المتطوعين الذين التحقوا بالقاعدة مروراً بمركز الأفغان العرب في بيشاور بنحو ثلاثون ألف متطوع أو أكثر، وهذا ما جعل أسامة بن لادن يتحدث في واحد من أشرطة التسجيل مخاطباً أتباعه "إننا نعرف أن الكفرة سيصبون علينا نار قنابلهم التكنلوجية، لكن جيلنا الثاني والثالث سيكونان لهم بالمرصاد من بعدنا وسيثأرون لشهدائنا"[2]، وكان يقصد بالجيل الثاني شباب الجاليات العربية والإسلامية أو الشباب الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام، وتدربوا في أفغانستان لفترة بين خمسة وأربعون يوماً إلى ثلاثة أشهر وعادوا دون أن تشعر بهم أجهزة المخابرات الغربية، هؤلاء هم الخلايا النائمة، أو العملاء النائمون، وعددهم يقدر بـ ألفيّ متطوع. أما الجيل الثالث، فهي المجموعات التي رحلت إلى مناطق التوتر في كشمير، الشيشان، الشرق الأوسط لإيقاظ الخلايا النائمة وتحريكها في الوقت المناسب لتغذية الصراعات بما لا يخدم المصالح الأجنبية، وأعدادهم تتراوح ما بين خمسة عشر إلى عشرون ألف مقاتل[3].

إن قيادة القاعدة لهذين الجيلين قد أجبرتهم الظروف الأمنية إلى إخفاء أسماءهم والتنكر عبر ملابسهم وجوازات سفرهم في السفر عبر دول العالم المختلفة للالتقاء بمندوبي القاعدة. فهناك أبو زبيدة وسعد الشريف من الجيل الأول، والأول كما تقول عنه أجهزة المخابرات الغربية أنه المسؤول عن الشبكات الأوروبية لتنظيم القاعدة،

(1) I bid, p. 137.

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص76.

(3) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص77.

أما الثاني فإنه يقود شبكة واسعة ومعقدة من الحسابات والأرصدة البنكية السرية والمرقمة[1].

أما الحلقة الثانية من المعاونين الذين يعملون تحت إمرة قيادة الجيل الأول، فهناك مسؤول الدعاية، محمد المصري، ومحمد عاطف المسؤول العسكري، ومعاونه سيف العدل وهو ضابط مصري سابق، اسمهُ محمد إبراهيم مكاوي، أما المسؤول المالي الذي يلي سعد الشريف فهو الأفغاني السعودي نصر فهمي نصر الملقب أبو صلاح، ويعتقد أنه المسؤول عن تمويل الشبكات الخارجية للقاعدة، في حين يعمل تحت إدارة العمليات الخارجية أربع قادة إقليميين، يمكنهم تحريك الخلايا النائمة واستقطاب متطوعين جدد، هم اليمني توفيق عطاش خالد، والجزائري أبو جعفر واسمه عمر شعباني، الذي عمل من خلال بيت الجزائريين في بيشاور من استقطاب المتطوعين القادمين من أوروبا، وهناك الناشط الشيشاني طاهر يولداشيف، والأندنوسي أمين الحق الذين يعملان بنشاط في دول آسيا الوسطى الإسلامية[2].

وبالعودة إلى حركة طالبان وقائدها الملا عمر، فقد أظهرت الأحداث فيما بعد إلى تناغم أفكار الطرفين وكأن أحدهما يعرف الآخر منذ زمن طويل.

(1) المصدر نفسه، ص78.

(2)المصدر نفسه، ص79.

المبحث الثاني

الحرب الأهلية

بانتهاء الدور السوفييتي في المنطقة وتقلص نفوذه في الشرق الأوسط، وتخلي السوفييت عن حلفاءه العرب، سادت العالم فوضى النظام العالمي الجديد وفي محصلته قيادة أمريكا للعالم وأن يكون القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً دون منازع. وفي هذا السياق يرى د. لاري جودسون أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية بواشنطن، أن الولايات المتحدة تنظر إلى الهند على أنها حجر الزاوية للستراتيجية الأمريكية في جنوب آسيا لما تمثله من ثقل في مواجهة الصين، في حين يقول "أشوك أجاروك" وهو خبير في السياسة الأمريكية في جامعة (جواهر لال نهرو) في نيودلهي أن الخوف من خطر إسلامي هو الذي يتحكم أساساً بالسياسات الدولية للولايات المتحدة[1].

في الجانب الآخر، سبب التدخل السوفييتي في أفغانستان، ونتيجة للمعارك وأعمال القصف الجوي التي طالت معظم المدن من هجرة قرابة خمسة ملايين أفغاني إلى مناطق أكثر أمناً، وبخاصة في مناطق باكستانية مثل بيشاور وكويتا (عاصمة إقليم بلوجستان)[2]، حيث لم تتمكن معظم العوائل الأفغانية من إرسال أبناءها إلى المدارس بسبب ضعف الحالة المادية، مما أجبرهم على الانخراط في مدارس دينية تدار من قبل جمعية علماء الإسلام الباكستانية.

إن ما تركز عليه هذه المدارس يعود بالدرجة الأساس إلى تنمية البناء الإيدلوجي واعتقاده الجازم أن هناك قوى شريرة في العالم تريد بالإسلام شراً، وإن هناك إهانات لكتاب الله (القرآن) وإن كثير من المسلمين مشردين يقتلون أحياناً

(1) ثامر كامل محمد، عاصفة الأبراج، بيت الحكمة، العدد 29، بغداد، 2002، ص14.

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص53.

بأيدي أجنبية وأحياناً بأيدي مسلمة ظالمة مما ولد لدى الدارسين سخطاً على كل محتل أو يمت للمحتل بصلة[1] في العام 1992، وبعد أن تخلى الرئيس الأفغاني نجيب الله عن الحكم، دخلت مجموعات المقاومة السبعة إلى العاصمة كابل، ولكن سرعان ما ظهرت الخلافات بينهم[2]، مما أدى إلى نشوب حرب أهلية بين هذه المجموعات أدت إلى تدمير ما تبقى من بنية تحتية يمكن أن تعيل المواطن الأفغاني في حياته البسيطة، وأجملت الخسائر البشرية بحدود أربعون ألفاً، الأمر الذي جعل أهالي أفغانستان وهم ينظرون إلى حالات الفساد الأخلاقي، وابتزاز أموال الناس، وغياب الأمن، والفوضى، أن يذكروا الله في كل صلاة ويدعون بالخير لما كان عليه حكم نجيب الله مقارنة بحكم برهان الدين رباني وأعوانه[3].

كان البلد مقسماً بين زعماء الحرب الذين عادوا من بيشاور، فكانت كابل تحت سيطرة الطاجيكي برهان الدين رباني، وثلاث محافظات بما فيها هيرات كانت تحت سيطرة اسماعيل خان، أما في الشرق، وعلى مقربة من الحدود الباكستانية، فأعلنت ثلاث محافظات بشتونية أنها مستقلة وتحت سيطرة مجلس شورى المجاهدين الذين يتخذون من جلال آباد مقراً لهم، وإلى الجنوب وشرق العاصمة كابل، فقد أعطيت إلى قلب الدين حكمت يار[4].

---

(1) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص53.

(2) المصدر نفسه، ص54، **Ahmed Rashid, op.cit, p. 21.**

(3) اعتبر البشتون، أنه ومنذ أكثر من 300 سنة، لم يفقدوا السيطرة على حكم كابل، وأن الحكم يجب أن يعود لهم لوحدهم.

في السابع من آذار 1993 دعى ملك السعودية الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود فصائل المقاومة للاجتماع في مكة وأقسم المشتركون أن يكون رباني رئيساً للدولة وحكمت يار رئيساً للحكومة ولم يطبق القرار واستمر القتال.

إحسان حقي، المصدر السابق، ص247.

(4) I bid, p. 21.

في شمال البلاد، كان الأوزبكي الجنرال عبد الرشيد دوستم هو الآخر يحكم ست محافظات، إلا أنه في كانون الثاني 1994 تحالف مع حكمت يار للاستيلاء على العاصمة كابل ناقضاً الاتفاق مع برهان الدين رياني. أما وسط البلاد مقاطعة باميان فكانت من حصة (الهزارة).

قندهار معقل البشتون وجنوبها، قسمت هي الأخرى بين اثنا عشر من زعماء مجموعات المقاومة السابقين، إن هذا الوضع قد عقد الموقف مع باكستان التي كافحت لفترة طويلة وأثناء الغزو السوفييتي لإيجاد حكومة صديقة على حدودها[1].

يذكر الملا محمد عمر، الذي قاتل السوفييت في السنتين الأخيرتين وأصيب في عينه اليمنى، أنه زار الطلاب في المدارس الدينية، وكان معهُ أربعة عشر طالباً، فخطب فيهم «إن دين الله يداس تحت الأقدام، والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها، يسلبون أموال الناس ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة، يقتلون الناس ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق، وتمر به السيارات، ويرى الناس الميت ملقى على قارعة الطريق ولا يجرؤ أحد أن يواريه التراب»[2].

كانت كلمات الملا عمر صاعقة في أذهان الشباب وطلبة المدارس المستعدين لإنقاذ بلدهم حتى وصل العدد ثلاثة وخمسين، وعقد اللقاء في قرية "كشدنخود" يوم

(1) Ahmed Rashid, op. cit, p. 21.

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص56.

الجمعة الموافق الرابع والعشرين من حزيران 1994، وكان يوم تأسيس حركة طالبان[1].

إن تأسيس الحركة لم يكن خارج السياق التي اعتادت الحركات الوطنية في أفغانستان أن تجنح إليه في طريق كفاحها ضد المحتل، وفي الجانب الآخر فإن الولايات المتحدة (الحليف القوي لباكستان) قد تشاورت معها لترتيب البيت الأفغاني بما يتناسب مع مصالح البلدين، فالباكستان تتطلع إلى وجود حكومة صديقة مستقرة توفر عمق لها أمام الهند عدوتها التقليدية، وتكون سوق لتصريف المنتج الباكستاني وكذلك في أسواق آسيا الوسطى[2]. أما أمريكا فما يهمها بعد خروج السوفييت من أفغانستان أن ينتهي الإسلام الأصولي المتمثل بالأحزاب الجهادية وتشويه صورة التجربة التي ظهرت في إيران تحت حكم (الخميني) ومنع انتشار ذلك لما فيه من تهديد لمصالح أمريكا، في الشرق الأوسط.

ظهرت حركة طالبان بدعم سياسي باكستاني ودعم أمريكي، وبيّن رئيس جهاز الاستخبارات الباكستاني السابق الجنرال "حميد جل" بقوله أن حركة طالبان نبتة مشتركة أمريكية/ باكستانية زرعت في أفغانستان، وهو بذلك يشير إلى الجولة التي قام بها وزير الداخلية الباكستانية نصر الله بابر في شهر تشرين أول 1994 والتقى فيها مع القادة الميدانيين في ولاية قندهار وصولاً إلى هيرات، وبعد عودته إلى إسلام آباد أرسل ثلاثون شاحنة محملة بالمساعدات ومواد الإغاثة لأفراد الحركة التي تعمل بتوجيه من حكومة إسلام آباد[3].

---

(1) تعني كلمة طالبان، في لغة الباشتون أو الباتان الطلاب الدارسين في المدارسين الدينية، وهي إحدى العلامات المميزة للتعليم الإسلامي في شبه القارة الهندية، وقد أسهمت عبر تاريخها في الحفاظ على الهوية الدينية لمسلمي المنطقة، يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص53.

(2) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص54.

(3) المصدر نفسه، ص55.

تم اختيار الملا محمد عمر[1] كزعيم لحركة طالبان، ليس لأنه خبير عسكري أو سياسي مفوه، بل لكونه يتمتع بخصائص منها تواضعه الجم، إسلامهُ، وإيمانه بالله، بايعه أتباعه، وبايع أتباعه في الحرية والسلطة لمعالجة مشاكل الناس.

لم يكن آباء الطلاب الذين يبعثون أبناءهم مع الملا محمد عمر يريدون مغامرات جديدة، ولكنهم كانوا يسمعون ويشاهدون ما يفعله لأجل الإسلام، وأفغانستان الذي تحول إلى ضحية بين ذئاب زعماء الحرب وأتباعهم. ففي ربيع 1994 جاء جيران الملا عمر في (سنغسار) يبلغونه أن أحد القادة المحليين خطف فتاتين مراهقتين وحلقا لهما شعرهما ونقلهما إلى معسكره واغتصبهما مراراً، فما كان من الملا إلا أن جمع حوله ثلاثون طالباً مسلحين بستة عشر بندقية فقط، هاجموا المعسكر وحرروا الفتاتين وأعدموا القائد على مدفع دبابة وعادوا بأسلحة وذخيرة[2].

في الثاني عشر من شهر تشرين أول 1994، تمكن مائتان عنصر من حركة طالبان من مهاجمة موقع للشاحنات في (سبن بولدك) (Spinboldak)على الحدود الأفغانية مع باكستان، كانت الشاحنات محملة بالبضائع، ولا يسمح لها بالمرور بسبب كون الطريق المار إلى أفغانستان تحت سيطرة قلب الدين حكمت يار. نظمت مجموعة طالبان نفسها إلى ثلاث مجموعات وهاجمت معسكر حكمت يار، وبعد فترة قصيرة من المناوشات تمكنت من قتل سبعة وجرحت أعداد أخرى، فيما خسرت

---

(1) عمره 39 سنة، لم يصور سابقاً، أو تقابل مع محطة تلفزيون غربية، كان أول لقاء مع الممثل الخاص للأمم المتحدة إلى أفغانستان الأخضر الإبراهيمي، بسبب مشاكل مع إيران، عاش في مقاطعة قندهار، وزار العاصمة كابل مرتين. ولد الملا محمد عمر عام 1959 في قرية نوده قرب قندهار من عائلة فقيرة، بشتوني. فقد إحدى عينيه خلال الفترة من 1989 -1992 مع قوات نجيب الله، وجرح ثلاث مرات. انتقل إلى قرية (سنغسار) في مقاطعة (مياوند) التابعة لمحافظة قندهار، وأصبح إمام جامع القرية، فتح مدرسة دينية صغيرة لتدريس أبناء القرية، كان عضو في الحزب الإسلامي انه مؤدب، وخجول في تعامله مع الناس. Ahmed Rashid, op. cit, p. 24.

(2) Ahmed Rashid, op. cit, p. 25.

الحركة عنصر وحد من رجالها وتمكنت قوة طالبان من الاستيلاء على ما مجموعةً ثمانية عشر ألف بندقية كلاشنكوف وإثنا عشر قطعة مدفعية وعدد كبير من الذخائر، وعدة عجلات[1].

وبمرور الوقت تمكنت حركة طالبان من السيطرة على المدن والمقاطعات، وازداد عدد مقاتليهم إلى خمسة آلاف، وعشرة آلاف، ثم عشرون ألف من أفغانستان ومدارس باكستان وبأعمار ما بين 14 -24 عاماً، وخلال ثلاث أشهر كانت حركة طالبان تسيطر على إثنا عشر مقاطعة من أصل إحدى وثلاثين[2].

في 5 تشرين الثاني 1994 تحركت مجموعات مسلحة من حركة طالبان لمهاجمة قندهار، وكان الملا (نقيوب) في داخل المدينة، وتحت إمرته أكثر من ألفان وخمسمائة مقاتل، بيد أن أحد مساعديه قد ادعى أن الاستخبارات الباكستانية قدمت رشوة للملا (نقيوب) لإخلاء قندهار مقابل إعادته مرة ثانية للقيادة، إلا أن مجموعات من حركة طالبان التي تمكنت من السيطرة على قندهار قد طردته واستولت على إثنا عشر دبابة، وعدد من العجلات المدرعة، ست طائرات (MIG-21) وست طائرات مروحية كانت متروكة من أيام الغزو السوفييتي، فيما حين سقط أكثر من خمسين قتيلاً خلال أربعة أيام من المعارك[3].

احتفلت إسلام آباد بسقوط مدينة قندهار بيد طلاب العلوم الإسلامية (أصحاب العمائم البيضاء)، مما جعل وزير الداخلية الباكستاني يعترف أمام جمع من الصحفيين أن هؤلاء الطلاب هم أولادنا مما أثار احتجاج الحركة، فيما بعد، وأعلنوا أنهم حركة مستقلة، ولا مجال لدخول عجلات الشحن الباكستانية إلى أفغانستان ما لم تدفع رسوم إلى الحركة. وفي هذا فقد أبدى الملا (كهيوص) في

---

(1) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص57، I, bid, p. 28; Stephen tanner, op.cit, p. 279.

(2) المصدر نفسه، ص57، I bid, p. 30.

(1) Ahmed Rashid, op. cit, p. 29.

السادس عشر من تشرين الثاني 1994 امتعاضه عندما أرسلت باكستان شاحناتها عبر أفغانستان[1].

توالت الضغوط الداخلية والخارجية على رئيسة الوزراء (بنازير بوتو) حول دعمها لحركة طالبان، ففي شباط 1995 وفي خلال زيارتها إلى الفلبين، «أجابت أن باكستان لا تستطيع منع المتطوعين من الالتحاق بحركة طالبان، وليس لنا عداء مع الرئيس برهان الدين رباني، كما أن للأفغان عوائل داخل أفغانستان هم بحاجة إلى الزيارة[2].

تمكنت حركة طالبان من كسب ود وتعاطف الناس في داخل أفغانستان لما أظهروه من عدل واستقامة ومحاسبة أمراء الحرب الذين سلبوا أموال الناس في الطرقات واغتصاب الفتيات، إلا أن ذلك لم يمنحهم الأفضلية في تعاملهم مع دول الجوار بما فيها باكستان عندما أصدر الملا عمر أوامره بغلق مدارس البنات ومنع المرأة الأفغانية من العمل خارج البيت، وحظر الموسيقى في المحلات التجارية والفنادق والسيارات، وخطر اللعب بالطيارات الورقية من قبل الأولاد، وإجبار الرجال على عدم حلاقة اللحى، ومنع تربية الحمام واللعب بالطيور، حيث اعتبرتها دول الجوار مقيدة لحرية الفرد، واستغلتها فيما بعد لتشويه قادتها[3].

أما دول الغرب بما فيها الولايات المتحدة التي سعت لإيجادها فقد رأت أن الملا محمد عمر يريد أن يحكم كما كان الخلفاء الراشدين في القرن السابع الميلادي[4].

---

(2) I. bid, p. 29.; Angelo Rasanayagam, op.cit, p. 1930.
(3) I. bid, p. 29.
(4) Stephen tanner, op.cit, p. 274..
(4) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص59؛ Ahmed Rashid, op. cit, p. 30.

معركة هيرات 1995:

مقاطعة هيرات المحاذية لإيران، كانت الهدف الآخر لحركة طالبان بعد الانتهاء من قندهار (معقل البشتون)، فهي تحت إمرة اسماعيل خان. ويفصلها طريق طويل عن قندهار بمسافة 584 كم.

استغلت حركة طالبان الوضع الناجم في كره الناس لحكام الولايات الذين جمعوا ثروة على حساب البسطاء من الأفغان، فتنادى أكثر من عشرين ألف أفغاني ومئات من طلاب مدارس باكستان الذين تخلوا عن معسكرات اللاجئين للانضمام إلى الملا عمر، كما أنضم الآلاف من الأفغان البشتون ممن أعمارهم لا تتجاوز (14 -24) سنة وهم من أبناء المخيمات الذين هجروا الخيام، وهم لا يعرفون كيف يستخدموا السلاح، ولكن كل الذي تعلموه هو قراءة القرآن، حياة الرسول محمد (ص) والخلفاء الراشدين، ومبادئ الإسلام، والحرب التي دمرت بلادهم وعوائلهم وقتلت أحباءهم، [1] فتمكنت قوات طالبان التي ترفع العلم الأبيض المطرز بـ لا إله إلا الله محمد رسول الله من السيطرة على أرزوكان، وزابل بدون قتال فيما أبدت محافظة هيلمند، وقوتها بإمرة (غفار اخوزاده) مقاومة عنيفة عندما اقتربت قوات طالبان، إلا أنها تمكنت عن طريق رشوة معاوني اخوزاده من السيطرة عليها في كانون الثاني 1995.

في أواخر شباط 1995 تمكنت حركة طالبان من التقدم نحو محافظة هيرات[2] القريبة من الحدود الإيرانية، وبعد قتال عنيف تمكنت من احتلال

---

(1) المصدر نفسه، ص60، I. bid, p. 29-30.

(2) بنيت المدينة قبل خمسة آلاف سنة. وخلال شهر آذار 1979 تمكنت مجموعات من المتظاهرين في هيرات من قتل المئات من عوائل الضباط السوفيت، وبتعزيز الوجود السوفيتي بـ (300) دبابة اندلعت اشتباكات في المدينة سببت إلى قتل الفين من المدنيين وهروب إسماعيل خان إلى إيران.

Ahmed Rashid, op. cit, p.40.

محافظتي نمروز وفرح الذين خضعتا إلى أحد رموز الحرب إسماعيل خان المدعوم من إيران. وإلى الجنوب من هيرات تمكنت الحركة من السيطرة على القاعدة الجوية (شنينداد) مما أجبر القائد أحمد شاه مسعود من نقل (2000) الفيّ مقاتل من الطاجيك وهم جزء من قوة حماية العاصمة كابل والرئيس الطاجيكي (برهان الدين رباني) . ومع استمرار افراط قوات طالبان بالتقدم بمجموعات متباعدة عن بعضها البعض تكبدت خسائر كبيرة، وهي ما أشار إليها أحد قادة طالبان (صالح محمد) الذي قال إنه في نهاية آذار 1995 أزيحت قوة طالبان من القاعدة الجوية وتراجعت عناصرها من المحافظات التي كسبتها في شباط، تاركين خلفهم أكثر من ثلاثة آلاف قتيل ومئات الجرحى، وترك بعضهم في الصحراء ليموتوا من جراء نقص الطعام والماء والأدوية[1].

تمكنت قوات المعارضة (التابعة إلى برهان الدين رباني) في أيار 1995 من أحكام السيطرة على ست محافظات قريبة من العاصمة كابل وشمالها، فيما تمكنت قوة إسماعيل خان من بسط سيطرتها على ثلاث محافظات أخرى في الغرب، مما قلص عدد المحافظات التي بقيت تحت سيطرة طالبان وأصبحت لا تتجاوز الثمانية بعد مرور أكثر من سنة على عملياتها المدعومة من الباكستان والسعودية.

اقتنعت الباكستان والسعودية إن حركة طالبان لا زالت تعاني من نقص واضح في الأسلحة والتدريب والذخيرة والأجهزة اللاسلكية والعجلات، كما أن القيادات الميدانية لم تظهر مهارة في إدارة العمليات، وهذا ما جعل الدولتين الداعمتين، وخاصة الباكستان من تطعيم قيادات الحركة الميدانية والقيادات العليا برجال الاستخبارات الباكستانية بغية تسهيل تداول المعلومات الاستخباراتية، وفي الجانب الآخر، أرسل

---

(1) في اليوم الثاني من حملة هيرات، ظهرت مجموعات شغب في مدينة كابل العاصمة، وحاصروا السفارة الباكستانية، ونهبوها، وجرح السفير الباكستاني (قاضي هاميون)، فيما اتهم الرئيس برهان الدين رباني باكستان بأنها وراء محاولة اقصاؤه عن السلطة.

Angelo Rasanayagem, op.cit, p.149

الجنرال الأوزبكي عبد الرشيد دوستم عدد من الفنيين إلى مدينة قندهار لإصلاح عدد من الطائرات المقاتلة من طراز MIG_21 وطائرات الهليوكبتر.

ولغرض مواجهة تهديد قوات إسماعيل خان المدعوم إيرانياً، فقد زجت حركة طالبان قوة وصلت إلى (25000) مقاتل، وجلهم من المتطوعين الجدد للقيام بغارات وكمائن على طرق امداد قوات إسماعيل خان، مما أجبرهم على التقهقر إلى قاعدة (شينداد) الجوية، ومدينة هيرات[1]، ومرة أخرى غادر المئات من أنصاره معقلهم ولجؤا إلى إيران خشية انتقام حركة طالبان من رموز مدينتهم، ومع اقتراب نهاية عام 1995، وبالتحديد في شهر تشرين الثاني، فقد دخلت قوات الحركة مدينة هيرات واعتقلت المئات من مناصري إسماعيل خان، بانتظار نهاية الشتاء وتساقط الثلوج.

◆كابل1996

وجه الملا عمر زعيم حركة طالبان الدعوة إلى المئات من رجال الدين للحضور إلى مدينة قندهار في ربيع عام 1996. وبحلول يوم العشرين من آذار كان عدد الواصلين بحدود ألف ومائتي رجل دين، وقد جرت ضيافتهم في القلعة القديمة، فيما تبرع رموز من البشتون من أهالي المدينة بالمئات من البسط والسجاد الفاخر لنوم الضيوف.

ترأس الاجتماع الملا عمر، الذي رحب بالحاضرين، مذكّرهم أن هذا الاجتماع التأريخي إنما لبحث العمل المستقبلي، وشرعية قيادة الحركة التي تسيطر على 65٪ من الأرض الأفغانية، وخلال المناقشات التي أثارها بعض علماء الدين ظهر أن هناك خط متشدد يدعو إلى استمرار مقاتلة حكومة برهان الدين رباني، فيما ذهب آخرون على تبني المفاوضات للوصول إلى حل سلمي دون إراقة مزيد من الدماء، معتقدين أن طالبان لا تستطيع احتلال كابل، كما لا يستطيع أحمد شاه مسعود من احتلال

---

(1) Ahmed Rashid, op.cit, p. 40 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.149.

قندهار. وبعد مناقشات طويلة، قرر رجال الدين القندهاريين اطلاق لقب أمير المؤمنين أو قائد المؤمنين على الملا عمر ليعيدوا تسميتها بأمارة أفغانستان[1] كما كانت قبل عام 1919[2]، ويفرضوا الجهاد على كل قادر على حمل السلاح لمقاتلة حكومة رباني، وخلال جهود وسيط الأمم المتحدة محمود المستيري، وجد أن حركة طالبان مستعدة للدخول في حوار مع حكومة رباني في إسلام آباد رغم اعلان الجهاد، وبعد مرور يوم واحد على ذلك الكلام، ظهر ما كان يتوقعه المستيري من تناقض أقوال قادة طالبان فقرر الاستقالة في أيار 1996.

كان رد برهان الدين رباني على قرارات علماء الدين في قندهار أن عقد اجتماعاً موسعاً مع أمراء الحرب حول المناصب التي يزمع توزيعها في كابل، وعقد ممثله الدكتور عبد الرحمن لقاءاً منفرداً مع البروفسور قلب الدين حكمت يار في سيروبي، ولقاءاً آخر مع الجنرال عبد الرشيد دوستم في مزار شريف، ولقاءاً مع زعيم حزب الوحدة الشيعي كريم خليلي في منطقة باميان، وكان اجماع كل القادة على تأسيس مجلس مؤلف من عشرة أفراد لبدء التفاوض، فيما ذهب رباني إلى تقوية موقفه الدولي، وذلك عن طريق مبعوثيه الذين وصلوا إلى الهند والاتحاد السوفيتي وإيران لمؤازرته ضد توجهات الباكستان أولاً، وتعزيز قواته تحت قيادة أحمد شاه مسعود بالسلاح والعتاد والوقود، وتحسين عمل أجهزة الملاحة في قاعدة باكرام الجوية لاستقبال الطائرات المقاتلة وطائرات النقل ثانياً[3]. وفي المقابل، فقد جهزت

---

(1) بعثت الأمم المتحدة الوسيط محمود المستيري للتدخل في حل الأزمة بين حرة طالبان وحكومة برهان الدين رباني، وقال، أمضى مجلس الشورى في مناقشاته، الجانب السياسي ومستقبل العمل العسكري، وفرض قانون للشريعة لمنع النساء من التعلم في المدارس.

مصطفى الدباغ، الصراعات الدولية الراهنة، دار الفارس للنشر والتوزيع، 1999، ص 95.

(2) Angelo Rasanayagam, op. cit, p.204.

(3) أشارت تقارير الاستخبارات الباكستانية أنه في يوم واحد هبطت (13) ثلاثة عشر طائرة إيرانية في قاعدة باكرام، وتأكدوا أن حمولتها كانت عبارة عن تجهيزات عسكرية لقوات

الباكستان حركة طالبان بمزيد من الأجهزة اللاسلكية، وتحسين الملاحة في الجوية في قاعدة قندهار، وكذلك فعلت السعودية التي زادت من كميات الوقود والطعام والاموال ومئات العجلات المخصصة للحمل وعدد من الصواريخ المضادة للدبابات.

في الولايات المتحدة، أعلن مساعد وزير الخارجية (روبن رابل) عن عدم اهتمام بلاده لمناصرة أياً من حكومة رباني أو حركة طالبان، ودعى الطرفين إلى الجلوس على طاولة المفاوضات لحل المشاكل بينهما، مما سبب حرجاً لباكستان (الحليف الأقرب للحركة)، وهو ما دعى حكمت يار من إرسال ألف من مقاتليه لمؤازرة رباني، ويتوجه هو بنفسه إلى العاصمة كابل في 26 حزيران ليتسلم منصب رئيس الوزراء بعد غياب دام خمسة عشر سنة.

في نفس يوم وصول حكمت يار إلى كابل شنت حركة طالبان سلسلة من عمليات القصف بالصواريخ للعاصمة مما سببت في مقتل واحد وستون من المدنيين وجرح المئات، وفي شهر آب أنظم عبد الرشيد دوستم إلى محور (رباني)، غير أن حركة طالبان بقيت تعاني من ضعف في تعبية قواتها واعتمدت على الهجمات المباشرة (أي الهجوم الجبهوي) دون القيام بعمليات التفاف لضرب أجنحة قوات أحمد شاه مسعود، كما هي تعاني من نقص الخبرة في تحشيد القوات والنيران لإحداث خرق في قوات خصمهم[1].

رباني، فيما أشارت CIA أن من بين التجهيزات العسكرية خمسة صواريخ ستنكر أمريكية ضد الطائرات وهي من بين(900) صاروخ جرى توزيعها على مجموعات الفدائين الأفغان خلال عامي (1986 -1987).

Ahmed Rashid, op. cit, p.48.

(1) حضر مدير الاستخبارات السعودي الأمير تركي الفيصل بصحبة مدير الاستخبارات الباكستاني لمناقشة أفضل الخطط لاحتلال العاصمة كابل، ويعتقد أن حاكم جلال آباد

في 25 آب 1996 شنت قوات طالبان هجوم مباغت على منطقة جلال آباد من جهة الجنوب، وقوة أخرى جهزتها باكستان من جهة الشرق، وفي اليوم العاشر من أيلول هرب حاكمها عبد القادر إلى باكستان، ودخل طابور الملا (بورجان) المدينة بعد معركة سريعة وكانت نسبة الخسائر بحدود سبعين من المدينين. وفي 24 أيلول تدفقت قوات طالبان من مدينة سيروبي إلى العاصمة التي تبعد خمسة وسبعون كيلو متراً، وأربكت عمل قوات الحكومة بالسرعة والمخادعة التي تم انجازها، فيما ذهبت قوة أخرى بإتجاه قاعدة باكرام لقطع أي تواصل لقوات (مسعود) مع أي امدادات يمكن أن تصلهُ عن طريق الجو، مما أجبر مسعود الهروب إلى الشمال ومعه مجموعات من أسلحته الثقيلة والمدفعية في يوم 26 أيلول تاركاً الآلاف من طالبان تدخل مسرعة لاحتلال معسكراته في الداخل(1).

كان تعامل حركة طالبان مع منافسيها قاسياً، وكان أول ما بادر إلى أذهان قادة المجموعات المسلحة أن تلقي القبض على الرئيس السابق نجيب الله أمين الذي تركه السوفيت وحيداً بعد سحب قواتهم على يد غورباتشوف عام 1989.

كانت حكومة رباني قد أبقت على حياة نجيب الله الذي لجأ إلى مبنى الأمم المتحدة منذ عام 1992، وكان ذلك ليس احتراماً للرئيس الشيوعي، وإنما لكي

الحاج عبد القادر قد تسلم رشوة مقدارها عشرة ملايين دولار لتسهيل عملية دخول قوات طالبان.

Angelo Rasanayagam, op. cit, P. 204; Ahmed Rashid, op. cot, p.47.

(1) Ahmed Rashid, op.cit, p. 48.

I. bid , p. 48; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.151-152..

يُظهر رئيس الدولة الجديد برهان الدين رباني احترامهُ للحصانة القانونية التي يتمتع بها موظفوا الأمم المتحدة، والمبنى الذي لجأ إليه نجيب الله (1).

بعث نجيب الله برسالة إلى مسؤول الأمم المتحدة في الباكستان (نوربت هول) يوم 26 أيلول يخبرهُ بتدبر الأمر لانقاذهُ وأخيه (شاهبور أحمدي زي) وسكرتيرهُ الشخصي، ولكن لم يجب أحد على رسالته في ذلك اليوم، فيما عرض عليه أحمد شاه مسعود عن طريق أحد ضباطه الكبار الخروج مع الحكومة المنسحبة من العاصمة، وأنهُ سيضمن سلامته، الا أن نجيب الله وبسبب كبريائه البشتوني وعناده رفض العرض الذي وصله في أحلك الساعات من قائد طاجيكي.

أرسل نجيب الله رسالة لاسلكية أخرى في مساء نفس اليوم إلى إسلام آباد، يطلب فيها العون والمساعدة، وكالعادة لم يجب أحد عليها وفي الساعة الواحدة ليلاً وصل خمسة رسجال مقنعين من وحدة طالبان الخاصة، وكانوا بأمرة الملا عبر الرزاق حاكم هيرات وقائد الوحدة الخاصة ليطل بمن نجيب الله وأخيه وسكرتيره الشخصي الخروج معهم، ليقوموا بتنفيذ حكم الاعدام بالثلاثة بعد تعذيبهم (2).

بعد مرور أربعة وعشرون ساعة على دخول قوات طالبان للعاصمة كابل، واجه الناس تحدي كبير لحريتهم، فقد فرضوا نظام إسلامي صارم، ومنها تحريم خروج النساء إلى خارج البيوت بدون عمل، غلق كليات ومدارس البنات مما حرم أكثر من

---

(1) خدم نجيب الله أمين مديراً لجهاز أمن الدولة الأفغاني (الخاد) قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية، حكم لمدة ست سنوات 1986 -1992، متزوج من (فاتنه) له ثلاث بنات يقمْن في الهند منذ لجوء زوجها إلى الأمم المتحدة.

(2) تشير المعلومات التي دونها الكاتب أحمد رشيد، ان الثلاثة يضمنهم نجيب الله قد ضربوا ضرباً مبرحاً وأخذوهم في الليل إلى القصر الجمهوري المهجور، فتم ضرب الرئيس على خصيتيه، وسحل جسده بسيارة (جيب) قبل اعدامه شنقاً حتى الموت بسلك معدني وليس بحبل كما هي العادة، Ahmed Rashid, Op.cit, p.49

سبعين ألف منهم من التعليم، وحرم أكثر من خمسة وعشرين ألف من أرامل الحرب من ترك أعمالهن خشية من انتقام متطرفي طالبان، واستمرت مجموعاتها بالتجوال في شوارع المدينة ومسك تقاطع الطرق لمنع أي موسيقى أو الأطباق لالتقاط القنوات الفضائية، واعتقال الرجال حليقي اللحية، واعتقال من يلعب بالطائرات الورقية أو طيور الحمام أو ممارسة لعبة كرة القدم[1].

تحصن أحمد شاه مسعود الطاجيكي[2] وقوته البالغة عشرون ألفاً في وادي بانجشير قاعدته الأولى التي انطلق منها لقتال السوفيت خلال سنوات الحرب الماضية وكان لزاماً على رئيسه الطاجيكي برهان الدين رباني أن يجد تحالفات جديدة لمواجهة ضغط حركة طالبان التي تابعت القوة المتقهقرة إلى شمال العاصمة كابل، وفي الثامن من تشرين أول 1996 عقد رباني اجتماعاً مطولاً مع عبد الرشيد دوستم الأوزبكي في محاولة لثنيه من تقديم دعم أو التزام لحركة طالبان تحت وعود منها إعطاءه حكم ذاتي في مزار الشريف،معتقداً أن طالبان ترفض اعطاء أي قائد غير بشتوني قوة وحكم في أي ولاية من الولايات الأفغانية، وفي العاشر من تشرين أول عقد رباني اجتماعاً أخر مع دوستم وحضرهُ كريم خليلي (الهزاري) زعيم حزب الوحدة المدعوم من إيران، واتفق الثلاثة على تشكيل المجلس الأعلى للدفاع عن أرض بلادهم، وهو يعني استمرار الحرب الأهلية لفترة غير معلومة[3].

---

(1) I bid, p.51.

(2) من مواليد 1956، ومن عائلة عسكرية، درس في فرنسا، شارك في محاولة لاسقاط الرئيس داود خان عام 1975، وبعد فشلها، لجأ إلى الباكستان. التقى في بيشاور الباكستانية مع قلب الدين حكمت يار لتدارس أسباب عدم وحدة المجاهدين، يعتبر أحمد شاه مسعود أحد رواد حرب العصابات حتى أطلق عليه السوفيت بأنه (أسد بانجشير). وحتى عام 1999 أصبح عمره 46 سنة وتكون (25) منها قد قضاها بالقتال.

(3) Ahmed Rashid, op. cot, p.53; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.153.

تجمعت لدى أحمد شاه مسعود معلومات استخباراتية وافية عن الاندفاع السريع لحركة طالبان باتجاه ممر سالانك المؤدي إلى وادي بانجشير، فوجد أن الفرصة مواتية لضرب المجموعات المسلحة وهي ضعيفة وقليلة ومتباعدة بعضها عن بعض، وفي الثاني عشر من تشرني أول 1996، تمكنت قواته من شن هجوم مقابل على امتداد طريق سالانك السريع، فأوقع المئات من القتلى في صفوف طالبان، وأسر أعداد كبيرة منهم، وعاد الآخرين إلى كابل مذعورين من شدة الهجمات. وفي الثامن عشر من الشهر نفسه تمكنت قوات مسعود من استعادة قاعدة باكرام الجوية، وتهديد مطار كابل مرة أخرى، فيما تمكنت الطائرات المقاتلة التابعة لدوستم من قصف أهداف لطالبان داخل العاصمة، ومع استمرار المعارك العنيفة بين الطرفين وقصف الأحياء السكنية فقد هرع ما يقارب الخمسين ألف منازلهم باتجاه الغرب والشمال، فيما اتخذ الهزارة والطاجيك طريقاً آخر باتجاه الشرق أي باتجاه الحدود الباكستانية للتخلص من المدن البشتونية، وحالات الاعتقالات الجماعية التي مارستها طالبان بحقهم[1].

واجهت حركة طالبان نقص بالقوى البشرية المقاتلة من جراء استمرار النزيف الدموي، وهذا ما أجبرها على حجز الشباب المتوجهين إلى المساجد لارسالهم إلى القتال، فيما دعت باكستان آلاف المتطوعين من شباب المدارس الدينية للالتحاق مع حركة طالبان، وبدت حركة واسعة لتجنيد أبناء المخيمات الأفغانية من قبل عناصر الأحزاب الإسلامية الباكستانية، التي سهلت من مهمة ارسالهم عبر عجلات تم تأجيرها خصيصاً للمقاتلين لايصالهم إلى كابل وقندهار[2].

تبنت حركة طالبان في نهاية تشرين أول خطة جديدة لمواجهة قوات التحالف الشمالي عبر الانطلاق من هيرات لمهاجمة محافظة (بادغيز)، وهذا ما جعل إسماعيل خان المدعوم (إيرانياً) من تجهيز قوة تقدر (ألفين) من أبناء هيرات لنقلها بواسطة

---

(1) Ahmed Rashid , op.cit., p.53; Angelo, Rasanayagam, op. cit, p.153.
(2) Ibid, p. 53

طائرات دوستم إلى منطقة (ميامان) لتدور معركة أخرى على أطراف (بادغيز) استخدمت فيها القوة الجوية لكلا الطرفين لضرب أهداف منتخبة، وساهمت مرة أخرى إلى هجرة الآلاف من المدنيين إلى هيرات، وعطلت جهد الأمم المتحدة في التعامل مع آلاف المهجرين[1].

كان موقف طالبان يتسم بحراجة موقفها القتالي نتيجة لاستمرار سقوط القذائف على العاصمة كابل، وكثرة تساقط الثلوج في شهر كانون أول وبداية شهر كانون الثاني 1997، ونتيجة لمشورة جهاز المخابرات الباكستاني والسعودي لدفع قوات أحمد شاه مسعود بعيداً، فقد شنت قوات طالبان هجوماً كبيراً استعادت فيها كل الأراضي التي فقدتها في شهر تشرين أول بما فيها القاعدة الجوية باكرام، وباتت تهدد قوات دوستم في مزار شريف[2].

استمر التنسيق بين حكومتي السعودية والباكستان بصدد وجود مخرج لاستمرار الحرب الأهلية، وانقسام المجتمع الأفغاني بين طوائف دينية وعرقية يتعذر مصالحتهم على طاولة واحدة، فكانت البداية هو الاعتراف بالحركة رسمياً وفتح سفارات في العاصمة كابل بغية اقناع الآخرين حيث أن 75٪ من أراضي الدولة هي بيد قوات طالبان، ومن بين الثمانية وعشرين محافظة، فإن اثنان وعشرين منها بيد الحركة، وأن الأيام القادمة ستشهد اتساع رقعة الأرض المحررة كما أشار الملا محمد حسن أحد قادة طالبان[3].

---

(1) Ibid, p. 53; Angelo, Rasanayam, op. cit, p.153.

(2) مزار شريف أي مزار مرقد الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجه)

Ahmed Rashid , op.cit, p. 54.

(3) I bid, p. 54.

مزار شريف 1997

تعتقد حركة طالبان أن مزار شريف وما حولها هو ما تعوّل عليها الإمارة الأفغانية في تطوير اقتصادها، حيث يتوفر الغاز والصناعات والأراضي الزراعية. أما الجنرال عبد الرشيد دوستم[1] فقد وجد نفسه وكأنه المنقذ والأمل الباقي الذي يعوّل عليه أبناء القومية الطاجيكية والأوزبكية والهزارة ومعهم دول روسيا، الهند، إيران لتخليص الناس من قبضة الحركة المتطرفة، معطياً بعض المبررات الجغرافية وهي أن المدينة تقع شمال جبال (هندكوش) وضمن دول آسيا الوسطى، وهي بعيدة جداً عن معقل البشتون (قندهار) التي تقع ضمن أراضي كراجي (العاصمة الاقتصادية لباكستان في الوقت الحاضر). كما تتمتع مزار شريف بكونها حلقة رئيسية على طريق الحرير القديم الذي استخدم للتجارة المهربة بين باكستان ودول وسط آسيا وإيران، وفيها تقع قلعة الحرب المعروفة باسم (قلعة جانكي) Qila-e-jhangi التي يتردد عليها السواح الذين يزورون المحافظات الشمالية، وفيها جامعة بلخ التي تظم في أقسامها ألف وثمانمائة شابة. ومع كل هذا فقد بدت حركة طالبان تبحث عن نقاط ضعف الجنرال دوستم لامكان النفوذ منها واخضاع خصمهم دون الدخول في اشتباكات دموية قد تستمر لفترة طويلة[2].

---

(1) ولد عام 1955 في قرية قرب شبيرخان. التحق بالجيش الأفغاني عام 1978، وتدرج بالرتب حتى أصبح قائد فيلق. بعد رحيل السوفيت عام 1989، قاد عبد الرشيد دوستم ميلشيا أوزبكية (جوزجان). وفي عام 1992 تمرد دوستم على رئيس الدولة نجيب الله. أستلم مساعدات من روسيا، إيران تركيا، باكستان (بعض الوقت) وأوزبكستان.

انظر: .Ahmed Rashid, op. cot, p.54

(2)Ahmed Rashid, op.cit, p. 54.

انتهزت حركة طالبان وجود مشكلة تمثلت في مقتل الجنرال رسول بهلوان وخمسة عشر من حمايته في حزيران 1996 وهو شقيق الجنرال مالك بهلوان نائب دوستم، وكان الشائع لدى أهالي مزار شريف أن دوستم هو الذي دبر مقتله[1].

تحركت قوات طالبان بهدوء من محافظة هيرات وكابل العاصمة باتجاه محافظة (فارياب) الشمالية التي تتمركز فيها قوة مالك بهلوان، ونتيجة للتنسيق الذي أنجز بوقت مبكر مع بهلوان، فقد أدرك دوستم مقدار الخيانة، مما جعلهُ يسرع بالهرب إلى أوزبكستان ثم من هناك إلى تركيا . واستمر تدفق قوات الحركة التي بلغت أكثر من ألفين وخمسمائة مقاتل إلى مزار شريف تحت قيادة الملا عبد الرزاق، الذي عرض على مالك بهلوان منصب نائب وزير الخارجية في حكومة كابل.

كان الملا عبد الرزاق قد أمر قواته بنزع سلاح قوات الأوزبك والهزارة، وفرض قيود وتعاليم الحركة على المدارس والجامعات كما فعلت في كابل، وفي الوقت الذي تدخلت الحكومة الباكستانية ممثلة بوزارة الخارجية ووصول عدد من ضباط الاستخبارات إلى مزار شريف لتدارس الموقف بغية اعتراف دول العالم بشرعية حركة طالبان ظهرت واحدة من مفاجآت الحرب التي لم يكن قادة طالبان يدركون عواقبها، هي أنهم طلبوا من عدوهم المنتشر في أحياء المدينة الكبيرة مزار شريف القاء أسلحتهم بدون قتال ولكن ما حصل لهم هو:

- في عصر يوم 28 أيار 1997، ظهرت قوة من طائفة الهزارة لتقول ولماذا نلقي سلاحنا ونحن في عداء طائفي وحرب طال أمدها أكثر من ثلاث سنوات مع طالبان.

- باغتت القوة بنيرانها قوات حركة طالبان وهم لا يزالون في عجلات (البيك آب) المتجمعة كهدف للرماة من فوق السطوح والبيوت المجاورة، وفي غضون خمسة عشر ساعة من قتال الشوارع، فقدت

(1) Ahmed Rashid, op.cit, p. 57 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.153.

طالبان ما مجموعة ستمائة قتيل والقبض على (ألف آخرين) حاولوا الهرب من مطار المدينة.

- قتل أو أسر عشرة من قادة حركة طالبان، كان من ضمنهم وزير الخارجية (ملا محمد خوز)، الملا عبد الرزاق، وحاكم البنك المركزي الملا احسان الله، وعدد من الطلاب الباكستانيين(1).

استغل الجنرال مالك بهلوان الموقف المتدهور نتيجة كثرة خسائر طالبان، فأوعز إلى قواته السيطرة على أربع محافظات شمالية تاخار، فارياب، جوزجان، وسري بول بعد أن بقيت هذه المحافظات بيد طالبان لمدة خمسة أيام، ومع استمرار المعارك انتقلت المبادأة بيد قوات مالك بهلوان للسيطرة على محافظات بلخ، سمنجان، وقندز. وفي الوقت الذي تسارع فيه المقاتلين من طالبان للهروب أو العودة إلى العاصمة أدركهم الهزارة والأزبك ليغلقوا عليهم معظم الطرق المعبدة الصالحة لحركة عجلاتهم، فوقع الآلاف من طالبان ومئات الطلاب الباكستانيين في الأسر، ثم نفذوا فيهم أحكام القتل وهم عزل من السلاح، ودفنوا في مقابر جماعية (2).

استغل أحمد شاه مسعود موقف قوات طالبان، فتمكن من احتلال مدينة جبل سراج الكائنة في المدخل الجنوبي لمر سالانك، كما تمكنت قواته من غلق الطرق المؤدية إلى الممر لأسر أعداد أخرى هاربة من حركة طالبان. وعادت قوات أحمد شاه مسعود لتكون على ضواحي العاصمة تصيبها بقذائفها متى أرادت. وفي نفس الوقت تحرك كريم خليلي بقوات من الهزارة لاستعادة الأراضي التي خسرها قبل تسعة أشهر، فتمكنت قواته من استعادة وادي باميان، واقتربت قواته من العاصمة أيضاً مجبرين بذلك آلاف من العوائل البشتونية من الرحيل باتجاه العاصمة، وكان موقف طالبان القتالي هو الأسوأ منذ تأسيسها قبل ثلاثين شهراً، فقد خسرت في عشرة

---

(1) Ahmed Rashid, op.cit, p. 58; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.154.
(2) I. bid , p. 59.

أسابيع من القتال من آيار إلى تموز ما مجموعه ثلاثة آلاف من مقاتليها وأكثر من ثلاثة آلاف وستمائة في عداد الأسر، وأكثر من سبعة آلاف في عداد الجرحى[1].

استغاث الملا عمر وطلب من الباكستان مساعدة عاجلة فتقرر على أثرها غلق المدارس الدينية، وتجنيد ما يقارب الخمسة آلاف منهم، وأجبر الملا عمر الذهاب إلى العاصمة لأول مرة لتدارس الموقف مع قادته لرفع معنوياتهم. حاولت طالبان الطلب من البشتون (عشائر غلزاي)[2] في شرق أفغانستان التطوع لانقاذ الموقف، ولكنهم طلبوا ثمناً سياسياً هو المشاركة في الحكم وأجبر الملا عمر على الموافقة، لإشراك ثلثمائة ألف مقاتل من عشائر غلزاي للدفاع عن العاصمة كابل، إلا أن قيادتها قد أعطيت إلى أحد قادة الملا عمر، مما أغضب الغالبية العظمى من مقاتلي (غلزاي) ليتخلوا عن المهمة الجديدة ليبقى منهم في المحصلة النهائية ثلثمائة مقاتل[3].

الدول المجاورة لأفغانستان، أبدت هي الأخرى قلقها من تطورات الموقف، وهو ما جعل روسيا، أوزبكستان، طاجكستان تغلق حدودها مع الشمال الأفغاني أما إيران فقد أعلنت عن استمرارها دعم الجبهة المعادية لحركة طالبان، ونسقت جهودها مع روسيا لتزويد حليفها أحمد شاه مسعود بطائرات مقاتلة، وسيرت أثنان وعشرون رحلة طيران إلى مزار شريف لنقل التجهيزات والأسلحة والذخيرة كما وصفها وزير صحة حركة طالبان[4].

---

(1) Ahmed Rashid, op.cit, p.59 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.155.

(2) تتقسم قبائل البشتون الى ثلاث قبائل هم الدرانية والغلزية وقبائل صغيرة، وأشار جلال الدين حقاني من عشائر غلزاي أن تعبية طالبان في مزار شريف كانت خاطئة، وأن الاتفاق مع الجنرال مالك بهلوان كان سريعاً وبدون مفاوضات مدبرة. انظر: Ahmed Rashid, op. cit, p. 59; احسان حقي المصدر السابق، ص 26.

(3) Ahmed Rashid, op.cit, p.60 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.155.

(4)Ahmed Rashid, op. cit, p. 61.

عاودت الجبهة المناوئة لطالبان حركتها بنشاط لتشكل جبهة في الثالث عشر من حزيران 1997 أطلقت عليها الجبهة الوطنية والإسلامية لخلاص أفغانستان، واتفقت الأطراف أن تكون مدينة مزار شريف هي العاصمة المؤقتة للحكومة الجديدة المؤلفة من برهان الدين رباني رئيساً وأحمد شاه مسعود لوزارة الدفاع، إلا أن مثل هذا الاتفاق قد شابهُ الاختلافات العرقية لشغل المناصب الوزارية بين الجنرال مالك بهلوان، وأحمد شاه مسعود، وكريم خليلي، وبذلك حرم الطاجيك والأوزبك والهزارة للعمل بجبهة واحدة ضد حركة طالبان[1].

زادت شكوك قادة حركة طالبان بالدور المشبوه الذي مثله الجنرال مالك بهلوان في معركة مزار شريف يوم الثامن وعشرين من شهر أيار 1997، وبعمل مباغت تمكنت قوة طالبان من السيطرة على محافظة (قندز) عبر الهجوم على مدينة (تاشكورجان) (Tashkurgan) محدثة اضطراباً كبيراً في عاصمة الشمال مزار شريف، وظهر لقوات الأوزبك الموالية لعبد الرشيد دوستم الهارب إلى تركيا وكأن مالك بهلوان هو من سهل لحركة طالبان لاحتلال المدينتين، واندلع على أثرها قتال عنيف بين قبائل الأوزبك المؤيدة لبهلوان ودوستم، أضطر الأول إلى الهروب إلى محافظة فارياب ثم تركمانستان ومن هناك إلى إيران[2].

سادت الفوضى في مزار شريف بسبب القتال الدائر، وتلقى دوستم دعوة أصحابه للعودة من منفاه القسري (تركيا) إلى مزار شريف للتخلص من اتباع مالك بهلوان أولاً وطرد مقاتلي طالبان خارج مدينته ثانياً، وايقاف عمليات النهب والسلب لمقرات الأمم المتحدة ودوائر الحكومة ثالثاً.[3]،

كان في عقل قادة طالبان أن يثأروا من الهزارة لما حصل لهم سابقاً في مزار الشريف، ووجدوا الفرصة سانحة لهم وهم يتراجعون إلى محافظة قندز أن يدخلوا إلى

---

(1) Ibid., p. 61.
(2) I bid., p. 62.
(3) I bid., p. 62; Angel, Rasanayagam, op. cit, 155.

قرية (قزل آبد) الهزارية، ليقوموا بقتل ما يقارب سبعين من الهزارة المدنيين كما أفاد أحد الناجين (سهراب روستم)[1]. وبوصول أخبار المجزرة إلى أذهان (كريم خليلي)، طلب من أتباعه في مزار الشريف أحكام قبضتهم على المدينة، فعاد التوتر هذه المرة بين حلفاء الأمس الهزارة والأوزبك، أما تصرف دوستم فقد أراد أن يثبت حسن النية مع طالبان، ليؤكد لهم أن هناك عشرين مقبرة جماعية لأسرى طالبان في صحراء (داش تي ليلي) في محافظة جوزجان، وظهر في هذه المقابر ما يقارب الفيّ جثة، ليقول لهم دوستم أن قتلهم تم على يد الجنرال مالك بهلوان، ولإثبات حسن نيته فأنه سيطلق سراح مائتي من أسرى طالبان من سجون مزار شريف[2].

طلب دوستم من موظفي الأمم المتحدة في مزار شريف اجراء تحقيق لإثبات من قتل عناصر طالبان، والطريقة التي تمت فيها عملية القتل واحتمالات التعذيب الوحشي الذي مارسه القتلة، وهو في كل هذا أراد أن ينال من خصمه الجنرال مالك بهلوان لينهي دوره نهائياً من عقول الأوزبك[3] ولضمان مجريات التحقيق، استدعي الجنرال الأوزبكي (سليم سهر) وهو من أتباع مالك بهلوان ليقول لهيئة التحقيق، أن عمليات تعذيب وقتل قد حدثت، وأن أحد ضباطه قد أخبره، إن في أحد الليالي تم اخراج مائة وخمسون أسير من حركة طالبان وهم معصوبي العينين وأيديهم موثقة خلف ظهورهم ليضعوهم في حاوية حديدية مغلقة اتجهت بهم إلى الصحراء. وفي مكان مدبر تم وضع الحاوية على حفرة نار لتسخن لمدة ستة ليالي، وفي نهاية المدة، أخرجت الجثث وهي متفحمة من شدة استمرار الحرارة ونقص الأوكسجين، ولم تكن هذه الحادثة الأولى، فقد استمرت الحاويات تنقل الأسرى ليقتلوهم بذات الطريقة حتى وصل العدد بحدود ألف ومائتان وخمسون عنصر من طالبان[4].

---

(1)Ahmed Rashid, op. cit, p.63.
(2) I bid., p 63.
(3) I bid., p. 63.
(4) I bid., p. 63.

ساد جو من الرعب والخوف في كل القرى المعزولة خشية من اعمال الانتقام التي قد يتعرضون لها على يد طالبان (السنية) أو الهزارة (الشيعية)، وهو هدف جنح إليه محققوا الأمم المتحدة لإشاعة خبر المقابر الجماعية والحاويات الحديدية بدل التقيد بضوابط القتال بين المتنازعين وهم ينتمون إلى دين الإسلام(1).

باميان 1998 -1999

تقع المحافظة في وسط أفغانستان، وهي معقل قبيلة الهزارة الشيعية، ومنذ آب 1997 صممت حركة طالبان على غلق كل الطرق المؤدية إلى باميان، ومنع وصول الامدادات الغذائية حتى للمحافظات المجاورة لها كهار، وردك، وغزني، وذلك من أجل إجبار مقاتلي حزب الوحدة بقيادة كريم خليلي المدعوم من إيران على الاستسلام. وأشارت الأمم المتحدة وبرامجها الدولية لتوفير الغذاء، أن طالبان استخدمت الطعام كسلاح لتجويع الأفغان وهم أصلاً جائعين(2).

أبقت إيران قنوات الاتصال والدعم مع حزب الوحدة وزعيمه كريم خليلي، وكثيراً ما شجعته للذهاب في زيارات إلى الهند وروسيا وتركيا لمزيد من الدعم الدولي لقضية الهزارة في ظل وجود حركة طالبان وزعيمها المتطرف الملا عمر(3).

تحركت إيران وروسيا، عبر إرسالهم عدداً من رجال مخابراتها لإجراء حوار مع عبد الرشيد دوستم المتواجد في مقره (شيبرغان) ضمن ولاية مزار شريف، وكان هدفهم إيجاد أرضية سليمة لتحالف قوي بين الأوزبك والهزارة بعد معارك شباط

---

(1) قامت حركة طالبان بطرد موظفي الأمم في أي بقعة وقعت تحت سيطرتهم، فهم لا يثقون بهم، ورفض الملا عمر استقبال ممثل الأمم المتحدة (روبرت هول) مما أثار غضب الجميع بما فيهم الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان.

(2) تقع محافظة باميان على ارتفاع (7000) قدم، وأثناء هطول المطر وتساقط الثلوج يصبح من المتعذر على الشاحنات قطع المسافة بسهولة، إضافة إلى استمرار الحرب الأهلية وسبل العنف والانتقام الذي طغى على طريق النزاع طالبان والهزارة.

(3) Angelo, Rasanayagam, op. cit, p. 156.

1998. فيما ذهب أحمد شاه مسعود إلى طهران لإحياء جبهة متماسكة أطرافها الطاجيك، والأوزبك والهزارة[1].

استغلت حركة طالبان ظروف الشتاء القاسية، لتبدأ هجوماً عنيفاً أساسه الانتقام من القرويين الأوزبك ضمن محافظة فارياب، عندما أخذوا بقوة السلاح أكثر من ستمائة قروي لقتلهم بعد تعذيبهم[2]. وابتداءاً من آذار 1998، استأنفت روسيا وأوزبكستان شحن الأسلحة الثقيلة للطرف المناوئ لطالبان، فيما وجدت إيران أن مساعداتها المضمونة إلى الهزارة يمكن نقلها من محافظة مشهد الإيرانية إلى محافظة باميان مباشرة.

في الجانب الآخر، طلبت حركة طالبان من الباكستان والسعودية دعمهم بالسلاح والتجهيزات والمال لاستئناف تعرضهم القادم باتجاه شمال العاصمة، وعلى أثرها وصل مدير الاستخبارات السعودي الأمير تركي الفصيل إلى قندهار في منتصف حزيران، يرافقه عدد من ضباط الاستخبارات الباكستانية، ومعهُ مساعدة مالية، وعقد لتجهيز الحركة بـ أربعمائة (بيكب آب)، فيما قدمت الباكستان بليوني روبية، أي ما يساوي خمسة ملايين دولار.

بدأت حركة طالبان تعرضها الواسع في الثاني عشر من تموز 1998، منطلقين من مدينة هيرات للسيطرة على مدينة (ميامان)، وبحركة التفاف واسعة ضد قوات دوستم، تمكنت من السيطرة على مائة دبابة وعجلة، وأسر ثمانمائة جندي من الأوزبك، وفي حلول بداية آب وصلت قوات طالبان إلى مقر دوستم في (شيبرغان)، هرب على أثرها دوستم إلى أوزبكستان ثم تركيا، وهي المرة الثانية التي يترك جنوده في الميدان خلال فترة الحرب الأهلية[3].

---

(1) Ahmed Rashid ,op. cit, p. 70.
(2)Ahmed Rashid ,op. cit, p. 70; angelo, Rasanayagem, op, cit , p. 156.
(3) Angelo. Rasanayagam, op. cit, p. 157.
تشير المعلومات أن طالبان قدمت رشاوي إلى عدد من مساعدي دوستم لتسهيل مهمة الاحتلال.

في الثامن من آب، طورت الحركة أساليب قتالها باتجاه القوة الرئيسية للهزارة البالغة ألف وخمسمائة مقاتل، وقد انهارت قوة الهزارة نتيجة مناورة التطويق التي نفذتها الحركة، ودخلت قوات الحركة المدينة للمرة الثانية بعد سنة وأربعة أشهر، ولكن هذه المرة تريد الانتقام من أي أسير يقع بيديها[1].

استعانت طالبان هذه المرة بالعناصر البشتونية الموالية لقلب الدين حكمت يار لدلالة قواتها إلى الأزقة الضيقة، والطرق غير المعلومة، ومقرات الهزارة والأوزبك ومخازن الأسلحة والذخيرة التي استلمت مؤخراً من ايران وروسيا وأوزبكستان. أما الأسرى، فقد أشار أحد قادة طالبان أن الملا عمر قد منحهم فترة ساعتين لقتل عدوهم، إلا أن ما حصل قد استمر لمدة يومين مما أتاح للمجموعات المتعطشة للانتقام أن تقتل كل شيء متحرك أمامها، فهي استهدفت أصحاب المحلات، النساء، الأطفال، الحيوانات والجنود العزل من السلاح مما سبب إلى بقاء الجثث متروكة في الساحات والشوارع لمدة ستة أيام قبل دفنها[2].

كانت السجون في مزار شريف قد استقبلت آلاف الأسرى الآخرين من الأوزبك والهزارة من الذين استسلموا في أماكن أخرى من المدينة، وقد وضع المئات منهم في حاويات حديدية ليذوقوا الموت في صحراء (داش تي ليلي) كما حدث لعناصر طالبان عام 1997[3].

لم ينتهي مسلسل العنف في مزار شريف باحتلالها، وإنما ذهبت طالبان إلى اتهام إيران لدعمها برهان الدين رباني الموجود في طهران، فأقدمت (وحدة خاصة)

---

(1)Angelo. Rasanatagam, op. cit, p. 63. وتشير المعلومات إلى بقاء مائة مقاتل من مجموع قوة الهزارة

(2) Ahmed Rashid , op. cit , p. 73; Angelo , Rasanayagam, op. cit , p. 157.

(3) I bid., p. 74; I. bid , p. 157.

بقيادة دوست محمد على مهاجمة القنصلية الإيرانية في المدينة واحتجاز أحد عشر دبلوماسياً (بضمنهم ضباط استخبارات وصحفيين) وتم قتلهم[1].

أثارت إيران القضية على الأمم المتحدة، واتهمت ضباط استخبارات باكستانيين متواجدين في مزار شريف لتصفية دبلوماسيها رداً على قتل المئات من الطلاب الباكستانيين عام 1997. وفي الثالث عشر من أيلول 1998، شنت طالبان هجوماً على باميان من ثلاث اتجاهات، مما أجبر بعض قادة قوة الهزارة على الاستسلام، فيما هرب زعيم حزب الوحدة كريم خليلي إلى الجبال قبل أن تناله قوة طالبان. وبدت إيران وكأنها خسرت آخر معاقلها في باميان، فقالت أن من حقها الدفاع عن نفسها وفق القانون الدولي، وهي إشارة مبطنة لاحتمال التدخل بقواتها المسلحة بعد قتل دبلوماسيا ووصول قوة أفغانية سنية على حدودها[2].

كان مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي مستاءً من تصرف الحكومة الباكستانية ودعمها لحركة طالبان، بالطائرات والأسلحة الثقيلة والمشورة الاستخباراتية لاحتلال باميان وهو مانفته اسلام آباد. ولممارسة مزيد من الضغط على الباكستان والسعودية وحركة طالبان، فقد أرسلت إيران ما يقارب الـ سبعين ألف من الحرس الثوري مسندين بالدبابات على طول الحدود الأفغانية – الايرانية لإجراء تمارين تعبوية، وفي شهر تشرين أول عززت إيران قوتها بحدود مائتي ألف من الجيش لإجراء سلسلة من التمارين أطلقت عليها (ذو الفقار – 2)[3]. وبالمقابل فقد عززت طالبان قواتها على الحدود المشتركة لتصل إلى خمسة آلاف مقاتل معززين بصواريخه (ستنكر المضاد للطائرات) وصواريخ أرض – أرض روسية من طراز لونا (مدى 100 كم) تحسباً لأي غزو إيراني لأراضيها[4].

---

(1) I bid., p. 63.

(2) مصطفى الدباغ، المصدر السابق، ص 98.

(3) Ahmed Rashid ,op. cit,., p. 63.
(4)I bid., p. 76.

عبر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان عن قلقه من حشود إيران على الحدود، وهو ما أجبرهُ على تعيين الدبلوماسي الجزائري (الأخضر الإبراهيمي) كمبعوث لهُ إلى إيران وأفغانستان وباكستان لتقصي الحقائق . واستقبل الملا عمر المبعوث العربي في قندهار في الرابع عشر من تشرين أول 1998، وكانت هي المرة الأولى التي يلتقي بها الملا عمر مع مبعوث للأمم المتحدة، وأسفر اللقاء على اطلاق سراح ستة وعشرون إيرانياً كانت تحتجزهم حركة طالبان، واستمر الإبراهيمي في جولاته المكوكية في محاولة للتوصل إلى تسوية سلمية للأزمة عبر ترتيب لقاء بين إيران وطالبان في مقر منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة في المملكة العربية السعودية، ولكن الأطراف المدعومة من جهات إقليمية ودولية [1] تنصلت من أي التزامات بعد فترة وجيزة من قسمها على كتاب الله القرآن.

لم يكن الحشد الإيراني على طول الحدود مع أفغانستان هدفهُ الدخول في اشتباك مع قوات طالبان، بقدر ما كان توفير فرصة من الوقت لحلفاءها (الأوزبك والهزارة والطاجيك) لإعادة تجهيز أنفسهم بالسلاح والعتاد بعد الانهيار الكبير في تموز وآب وأيلول 1998 على يد قوات طالبان، كما ظهر أن إيران لا تريد الدخول في حرب مرة أخرى بعدما ارهقتها حرب الثمان سنوات مع العراق[2].

كان وجود أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في أفغانستان يلاقي قبول ورضى الملا عمر وبقية قادة طالبان وهم في تفاهم مشترك لإنشاء إمارة إسلامية أفغانية

---

(1) دعى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان لاجتماع وزاري لدول جوار أفغانستان، وقد عرف باجتماع (6+2) اشاره إلى المجتمعين، إيران، باكستان، الصين، طاجاكستان، أوزبكستان، تركمانستان بالإضافة إلى الولايات المتحدة وروسيا، وقد تم عقد الاجتماع في نيويورك في الحادي والعشرين من أيلول 1998، وتقرر دعوة إيران وباكستان للتوقف عن دعم طالبان والتحالف المعارض، مصطفى الدباغ، المصدر السابق، ص 99؛ يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص 52.

(2) المصدر نفسه، ص 99.

يمكن أن تكون قاعدة ومنطلقاً لتقويض حكم الدول العربية في الجزيرة العربية وضرب المصالح الغربية عبر ميليشيات تنظيم القاعدة التي توغلت بعيداً في كل أجهزة الدول بما فيها الأجهزة الأمنية.

أتهم تنظيم القاعدة بتفجيرات استهدفت السفارات الأمريكية في كل من تنزانيا وكينيا في آب 1998، أوقعت 224 قتيلاً بينهم اثنا عشر أمريكياً(1)، ولم تمضي أيام على الهجوم حتى ردت الولايات المتحدة في العشرين من آب بهجوم صاروخي من طراز كروز على معسكرات بن لادن في أفغانستان، واتبعها الرئيس الأمريكي كلنتون بإصداره مرسوم في السادس من تموز 1998 يقضي بفرض عقوبات تجارية ومنع أي استثمار في أفغانستان في ظل وجود حركة طالبان، واستمرت الولايات المتحدة في ضغطها على الدولتين الداعمتين لطالبان، الباكستان والسعودية بضرورة تسليم بن لادن لمحاكمته، ثم قدمت مشروعها إلى مجلس الأمن في الخامس عشر من تشرين أول، يقضي بمنح حركة طالبان مهلة شهر واحد لتسليم بن لادن تحت طائلة العقوبات المالية، وأدرج اسم بن لادن على لائحة مكتب التحقيقات الفيدرالي (F.B.I) باعتباره مطلوباً للعدالة، ورفضت حركة طالبان ذلك الانذار وتجاهلته الأجهزة الأمنية الباكستانية(2).

أظهرت الولايات المتحدة ضغطاً متواصلاً على الحكومة الباكستانية، فيما دخلت الأمم المتحدة على خط إجراء مفاوضات بين الأطراف المتنازعة في مدينة عشق آباد عاصمة طاجكستان في الحادي عشر من آذار 1999، ومع انتهاء الاجتماع تم التوصل توصية باطلاق سراح الأسرى من الجانبين ومع استمرار المفاوضات اتهم الملا عمر أحمد شاه مسعود (3) بسعيه لتقويض الاتفاق، فهو الذي توجه إلى روسيا لمقابلة وزير الدفاع (ايكور سيريجيف) في السابع من نيسان 1999، وبعدها أعلنت روسيا

---

(1) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص237.

(2) Ahmed Rashid, op. cit, p.78; Angelo, Rasnayagam, op.cit, p.204

(3) I bid., p. 78.

عزمها انشاء قاعدة عسكرية في طاجكستان وهي إشارة لمعاونة قوات المعارضة بقيادة أحمد شاه مسعود ضد حركة طالبان (1).

شنت قوات مسعود بالتعاون مع قوات حزب الوحدة (الهزارة) هجوماً لإعادة السيطرة على معقل الهزارة في باميان في 12 نيسان، وتمكنت من طرد حركة طالبان خارج المدينة (2).

تمكنت قوات طالبان في الثامن والعشرين من تموز 1999 من شن هجوم آخر في شمال شرق البلاد في محاولة لقطع خطوط تموين قوات أحمد شاه مسعود مع طاجكستان (3). وبعد سلسلة من المعارك استولت الحركة على محافظة طالقان وعدد من المدن الحدودية مع طاجكستان مما أدى إلى نزوح أكثر من (150.000) مائة وخمسون ألف أفغاني إلى الدولة المجاورة فأثارت حالة من الفزع في دول وسط آسيا (4). ومع بداية عام 2000، عزمت الحركة على استضافة مقاتلين متطرفين من دول وسط آسيا، إيران، كشمير، الصين والباكستان لتقاتل بجانب قوات طالبان، وتبين كما يشير الكاتب أحمد رشيد، أن بين هؤلاء مقاتلين من الحركة الإسلامية الأوزبكية بغية تقويض حكم جمهورية أوزبكستان المعارضة لطالبان، وأن 3/1 القوات التي دخلت إلى محافظة طالقان كانت من غير الأفغان، وأن من بينهم ثلاثة آلاف من الباكستان، وألف مقاتل من الحركة الإسلامية الأوزبكية، وعدة مئات من المقاتلين العرب (تنظيم القاعدة)، ومجموعات كشميرية وشيشانية وفلبينية ومسلمين من الصين في الوقت الذي كانت جهود المجتمع الدولي تسير بالاتجاه الموحد لمقاومة الارهاب، وتناغمت الجهود الروسية مع الأمريكية لتقويض حركة طالبان،

---

(1) I bid., p. 78.
(2) I bid., p. 78.
(3) Ahmed Rashid , op. cit, p.79.
(4) I bid., p. 79.

وفي صيف 2000 لم يكن لطالبان نصيب في أي مساعدة باستثناء باكستان وقد أجبرت فيما بعد للتخلي عنها [1].

تبدل الموقف الأمريكي

تغير الموقف الأمريكي من القضية تماماً بعد الإعلان السوفييتي الانسحاب من أفغانستان 1989، وتأكد ذلك بعد انتهاء الحرب الباردة تماماً، إذ انخفضت الأهمية الاستراتيجية لكل من باكستان وأفغانستان في السياسة الأمريكية في جنوب وجنوب شرق آسيا، وفي هذا المجال يتطلب منا معرفة ذلك عن طريق أوليات مارستها الإدارة الأمريكية، فمن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية دفعت مبالغ طائلة مشاركة مع المملكة السعودية ونقلت أسلحة من مصر والصين وإسرائيل إلى باكستان لدعم مجموعات اسلامية ضد الاتحاد السوفييتي المحتل لافغانستان، واستمر ذلك من عام 1980 وحتى عام 1989 موعد بدء انسحاب السوفييت من أفغانستان، وفي تلك الفترة أوجدت المخابرات المركزية الأمريكية لها مكتب معروف في مدينة بيشاور الباكستانية القريبة من مدينة قندهار الأفغانية بغية متابعة نشاط الجماعات وانجازاتهم وبعد عام 1989 أوقفت الولايات المتحدة مساعداتها لقادة المجاهدين، إذ صار الهدف هو ترك الساحة الافغانية والقاء تبعاتها على الآخرين واسترجاع الأسلحة التي قدمتها للأفغان وخاصة صواريخ (ستنكر)، وما يهمها هو تقوية روابطها السياسة والاقتصادية مع بلدان وسط آسيا [2].

بانتهاء الدور السوفييتي في المنطقة وتقليص نفوذه في الشرق الأوسط وتخليه عن حلفائه من العرب، سادت العالم فوضى النظام العالمي الجديد وفي محصلته قيادة، أمريكا للعالم وأن يكون القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً دون منازع، تطوف فيه العقلية الأمريكية على الجميع، سياسة مجانبة للحق تنصر فيها الظالم وتحكم

---

(1) I bid., p. 80.

(2) هدى الهاشمي، المصدر السابق، ص 26.

المظلوم، تقهر وتمقت كل ما يمت للعرب والاسلام من صلة ليس لديها ثقة بأقرب أصدقائها ويقول (أشوك اجاروك) وهو خبير في السياسة الأمريكية في جامعة (جواهر لال نهرو) في نيودلهي أن الخوف من خطر اسلامي هو الذي يتحكم أساساً بالسياسات الدولية للولايات المتحدة حتى في هذا الزمن وهذا العصر، ووجدت الولايات المتحدة في الهند انسجاماً مع موقفها المتشدد تجاه حركة طالبان في أفغانستان وخوفها من تعاظم الحركات الإسلامية في العالم شريكاً مناسباً وجاهزاً لإقامة قاعدة لها في منطقة جنوب آسيا " وفي هذا السياق يرى د.لاري جودسون أستاذ العلوم السياسة في الجامعة الأمريكية بواشنطن" أن الولايات المتحدة تنظر إلى الهند على أنها حجر الزاوية للستراتيجية الأمريكية " في جنوب آسيا، لما تمثله من ثقل في مواجهة الصين ومن تأثير في المنطقة فضلاً عما تبشر به من فرص للاستثمارات الأمريكية في أسواقها الواسعة"[1].

خلال فترة التسعينات بدأت سلسلة من أعمال التفجيرات في أماكن متباينة من العالم، وأطلقت عليها الولايات المتحدة والغرب المسيحي صفه (الارهاب)، فصار هدف مواجهة الارهاب هدفاً قومياً للعديد من دول العالم ومنها الولايات المتحدة، بعدما عانت من انفجار مركز التجارة العالمي، وانفجار اكلوهوما وسفارتيها في كينيا وتنزانيا عام 1998 وفيها اتهمت الولايات المتحدة تنظيم القاعدة (وأسامة بن لادن) بأنه وراء تلك التفجيرات وينبغي محاربته وعدم إيوائه[2].

وبعد تفجيرات (11) أيلول في الولايات المتحدة أصبح (بن لادن) وتنظيمه من جملة الأهداف المرسومة في ستراتيجية الولايات المتحدة، وبسبب إيوائه من قبل حركة

---

(1) تامر كامل محمد، المصدر السابق، ص 17.

(2) ثامر كامل محمد، عاصفة الابراج، بيت الحكمة، العدد 29، أيلول 2002 (مقال).

طالبان في أفغانستان، فإن قتل وتشريد شعب مسلم فقير ليس بمشكلة طالما أنهم يحملون أفكاراً إسلامية، وبذلك أصبح مجاهدي الأمس أعداء أمريكا اليوم[1].

أمريكا تصل إلى نفط أسيا الوسطى قبل روسيا

في مركز بحوث العولمة في كندا عرض كتاب ألفه اثنان من محللي المخابرات الفرنسية هما (شارل بريسارد) (وغيوم داسك) يقول الكاتب (شاي كومار) أن المصلحة الأمريكية الأساسية في الحرب على أفغانستان قد يكون النفط وليس الإرهاب، ويقولان أن الإدارة الأمريكية قد أعاقت مجرى التحقيقات في النشاطات الإرهابية بعد (11) أيلول وأن نائب مدير مكتب التحقيقات الفدرالي (جون أونيل) قد استقال في تموز احتجاجاً على إعاقة مجرى التحقيقات، ويرى الكاتبان أن (بوش) لجأ إلى هذا الأسلوب بتأثير من الشركات النفطية الأمريكية.

فقبيل إحداث (11) أيلول كانت الإدارة الأمريكية ترى في نظام طالبان مصدر استقرار في أسيا الوسطى، وسيكمن ذلك في بناء خط أنابيب نفط عبر أسيا الوسطى من حقول النفط الغنية في تركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان عبر أفغانستان وباكستان إلى المحيط الهندي[2].

هناك حقائق مهمة عن الكيفية التي يرتبط بها النفط بتدخل الولايات المتحدة منذ أمد طويل في أسيا وآمالها في الوصول إلى ثروات النفط والغاز في المنطقة، ومن الواضح أن النفط له رائحة في الصراع السياسي والاقتصادي المعقد في المنطقة ولأجل أن تمارس الولايات المتحدة دوراً يمثل المصالح النفطية في المنطقة المقصودة فإنها تعالج الموضوع من خلف باب الحرب على الإرهاب[3].

---

(1) يوسف الجهمان، المصدر السابق، ص 169.

(2) أسعد طه، الصراع الدولي في آسيا الوسطى، حلقة دراسية 31 كانون الثاني 2002 (الجزيرة نت)، ص 87.

(3) المصدر نفسه، ص 8.

فآسيا الوسطى تتضمن كازاخستان وقرغيزستان وطاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان وأفغانستان والباكستان وأجزاء من الهند والصين، أما حوض بحر قزوين فيتضمن الدول المطلة على بحر قزوين والبلدان المجاورة أذربيجان وإيران وتركمانستان وكازاخستان وتركيا وجورجيا)، ودول المجموعتين فيها ثروة كبيرة، ويقدر في منطقة بحر قزوين بحوالي (200) مليار برميل من النفط (حوالي 3/1 الكمية الموجودة في الخليج العربي). وفي آسيا الوسطى كميات من موارد النفط غير المكشوف بضمنها (6 ر6) تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي وعشرة مليارات برميل من احتياط النفط غير المطور.. وفي تسمية الدول فإن أوزبكستان وتركمانستان هي المصدران الرئيسان للغاز، وتحتوي تركمانستان على ثامن أكبر احتياطي للغاز في العالم[1].

تحتل أفغانستان موقعاً ستراتيجياً بين الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وشبه القارة الهندية وتقع في مكان وسط من الأسواق المتنامية والمربحة في الهند والصين واليابان، وتكمن أهميتها باعتبارها طريق مرور محتمل لصادرات نفط الغاز الطبيعي من آسيا الوسطى إلى بحر العرب[2].

وحسب ما ورد في نشرة معلومات الطاقة للحكومة الأمريكية في أيلول 2000، أنه في عام 1996 حصل (كونسورتيوم) بقيادة (أونوكال) على عقد لبناء خط أنبوب بطول أكثر من ألف ميل وخط غاز طبيعي مواز له وبطول (918) ميل بالإضافة إلى محطة لتحميل الناقلات في ميناء (جوادان) الباكستاني المطل على بحر العرب ويقدر الدخل السنوي للمشروع (25) مليار دولار والذي سيغطي تكاليفه خلال خمس

---

(1) جريدة الثورة البغدادية، 11 شباط، 2002، ص4.

(2) النفط وقود العدوان الأمريكي على أفغانستان، جريدة الثورة البغدادي 8 شباط، 2002، ص4.

سنوات[1]. وفي سنة 1998 ركن المشروع بعد إطلاق صواريخ كروز على معسكرات بن لادن الأفغانية، كما أن هناك خيار آخر لنقل نفط بحر قزوين، يتمثل في أن مجموعة كبيرة من شركات النفط الأمريكية ترى ضرورة نقل النفط عن طريق الأراضي الإيرانية بوصفها أقصر الطرق إلى المحيط الهندي مروراً بخليج عمان والبحر المتوسط عبر تركيا، وبناءً على ذلك تم تخفيف العقوبات المفروضة على إيران للسماح بمد الأنبوب وربط تركمانستان بتركيا عن طريق شمال إيران[2].

أما روسيا، فقد خططت الإدارة الأمريكية إلى احتوائها وجعلها أحد الدول التي تعتمد على القدرة الاقتصادية الأمريكية، وأن قسم من شركات النفط ترغب في نقل النفط عبر أراضيها، أي أن أنابيب النفط يمكن أن تمر من (كازاخستان) وأسيا الوسطى، عبر روسيا إلى أسواق العالم، إلا أن هذا الخيار بقي من يحذر منه بسبب احتمالية عودة روسيا كقوة عالمية مناهضة للغرب[3].

وفي عودة إلى مجريات الأحداث، وبالتحديد إلى عام 1996، ففي ذلك الوقت بدأ التفاوض بين الشركات الأمريكية وحركة طالبان، وعندما قيل لشركة (يونيكال) " أن حركة طالبان حركة قمعية، رجعية وإرهابية، قال المتحدث باسم الشركة (مايك تاتشر)، نحن شركة نفط وغاز، وسوف نذهب إلى حيث يوجد النفط والغاز" وفعلاً بدأت سلسلة من المفاوضات بين الشركات الأمريكية وحركة طالبان، إلا أن حادث تفجير السفارتين الأمريكتين في تنزانيا وكينيا عام 1998 أوقف هذا التعاون[4].

---

(1) محمد أبو الفضل. الصراع النفطي في أسيا الوسطى، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 131، 1998، ص274 وما بعدها.

(2) محمد أبو الفضل، المصدر نفسه، ص227 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ص279.

(4) النفط وقود العدوان الأمريكي على أفغانستان، جريدة الثورة البغدادية، 8 كانون الثاني، 2002، ص 4.

ولا بد من التنويه بأن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بدأ عمله في تجاره النفط في تكساس، وأدار (ديك تشيني) ناب الرئيس شركة (هاليبرتن) النفطية، وكانت (كونداليزا رايس) مستشارة الرئيس للأمن القومي، تعمل في مجلس إدارة شركة (شيفرون)، ويدرك الثلاثة أهمية النفط في تحريك الصناعة، ويذكر (تشيني) عام 1998 " أن البروز المفاجئ لمنطقة بحر قزوين كعامل ستراتيجي مهم ليس له مثيل في التاريخ[1]. وضمن الإطار ذاته قال في محاضرة ألقاها في معهد (كاتو) للدراسات " لقد شاء الله أن يضع الغاز والنفط في بلدان متنوعة وسوف يتعين علينا أن نذهب حيث يوجد النفط والغاز بصرف النظر عن رأينا في النظام الذي يحكم الدول التي يوجد فيها[2]، وهي إشارة إلى ثروات أسيا الوسطى النفطية التي تقدر بنحو (15) مليار برميل نفط و (9) تريلونات قدم مكعب من الغاز وذلك تحت أرض أربعة دول هي أذربيجان كازاخستان تركمانستان، أوزبكستان[3].

كثرت المخاوف الروسية بعد الحملة على أفغانستان عام 2001 والخشية من التوسع الأمريكي على حدودها، وأن ما أربك عمل القيادة الروسية، التقارير الكثيرة التي تشير إلى عزم حلف الناتو من التوسع باتجاه أسيا الوسطى وأن حراسة أنابيب نفط بحر قزوين سيوكل إلى القوات الأمريكية المتواجدة في قاعدة (انجرليك) التركية، وهذا ما جعل موسكو ترفض تقسيم بحيرة قزوين بن الدول المطلة عليه، وتسعى إلى جعله بحيرة داخلية دون جعلها مياه إقليمية[4]. وكما أشارت صحيفة أورنيت بريس

---

(1) المصدر نفسه، ص4.

(2) جريدة الثورة البغدادية، 8 كانون الثاني، 2002، ص4.

(3) النفط وقود العدوان الأمريكي على أفغانستان (تقرير) جريدة الثورة البغدادية، 8 شباط، 2002، ص4.

(4) الكيان الصهيوني يخطط لاستقطاب أسيا الوسطى، تقرير، جريدة الثورة 8 شباط، 2002، ص4.

(Orient Press) في مقال مطول اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، اختتمت الصحيفة مقالها "لن نترك أسيا الوسطى"[1].

(1) الأمريكيون لن يتركوا أسيا الوسطى، تقرير (جريدة الثورة البغدادية)، 8 نيسان، 2002، ص4.

المبحث الثالث

فن الحرب الأمريكي على الأرض الأفغانية

الذي حدث هو ارتطام (4) طائرات مدينة يوم 11 أيلول 2001، اثنان فجرت مركزي التجارة العالمي، وأخرى على وزارة الدفاع (البنتاغون) والرابعة سقطت في ولاية (بنسلفانيا).

كان الضحايا ينتمون إلى (80) جنسية ومن كل الأديان، ولكن الغريب في هذه العاصفة المدمرة التي هزت رموزاً هامة في المجتمع الأمريكي أن أياً من الديانة اليهودية لم يكن بين هذه الضحايا!!، بحجة أنهم أجلو تظاهرة كان من المزمع إقامتها في نيويورك قبل ثلاثة أيام من الانفجار، وذكرت وكالات الأنباء الأمريكية في وقتها أن مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) اعتقل خمسة من اليهود وأشارت اليهم جريدة هآرتز الصهيونية يوم (14) أيلول ولم يظهر شيء من التحقيق [1]. والمعروف أن عدداً كبيراً من (اليهود) يعملون في التجارة، وعند وقوع الحدث وهروب الناس، كان معظم الراكضين يتحدثون بكلمات (عرب، إسلام) وكأنهم ملقنين أن مصدر التفجير سببه العرب المسلمين [2].

---

(1) كلف الرئيس الأمريكي (بوش) الوزير السابق، ومستشار الأمن القومي (هنري كيسنجر) بتولي التحقيق عن الانفجارات التي حدثت يوم 11 أيلول، وبعد مرور أسبوعين على التكاليف اعتذر هنري كيسنجر عن المهمة)؟!.

(2) كانت الخسائر البشرية في برجيّ التجارة العالمي من مواطني الولايات المتحدة الأمريكية (4763)، بريطانياً أكثر من (500) كولومبيا (156)، اليابان أكثر من (100) المكسيك أكثر من (100)، كندا (100)، استراليا (94)، بنغلاديش (50) كوريا الجنوبية (28)، تايوان (9)، إيطاليا (8)، الفلبين (7)، إرلندا (6)، زيمبابوي (6)، الصين (4) سويسرا (3)،

أعلنت الإدارة الأميركية أن (أسامة بن لادن) سعودي الجنسية يمثل العدو الأول للولايات المتحدة واتهمته بأنه وراء التخطيط لعمليات تدمير مبنى مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاغون في واشنطن، وبدأت بتحرك نشط تحت شعار بناء تجمع دولي لمكافحة الإرهاب، وشمل هذا النشاط أغلب دول العالم... مع تركيز واضح على الدول المحيطة بأفغانستان وهي الهند، باكستان، روسيا، الصين، إيران حيث طالب المسؤولين الأمريكيون من هذه الدول إبداء أكبر قدر من التعاون معها[1].

تفاوتت استجابات تلك الدول بين إعلان الموافقة التامة وتقديم الدعم وبين التحفظ والمقاومة، بحسب اتجاهات تلك الدول ومدى قوتها وطبيعة علاقاتها مع الولايات المتحدة.

امتاز الموقف الهندي بسرعة الاستجابة، حيث قدمت الهند معلومات استخبارية مهمة حول معسكرات تدريب من وصفوا بناشطين إسلاميين في جنوب أسيا، وسلمت تلك المعلومات إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي، وتضمن أشرطة فيديو عن معسكرات تدريب ومعلومات عن مواقعها. ورجحت مصادر صحيفة هندية أن تكون تلك المعسكرات في الأراضي الباكستانية على طول الحدود مع أفغانستان وفي كشمير القسم التابع للإدارة الباكستانية، والأكثر من ذلك أن الهند عرضت مساعدتها العملية من خلال مساعدات إدارية أو السماح باستخدام أراضيها لعمليات عسكرية أميركية[2].

لبنان (3) السلفادور (2) هولندا عدد غير معروف. يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص 172، عدنان نجيب أبو سرحان، الحرب الأنكلو الأمريكية العدوانية على العراق، دار رسلان، ط1، دمشق، 2007، ص 56.

(1) Angelo Rasanayagam, op.cit, p. 251.

(2) رانيا بركات الزواهرة وآخرون، الحرب الأمريكية الجديدة، عمان، 2001، ص 77.

أما باكستان فقد تعرضت لضغوط أمريكية كثيرة، وتهديد مكشوف لأنها قد تكون مستهدفة بالعمليات العسكرية الأمريكية إذا لم تمارس تعاوناً.. والتعاون بحسب المنطوق الأمريكي يتضمن تقديم باكستان معلومات محددة حول المجموعات المسلحة في أفغانستان خاصة وأن للحكومة الباكستانية شبكة متشعبة من المخبرين السريين في أفغانستان... حيث اعتبرت الإدارة الأمريكية أن على باكستان تقديم مجموعة لعناوين أفغانية كاملة إثباتاً لحسن نواياها ومدى التزامها.

جرت عمليات تفاوض طويلة بين واشنطن وإسلام آباد، أعطت بعدها حكومة باكستان موافقتها المبدئية على تقديم المعلومة المهمة إلى الولايات المتحدة، حيث أشار مصدر مقرب من أجهزة الاستخبارات الباكستانية إلى أن حكومة واشنطن طلبت الإطلاع على جميع المعلومات المهمة حول شبكات المقاتلين في أفغانستان وبصورة خاصة تنظيم ابن لادن، تحسباً لشن عملية انتقامية ضده، كما طلبت الحكومة الأمريكية السماح لها باستخدام المجال الجوي الباكستاني، بينما وردت أنباء أخرى عن إمكانية استخدام الأراضي الباكستانية بغية شن عمليات برية[1].

وتعيش باكستان مأزقاً مزدوجاً بين مخاوف من عدوان أمريكي قد يطال منشآتها النووية أو في الأقل يحرمها من الدعم والمساعدات الاقتصادية الأمريكية، وبين محاذير اندلاع أزمة داخلية بفعل المشاعر الشعبية الإسلامية المناهضة للولايات المتحدة في ذلك البلد المسلم.

إيران شعرت هي أيضاً بالقلق، حيث بادرت بإدانة العمليات التي استهدفت المنشآت الحيوية الأمريكية، وحاولت ضبط الشارع الإيراني قدر الإمكان والتوجيه بعدم إطلاق شعارات معادية لأمريكا في صلاة الجمعة، كما جرت العادة سابقاً، إضافة

---

(1) رانيا بركات الزواهرة وآخرون، المصدر السابق، ص 66 -70.

إلى مبادرة غير مسبوقة بتقديم التعازي رسمياً عن الخسائر البشرية وشجب رسمي للحوادث على لسان الرئيس الإيراني (محمد خاتمي)[1].

الإيرانيين يتخوفون هم أيضاً من ردود انتقامية أمريكية حيث بلادهم مدرجة على قائمة الدول الداعمة للإرهاب حسب التوصيفات الأمريكية، كما أن مخاوفهم من ضربة قد توجه إلى أفغانستان قد أدت إلى إغلاق حدودهم معها خشية تدفق اللاجئين الهاربين من جراء الفقر والجفاف أوالعمليات العسكرية فيما بعد.

في الصين، فقد كررت الصين أكثر من مرة وعلى لسان مسؤولين كبار، رغبتها في التعاون مع الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب، غير أن المحللين يرون خلف تلك التصريحات أكثر ما يعيق الاتفاق على خطوات ملموسة بهذا الخصوص.

فالرئيس الصيني/ جيانغ زيمين/ دعا الأسرة الدولية إلى المزيد من التعاون لمكافحة الإرهاب من أجل ضمان أمن الشعوب والسلام العالمي. لكن المفاهيم الأمريكية لمكافحة الإرهاب تختلف عن المفاهيم الصينية، فالصين تعارض من حيث المبدأ أي تدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وتعتبر أن التهديد ينبع عموماً من الداخل، لذلك فالصينيون يكافحون الحركات الانفصالية في حين يرى الأمريكيون أن الإرهاب يستمد جذوره بصورة رئيسية من الخارج.

ولأن الصين ترى أن مكافحة الإرهاب هو من الشؤون الداخلية للدول، فقد طلبت استشارتها في طريقة التعامل مع الأحداث وأعلنت أنها تفضل أن يكون في إطار الأمم المتحدة، ويرى محلل سياسي صيني أن القادة الصينيون متمسكون للغاية بمبدأ

---

(1) المصدر نفسه، ص 82. انظمت دول العالم إلى جهود الولايات المتحدة لمواجهة الارهاب فقد أعلنت السعودية، الإمارات، أندونيسيا بنغلاديش، الكويت، قطر، البحرين، مصدر الأردن، وضع جهودها للتصدي لمحاولات ربط الإرهاب والعنف بالدين الإسلامي، أما العراق فقد اتهم الولايات المتحدة بالإرهاب فيما تعاطفت دمشق مع الشعب الأمريكي عن طريق رسالة الأسد للرئيس بوش.

السيادة، لذلك فقد أعربوا على الفور عن قلقهم من تصريحات لقادة حلف شمالي الأطلسي، قالوا فيها أنهم سوف يساندون أي رد على (الاعتداءات) التي استهدفت الولايات المتحدة. ويبدو أن الصين تريد الاستفادة من الحدث، من حيث أن هذه الحرب أبعدت ولو زمنياً فكرة انفصال الأقليات المسلمة[1].

الموقف الروسي امتاز هو أيضاً بالتحفظ رغم إعلان الحكومة الروسية عن استعدادها للتعاون مع الولايات المتحدة في الكشف عن ملابسات عمليات الهجوم على المباني الحيوية ألا أن وزير الخارجية الروسي (أيفور ايفانوف) أكد أن العمليات الانتقامية لا يمكن أن تحل المشكلة على المدى الطويل مضيفاً أن ما نحتاج إليه هو تعاون على المدى الطويل وتدابير تهدف إلى اتقاء حصول مثل هذه الأحداث.

وبينما أعربت روسيا عن تأييدها للقيام بعمل جماعي يهدف إلى تنظيم شامل لمواجهة التهديدان الجديدة، فقد أكدت أن الرد على الإرهاب لا يمكن أن يكون فورياً، وأنهم لن يستغلوا هذه الفترة الصعبة لمفاوضة الولايات المتحدة حول مشروع الدفاع الصاروخي الأمريكي، لكنهم حرصوا على تنبيه الأمريكيين إلى ضرورة الاهتمام بالتهديدات الحقيقية مثل الإرهاب والتي هي أكثر إلحاحا من الدفاع ضد الصواريخ[2].

لقد دفعت التحركات الأمريكية لتطويق أفغانستان عن طريق مساومة جيرانها والضغط عليهم، أن تعلن حكومة طالبان أنها سترد بعنف على الدول المجاورة التي ستساعد الولايات المتحدة في حال شنت هجمات على أفغانستان. وقال بيان أصدرته الخارجية الأفغانية، لا يمكن استبعاد أن يشن مجاهدونا هجوماً مكثفاً إن وضعت

---

(1) يشير الدكتور هنري كسينجر في حديثه عن الصين، أن هذه الدولة ستصبح في عام 2030 أكثر الأمم سكاناً، عسكرياً واقتصادياً الأقوى إذا ما بقي مجتمعها متماسكاً، يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص 137 وما بعدها؛ رانيا بركات الزواهرة وآخرون، المصدر السابق، ص 75 -76.

(2) رانيا بركات الزواهرة وآخرون، المصدر السابق، ص 78.

إحدى الدول المجاورة قواعدها البرية والجوية في تصرف القوات الأميركية. وأضاف البيان، أن أي قرار من أي دولة مجاورة بتقديم قواعد برية أو جوية لتسهيل هجوم عسكري أمريكي محتمل على أفغانستان سيعتبر نيلاً من سيادة أفغانستان كما سيورط ذلك البلد في الحرب.

إن محاولة التطويق الأمريكي لأفغانستان دبلوماسياً واقتصادياً وعسكرياً وجغرافيا ترافق مع تسرب أنباء عن مصادر عسكرية أمريكية تقول بوجود ست خيارات تركز على قصف أفغانستانً، أكثرها ترجيحاً محاولة القضاء على بن لادن بصواريخ عابرة للقارات.. لكن هذه الصواريخ فشلت في محاولات سابقة جرت عام 1998.

والخيار الآخر يتمثل في توجيه إنذار إلى حكومة طالبان بتسليم بن لادن تحت طائلة التعرض لهجوم أمريكي واسع النطاق، علماً بأن أفغانستان تخضع منذ عدة سنوات لحصار اقتصادي أخفق في إجبارها على إبعاد أسامة بن لادن.

ويشير السيناريو الآخر إلى إطلاق عمليات كوماندوز بقيادة قوة دلتا المتخصصة في الضربات وعمليات القصف المركز، إن لم يكن إرسال قوات كبيرة لغزو أفغانستان.

وفي عودة إلى الظروف والحوادث التي سبقت التفجيرات، ومهما تداخلت تلك الأعمال وتشابكت لتخلق وضعاً سياسياً صعباً في ذهن سياسة الولايات المتحدة، فإن الأمر يبقى أشبه بعملية ثأرية من خصم يحاول استثمار ما حدث ليجهز على فريسته، فالولايات المتحدة في حالة حرب مع زعماء مافيا المخدرات في كولومبيا وأمريكا اللاتينية، وتوعد هؤلاء بحرق أمريكا أن هي اعتقلت زعيمهم وقد اعتقلته قبل ثلاثة أشهر من الحادث.

كما أن في أمريكا وحدها (300) ثلاثمائة عنصر ميلشيا منها من يقف مع تفكك الولايات المتحدة، وفيها قادة عنصريون في مواجهة اليهود والعرب أو عنصريون ضد

الهنود السود وهؤلاء أشبه بمجموعات مسلحة وأثبتوا قدرتهم على تفجير المبنى الفيدرالي في (أوكلوهوما) منذ (3) سنوات[1].

في الجانب الآخر هناك المجموعات الثورية التي لامست اصابعها تهديداً جدياً، مثل منظمات العنف في اليابان، ومنها الجيش الأحمر الذي لا يخفي رغبته أبداً من الانتقام والعمل ضد أمريكا التي استخدمت القنابل النووية على هيروشيما وناكازاكي عام 1945.

وفي هذا فإن الولايات المتحدة لم تعط للآخرين رأياً محدداً للإرهاب في تصنيف التنظيمات في المنطقة العربية والإسلامية في حين توجد منظمات متطرفة منتشرة في بقاع العالم مثل منظمة بادر ماينهوف الألمانية، الأولوية الحمراء الإيطالية، حزب العمال الكردي في تركيا، نمور التأميل في سريلانكا، منظمة ايتا في إسبانيا، الجيش الإرلندي في إرلندا فقد استثنتهما أمريكا من القائمة وأبقت سيفها مسلط على رقاب كما هو مسلم وعربي...

الولايات المتحدة تعرف أن مسالة تعريف الإرهاب لا يمكن إقناع الصين وروسيا بالطريقة التي تريدها حيث المصالح المتشابكة مع الدول الأخرى، وعلى هذا الأساس فإن الرئيس الأميريكي (بوش) وفي زحمة العواطف لفقدان الضحايا قد وجع عباراته المشهورة إلى العالم " أما أن تكونوا مع الولايات المتحدة أو مع الإرهاب" وفي العشرين من شهر أيلول 2001 وفي خطاب متلفز (لبوش) في الكونكرس الأميريكي بقوله " سنستخدم كل الأساليب وسنجعل الإرهابيين يتصارعون فيما

---

(1) جريدة بابل البغدادية، 11 أيلول 2002 العدد 3449، ص21.

بينهم"[1]. في الجانب الآخر وبوقت مبكر اتخذت وزارة الدفاع (البنتاغون) تدابيرها الستراتيجية تمهيداً لتدمير معقل بن لادن وتنظيم القاعدة.

الحشد الأميركي والحليف في دول الجوار

تضمنت المادة الخامسة من لائحة حلف شمال الإطلسي، أنه إذا ما حصل اعتداء على أية دولة من دول الحلف فإن ذلك يعتبر اعتداء على دول الحلف، فدخلت الولايات المتحدة من هذا الباب ولم تلجأ إلى الأمم المتحدة لمناقشة الموضوع وإصدار قرار، وإنما اكتفت أنها ذكرت وفق المادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة وأنها تعرضت إلى حرب وأنها سترد على ذلك.

أ - القوات الجوية والصاروخية

أولاً: حاملة طائرات (كارل فنسن) (وانتر برايز) الموجودتان في المحيط الهندي وكل واحد تحمل (75) طائرة من طراز (F-14) (F-18) وطائرات تشويش الكتروني (AE/68).

ثانياً: حاملة الطائرات (روزفلت) تحمل (80) طائرة مقاتلة.

ثالثاً: ثلاثمائة وخمسون طائرة مقاتلة في قواعد جوية باكستانية وأوزبكستانية وقرغسيانية.

رابعاً: طائرات (B-52) و (B-1) في جزيرة (ديغوغارسيا) في المحيط الهندي.

خامساً: حاملة الطائرات (كيتي هوك) وعلى ظهرها خمس وثمانين طائرة أبحرت من اليابان إلى المحيط الهندي.

---

(1) جريدة بابل الصادرة يوم 21 أيلول 2001، نشرت وزارة الخارجية الأميركية أسماء المنظمات الإرهابية، تنظيم القاعدة (أفغانستان) الجهاد الإسلامي (مصر) الجماعة الإسلامية (الجزائر) أبو سياف (الفلبين) حزب الله (لبنان) جيش عدن (اليمن) جيش محمد (ص) كشمير.

سادساً: حاملة طائرات (ريلاستريوس) البريطانية تحمل خمسة عشر قاذفة من طراز (هاريير) وسي هارير).

سابعاً: طائرات (U2) لأغراض التجسس.

ثامناً: مجموعات من طائرات الهليوكبتر لعمل المجموعات الخاصة في أوزبكستان.

تاسعاً: طائرة التجسس (غلوبال هوك) التي تطير على ارتفاعات عالية بدون طيار[1].

عاشراً: طائرة الاستطلاع (بريدتيور) التي تطير على ارتفاعات أكثر انخفاضاً من (غلوبال هوك) وتتمكن من التقاط صور بالغة الدقة للأهداف المقصودة.

أحد عشر: طائرة (A-8) من طراز بوينغ (707) معدلة تسمى (Joint Stars) مزودة برادار يمكن أن يحدد الآليات على بعد (200) كم من الأرض وفي كل الأجواء. والفكرة الأولية هي اكتشاف الآليات مثل الدبابات والشاحنات في ميدان معركة تقليدي، ولكن في حرب وصفها وزير الدفاع (رونالد رامسفيلد) بأنها لا تشبه أي حرب سابقة، فإن الآليات التي تتم متابعتها تشمل الشاحنات الخفيفة التي تستخدمها حركة طالبان.

اثنا عشر: صواريخ كروز (توماهوك) استخدمها الجيش الأميركي من السفن أو الغواصات خلال حرب الخليج، بمدى (1609) كم وبسرعة (885) كم في الساعة.

ثلاثة عشر: صاروخ (هيلفاير) مضاد للدروع موجه بأشعة الليزر.

أربعة عشر: قنابل (G.B.U.28) مخصصة لتدمير المخابئ والكهوف، وزنها حوالي 2/1 نصف طن وهي موجهة بأشعة الليزر لتدمير الأهداف التي تحت الأرض ومنها مقرات القيادة تحت الأرض، استخدمت في العراق ضد (ملجأ العامرية)

---

(1) (الحرية الدائمة) الاسم الرمزي الذي أطلقته الإدارة الأمريكية على عملية الغزو لأفغانستان، رانيا بركات الزواهرة، وآخرون، المصدر السابق، ص 89.

في 13 شباط 1991. وسببت خسائر مأساوية كما استخدمت ضد مخابئ (تورابورا) في أفغانستان[1].

أما عدد الطائرات المشتركة في الحملة الجوية فقد وصلت إلى (570) طائرة مقاتلة.

القوات البرية

بعد دراسة مستفيضة لتقارير الاستخبارات التي حصلت عليها الولايات المتحدة خلال فترة قصيرة بعد إحداث (11) أيلول، وخاصة من الاستخبارات الباكستانية والهندية وقوات التحالف الشمالي الأفغانية وهي متمركزة على أرض شمال أفغانستان في مقاطعة (مزار شريف) والولايات الشمالية الأخرى خارج سيطرة قوة طالبان. وكان التخطيط يضع في الاعتبار طبيعة الأرض الأفغانية، ووجود قوة معارضة وقلة الأهداف الستراتيجية المطلوب تدميرها، إضافة إلى طبيعة تنظيم حركة طالبان وتسليحها، فكان الأمر بتهيئة مجموعات خاصة تتحمل ظروف وقساوه شتاء أرض تلك الدولة العصية.

(أ) الكتيبة (26) مشاه البحرية (مارينز) نقلتها مجموعة بحرية مؤلفة من (3) سفن وقوتها (2200) مقاتل.

(ب)الكتيبة (75) (Ranger) صاعقة وقوتها (1500) مقاتل.

---

(1) عبر شبكة الإنترنت عن القوات الجوية الأمريكية في أفغانستان: إن عدد العاملين في القيادة المركزية من ضباط وجنود القوات الجوية بلغ (55000) عنصر مقاتل، منهم (7500) في أفغانستان (1000) في الباكستان، (1000) في قرغيستيان، (1700) في أوزبكستان، (13000) على ظهر حاملات الطائرات. وبالإضافة إلى هذا فإن (5100) في السعودية و (3900) في قطر، (3500) في عمان، (4500) في البحرين، (850) في الإمارات، (64) في اليمن.

(ج) قوة الدلتا الخاصة التي تكلف بواجبات ذات أهمية كبيرة لم يعلن عن عدد مقاتليها.

(د) قوة برية بريطانية قوامها (23) ألف عنصر بري وجوي بضمنهم (3) آلاف عنصر للعمليات الخاصة، تمركزت بوقت مبكر في شمال أفغانستان للتكيف على طبيعة الأرض والواجبات وتهيئة الأدلاء من قوة التحالف الشمالي.

(ه) قوة خاصة (استرالية) قوامها (1500) مقاتل شاركت في واجبات خاصة على الأرض الأفغانية[1].

(و) أبدت دول من حلف شمال الأطلسي مثل ألمانيا، فرنسا، إيطاليا، تركيا إرسال قوات إلى شمال أفغانستان تحت غطاء المعاونة الإنسانية للشعب الأفغاني.

القوات البحرية

(أ) غواصات أميركية مخصصة لإطلاق صواريخ عابرة من طراز (توماهوك).

(ب) مجموعة من (14) سفينة أميركية في المحيط الهندي لنقل المؤن إلى القوات الخاصة الموجودة على الأرض الأفغانية.

(ج) (4) مدمرات، و (5) كاسحات الغام و (3) غواصات نووية بريطانية لمؤازرة البحرية الأميركية.

(د) تم تهيئة مركز التنصت البريطاني الموجود في جزيرة قبرص لاستلام المكالمات عبر أفغانستان[2].

---

(1) شبكة الإنترنت، وانظر كذلك جريدة بابل شباط، 2002، ص22.

(2) عدنان عبد الجبار، الأبعاد السوقية لحرب أمريكا الجديدة، مجلة مختارات سوقية، جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا، العدد 5، 2002، ص 16.

أسلحة القتال الجديدة

بعد مرور خمسة أعوام على انتهاء حرب الخليج الثانية، توقفت برامج التطوير للأسلحة انتظاراً لما استخلصته حروب السنوات العشر الأخيرة التي خاضتها القوات الأمريكية والأوروبية في حرب الكويت 1991، وحرب البوسنة 1999.

ويذكر المحلل العسكري لصحيفة (نيويورك تايمز) مثلاً أن سبعة بالمائة فقط من القذائف التي تم إطلاقها على العراق قد اتجت إلى أهداف عسكرية، بينما اتجه سبعين بالمائة منها إلى أهداف مدنية وسقط الباقي أي ما نسبته ثلاثة وعشرين بالمائة بصورة عشوائية. ولغرض تبرير ما حدث ذهب الناطق بلسان وزارة الدفاع أن هناك ضعف بالأداء وأخطاء ارتكبت، غير أن الأمر تكرر بعد بدء القصف الجوي والصاروخي العنيف على العراق في مطلع شهر أيلول عام 1996 فأعلنت وزارة الدفاع يوم في السادس من أيلول عام 1996 أن نصف صواريخ (كروز) الأربعة والأربعين من طراز (توماهوك) التي أطلقتها الوحدات البحرية الأميركية من البحر الأحمر والخليج وطائرات (B-2) قد اصابت أهدافها العراقية، أما النصف الآخر فذكرت الوزارة إلى (أخطاء في البرمجة الكمبيوترية)[1]. أما في بريطانيا فقد صدر تقرير رسمي في الرابع عشر من شهر آب 1999 عن مستوى أداء الطائرات المقاتلة البريطانية والصواريخ ضد الأهداف الصربية، فتبين أن النسبة لم تزيد عن أربعين بالمائة مما شكل حرجاً كبيراً لوزارة الدفاع[2].

وضمن هذا المفهوم خصصت الولايات المتحدة ميزانيات ضخمة في السنوات السبع الأخيرة لتحديث أكثر من مائة سلاح جديد وركزت اللجان على تطوير أسلحة ومعدات وتجهيزات محددة تلائم احتياجات حروب القرن الحادي والعشرين لتشمل:

---

(1) عدنان عبد الجبار، المصدر السابق، ص 17.

(2) عدنان عبد الجبار، المصدر السابق، ص 18.

(أ) استخدام الطائرات بلا طيارين موقعاً محورياً بعدما أظهرت قدرة متميزة في إنجاز العديد من المهام مثل الاستطلاع والتجسس والقصف والقتال مروراً بالعديد من المهام الأخرى... وتعتبر مثل هذه ذات جدوى طالما لا تعرض حياة الطيارين للمخاطر.

(ب) تطوير الصواريخ المختلفة والصواريخ المضادة للصواريخ البالستية بشكل خاص، ذلك أن التوجه العام للعسكرية الأمريكية يحرص على خوض الحرب عن بعد لتجنب الخسائر البشرية التي تنجم عن المواجهة المباشرة بين الوحدات المتحاربة، أن هذا التوجه أدى إلى الاستفادة القصوى من تفوق معلوماتي وتقني وسيطرة إلكترونية وأسلحة ذكية لتحقيق دقة إصابة وكفاءة مناورة وغزارة نيران وسرعة رمي لتحقيق ردع حاسم، أو نصر سريع من غير حاجة إلى زج حشود ضخمة للقوات في ساحة القتال[1]. كما اهتمت عمليات تطوير الأسلحة الجديدة لإنجاز واجب تعطيل أسلحة العدو أو تدميرها بسرعة وبالتالي تحييدها وشل قدرة الجندي القتالية [2].

حركة طالبان

بعد خروج الاتحاد السوفييتي مجبراً من أفغانستان في عام 1989م ودخول الأحزاب الإسلامية السبعة الرئيسية إلى العاصمة (كابل)، ظهر فيما بعد ما كان خافياً في صدور البعض من قادتهم وطروحاتهم الضيقة في الاستحواذ على الحكم والتنكر للآخرين والعودة للقبلية بدل التهيؤ لمرحلة جديدة من البناء والأعمار.

---

(1) عدنان عبد الجبار، المصدر السابق، ص10 -11.

(2) تشير الدراسات الأمريكية إلى نيتها إنتاج صواريخ ذات رؤوس حربية متعددة وقدرة تدمير تمتاز بالتعرف على أهدافها طوعياً، مثل صاروخ (الصدمة) سنة 2006، كذلك صاروخ (لام) الذي ينطلق عمودياً ويفتك بالمدرعات المعادية على مدى (100) كم ويستطيع الحوم لمدة (30) ثانية.

في عام 1994م ظهرت قوة طالبان على الأرض الأفغانية، بعد تفاقم تناحر قادة المجموعات الإسلامية على الحكم، وأغلب رواد هذه الحركة الجديدة ينتمون إلى طلاب العلوم الدينية، وبعد مرور عامين تمكنت هذه الحركة بعد أن جمعت بحدود (100) ألف مقاتل من قبيلة (البشتون) التي ينتمون إليها من الاستيلاء على (كابل) العاصمة وبأسلحة مشابهة لما لدى الطرف الآخر (التحالف الشمالي).

أما تسليح الحركة فإنه مشابه تماماً لما لدى الطرف الآخر وأغلبها (سوفييتية) الصنع حصل عليها الطرفين من جراء هروب أعداد غفيرة من الجيش الأفغاني والتحاقهم بأبناء جلدتهم بعد الغزو السوفييتي، وكذلك من بقايا الأسلحة المصرية (صنع سوفييتي) التي جرى تسويقها إلى أفغانستان عبر باكستان باتفاق أمريكي لمقاومة الشيوعية.

وبقياس تسليح جيوش دول الجوار فإن الحركة تبقى متأخرة بفاصلة من الزمن فالمتيسر لديهم بنادق آلية، هاونات من عيار (60) و (82)ملم و (120) ملم ومدفعية من عيار (122) ملم و (130) ملم ودبابات بأعداد قليلة لا تشكل أكثر من لواء مدرع من طراز (T-55) (T-54) . أما طائراتهم المقاتلة فإن أحدث ما لديهم من طراز (MIG-21) التي استخدمها العرب في حرب 1967م ضد إسرائيل. أن المرسل من أسلحة وتجهيزات كانت تتم عبر صندوق مالي تكفلته السعودية والولايات المتحدة، أما تدريب مقاتلي الحركة فتم على يد نخبة من ضباط الجيش الباكستاني، وبسرعة، تلقى أفراد الحركة المعرفة وتراكمت لديهم الخبرة بقليل من القتالات الخاصة فقد تمكنت من السيطرة على (كابل) العاصمة والاستيلاء على 85٪ من أرض أفغانستان بضمنها المدن الرئيسية مزار شريف، جلال آباد، قندهار، هيرات في عام 1998[1].

---

(1) إبراهيم عبد الطالب، فن الحرب على الأرض الافغانية، وزارة الدفاع العراقية، المجلة العسكرية، العدد2، تموز 2002م، ص 102 -103.

أما وضع حركة طالبان قبل القصف الجوي الأمريكي، فإنها تمكنت من طر دقوة التحالف الشمالي بقيادة أحمد شاه مسعود[1]. عام 1996 م من (كابل) ولجوءها إلى المناطق الشمالية من البلاد بالقرب من طاجاكستان وازبكستان حيث أن معظم مقاتلي التحالف ينتمون عرقياً إلى الدولتين.

من الناحية الاستراتيجية فإن الحركة لم تتمكن من خلق المناخ المناسب لكل أفراد الشعب الافغاني، فظلت جموع عديدة منهم لاجئة في دول الجوار. وألقت حالة الريبة والشك مع قبيلتي الطاجيك والأوزيك مما حرمهما من التنسيق والتعامل مع قادتهم. وفي معاركهم القاسية مع قوة التحالف فقد مكنتهم قوتهم القتالية من المناورة بمجموعات قتالية متباعدة وزجها في الوقت المناسب للدفاع أو الهجوم، كما امتازت قدرة مقاتليهم وقادتهم الاحداث الذين يتمتعون بالابداع وقابلية الحركة وزرع الاغام في بسط نفوذهم وتعبيه أفرادهم في دفاعات مدبرة وقتالات خاصة واحراز انتصارات قتالية على خصمهم.

في يوم 7 تشرين أول 2001 بدأت القوات الجوية الأمريكية والحليفة والاسلحة الصاروخية من طراز (كروز وتوماهوك) وسواها بضرب المدن والأهداف المختلفة في

---

(1) احمد شاه مسعود (49) سنة، يوم 2001/9/9 (ليلة اغتياله) ظل حتى الفجر يناقش مع صديقه الحميم مسعود خليلي، وكان برنامجه لليوم التالي مقابلة صحفيين عربيين قبل أن يتناول الغذاء على ضفاف نهر (أمو داريا) كان من عشاق الشعر، وكان يشعر بالقلق من تزايد المرتزقة الأجانب في باكستان، ووضع قيادة طالبان تحت أمرة (أسامة بن لادن)، وضرورة أعداد قواته مع اقتراب فصل الشتاء، وتركز الحديث على تخوف مسعود من هجوم قريب قد تقوم به قوات طالبان في سهل (شومالي) قرب (تاخار) حيث كانت هذه القوات تسيطر على كافة أنحاء البلاد باستثناء هذه المنطقة في شمال شرق البلاد والتي كانت حصن مسعود المنيع وفي يوم 9/9 طلب أحمد شاه نحو (25) من قادته وبحث معهم الأعداد لهجوم مضاد على طالبان، فقد كان يخشى حسب (خليلي) من تمكن طالبان من الوصول إلى (بدخشان) الوحيدة التي كانت لا تزال خارج سيطرتهم.

Stephen Tanner, op.cit, p. 287.

افغانستان، وأمكن خلال أسبوع واحد من اطلاق أكثر من ألفي صاروخ، وتبعها نهاراً قيام المقاتلات الأمريكية بقصف القواعد الجوية ومقرات الحركة [1]. ومعسكراتهم وأسلحة الدفاع الجوي مع تركيز مكثف على دفاعات الحركة في المناطق الامامية المواجهة لقوات التحالف الشمالي في منطقة مزار الشريف، التي قدرتها استخبارات الحركة بأربعة آلاف مقاتل و ثلاثمائة دبابة وعدد من الطائرات المقاتلة الصالحة للاستعمال وكانت بحدود (15) طائرة [2].

الخداع التعبوي

قيدت الحركة مجموعاتها القتالية لممارسة أعمال قتالية بمنطقة الدفاع الرئيسية وظلت في ظروف الموقف الجديد تمارس الدفاع المدبر الذي بات يستنزفهم نزيفاً مضاعفاً ولا فائدة ترجى منه. أن وجود مقاتلين في الميدان شيء وإدارة الحرب أمام عدو يتمتع بقدرة تكنولوجية متطورة شيء آخر، وعلى هذا الأساس فقد وجدت الولايات المتحدة قوة التحالف فرصة مناسبة جداً لقهر خصمهم بدون حاجة لتقديم قوات برية لقتال عناصر طالبان بصورة مباشرة.

وبتنسيق بين الافغاني الحليف والامريكي الذين اقتربت مصالحهم لإزاحة حركة طالبان، فقد وفرت القوات الأمريكية ضباط ارتباط مع الجنرال عبد الرشيد دوستم قائد التحالف لطلب الاسناد أو المعلومات الاستخبارية التي ظلت نوفرها المجموعات الخاصة الأمريكية والبريطانية قبل بدء القصف الجوي، كما أن

---

(1) في افغانستان عدد قليل من الأهداف الثابتة وبسبب ضعف الدفاع الجوي، لحركة طالبان، فقد تم تدميرها في الموجات الأولى للقصف الجوي، نجيب عبد الفتاح، أسس التعبية الأرضية السوفينتية، المجلة العسكرية عدد خاص، وزارة الدفاع العراقية، مديرية التدريب العسكري، 2002، ص 158 (ترجمة).

(2) إبراهيم عبد الطالب، فن الحرب على الأرض الافغانية، المصدر السابق، ص 104.

قائد التحالف الشمالي ظل هو الآخر يستلم التوجيهات من القيادة الأمريكية المتمركزة في منطقة (مزار شريف)[1].

ففي المعركة الأولى التي نشبت بين الطرفين يومي (9، 10) تشرين الثاني وبعد خمسة أسابيع من القصف الجوي الأمريكي أو الحليف عن بعد[2] اعتقدت الحركة أن عدوها سيحاول التقدم وتأسيس تماس بدفاعاتها المدبرة أسوةً كما كانت تقاتل في السابق، والفرق هو بقاءها في حالة دفاع. غير أن الذي حدث هو خسارة الحركة (70) سبعون قتيلاً قبل بدء المناوشات ونفس العدد أو أكثر من الجرحى والأسرى، ووجد المخطط الأمريكي ضرورة ارباك حركة طالبان وذلك بظهور مجموعات مقاتلة حليفة خلف قوات طالبان، فجرى الايعاز لمهاجمة قوات الحركة في منطقة (باميان) وسط البلاد حيث يقف حزب الوحدة المناهض للحركة بقيادة (كريم خليلي)، وتمكنت قوة التحالف في غضون أربعة أيام من السيطرة على (باميان) وكسب أسلحة وتجهيزات الحركة وأرض مستولى عليها في وقت ظلت قوات التحالف تحاول انجاز ذلك مدة خمسة أعوام.

ولم يعد ينفع حركة طالبان الانسحاب (التكتيكي) الذي ادعته وتوالت الانهيارات والتدافع من مكان إلى آخر.

في الجانب العملياتي، خططت قيادة القوة الأمريكية والحليفة أن تجري المناورة بقوات محمولة جواً من المجموعات الخاصة لانزالها خلف دفاعات الحركة وعلى الممرات الجبلية في منطقة مزار الشريف إذا ما استدعت الحاجة رغم عمليات القصف الصاروخي والجوي، إلا أن ما ظهر فيما بعد أن اجراءات المناورة بالقوات لم

---

(1) إبراهيم عبد الطالب، المصدر السابق، ص 105.

(2) طائرة (F-18) (3700) طلعة جوية، مقابل 1200 طلعة لـ (F-14) من حاملات طائرات البحرية، وكذلك F-15E (250 طلعة جوية)، F-16(470 طلعة) جوية من القوات الجوية الأمريكية لاسناد الحملة الجوية..

تعد بحاجة إليها في منطقة الدفاعات الرئيسية وأن المناورة بالنار هي المطلوبة لملاحقة مجموعات طالبان المتقهقرة من أرض المعركة .

في الجانب الإداري، أفغانستان من البلدان المغلقة أي عدم توفر ميناء على البحر، مما جعل تأسيس المناطق الإدارية ونقل كل أصناف التموينات يتم عبر الباكستان وميناء (كراجي) وكذلك عبر أوزبكستان ولكن بكميات قليلة جداً بالقياس للأولى.

أن خدمة الإدامة في الجيش الأمريكي مبنية على قيادات اسناد التي بدورها تستلم وتنقل التموينات والتجهيزات إلى قيادات اسناد الفرق ووفق سلسلة الإدامة تصل إلى أفواج الاسناد الامامية التي تسند قوة القتال الفعلية وعلى هذا فقد تمكنت أفواج الاسناد من تأسيس نقاط إدارية قرب الحدود الشمالية الغربية من الحدود الباكستانية ثم جرى نقلها إلى أماكن أمينة بعد طرد حركة الطابان من المدن الرئيسية، وأمنت الماء والارزاق، والوقود، والعتاد لمجموعاتها وطائراتها، وكذلك متطلبات حركة المجموعات الخاصة التي أرسلت بوقت مبكر خلف دفاعات قوات طالبان(1).

فمثلاً تم تأسيس نقطة إدارية قرب القاعدة الجوية (يعقوب آباد) الباكستانية القريبة من الحدود الافغانية لغرض ادامة طائراتها المقاتلة بالوقود وعناصرها بمتطلبات المعيشة، وكذلك استخدام القاعدة الجوية (توزيل) في أوزبكستان القريبة من الحدود وفق تخطيط ضباط القيادة المركزية، وهو ما ساهم في استمرار الحملة الجوية حتى مع تقدم القوات البرية لقوة التحالف وعمل المجموعات الخاصة الأمريكية والبريطانية حول مدار المدن الرئيسية التي تتواجد فيها قوات حركة طالبان في جلال آباد، كابل، قندهار، هيرات. وكانت أهداف المجموعات، البحث

---

(1)The final report to Congress, 2001 War, p. 21.

عن معسكرات تدريب، صواريخ سكود، مدارج الطائرات والطائرات، مخازن الأسلحة والوقود ومدافع مقاومة الطائرات، وأسامة بن لادن ومعاونيه[1].

أما نزول مجموعاتها الخاصة فتم بعد قيام طائرات التجسس (U2) تنفيذ مهمات الاستطلاع الجوية للمنطقة المقصودة، وعبر رادار طائرة (Rc-135) التي تقوم بتسجيل الاشارات اللاسلكية على الأرض. يجري ارسال مجموعة أو أكثر من العناصر الخاصة للبحث، وبات معلوماً في نفس الوقت أن لهذه المجموعات اتصال مع مقاتلات موجودة على الأرض وعلى الحاملات، وحتى القاصفات (B1,B52) في حال اتجهت أمور القوة على الأرض إلى السوء أو في حال استدعي الأمر تنفيذ هجوم للتضليل[2].

خلال الفترة التي أعقبت القصف الجوي، واستمراره، فقد توجهت قوة التحالف الشمالي بمعونة استخبارات القوات الأمريكية إلى مدينة جلال آباد ثم العاصمة (كابل) التي جرت فيها أعمال تخريب، وقتل ونهب بين عناصر عرقية تنتمي إلى مجموعة غير بشتونية، ولم يبق للحركة إلا معقلها الأخير في قندهار والتي يتخذها الملا (عمر) زعيم الحركة مقراً له ولقيادته، وبقتال غير منظم فقدت حركة طالبان كل الأرض التي كانت تسيطر عليها بفترة قصيرة جداً لا تتعدى اثنا عشر يوماً[3].

استراتيجية جديدة

أفرز التوجه الأمريكي لمحاربة الارهاب نزوعاً جارفاً نحو الهيمنة، وبات شعار (مكافحة الارهاب) بعد (11) أيلول هو البديل لشعار (مكافحة الشيوعية) زمن الحرب البادرة، وبدأت السياسة الخارجية الأمريكية تحدث تحولاً في السياسة الدفاعية من كونها سياسة تقوم على مبدأ الاحتواء إلى سياسة دفاعية تقوم على

---

(1) The final report to Congress, op.cit,p22.
(2) I bid, p. 23.
(3) I bid, p. 25.

مفهوم (الهجوم الوقائي) وفي السياق نفسه وبعيداً عن الوجه السافر لمفهوم الهجوم الوقائي، بدأت السياسة الخارجية الأمريكية حملة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى مطالبة بإحداث تغيرات في مناهج التعليم بدعوى أنها تشجع على التطرف وكراهية الآخرين، وبدأ العالمان العربي والاسلامي هما المستهدفين الأساسيين من هذه الحملة على اعتبار ان المتهمين باعتداءات الحادي عشر من أيلول هم من هذه الدول وقد فعلوا هذا بتحريض مبطن من ثقافة دولهم المختلفة وهي بهذه الخطوات أرادت وبتصور خاطئ عن الاسلام مسخ ثقافة هذه الدول وافساح المجال لتكريس النموذج الثقافي الأمريكي، الذي يمثل الأساس الايدلوجي للسياسة الخارجية الامريكية الجديدة باعتباره الارقى مقارنة بالثقافات الأخرى.

وعلى الرغم من الصراع الحالي الذي تشهده الولايات المتحدة بين من يسمّون بالصقور والحمائم في إدارة الرئيس بوش. فإن مؤشرات القوة تبدو لصالح الصقور الذين يدفعون في سبيل تكريس هذا التوجه الامبراطوري، وقد أدى الانتصار السريع الذي حققته الولايات المتحدة على حركة طالبان إلى تدعيم قناعتها بالاعتماد على مبدأ القوة (الفجة) كسبيل وحيد لمحاربة ظاهرة الارهاب واعادة ترتيب العالم وفقاً للمنظور الأمريكي، وهو ما يصب في صالح تصور الصقور الذي يسير فيه نائب الرئيس (تشيني) ومستشارة الأمن القومي (كونداليزا رايز) ووزير الدفاع (رامسفيلد) ونائبه (بول وولفوفتيز)، حتى لم يبق أثر لما يسمون بالحمائم، وبدأ الجميع يعزفون على نغم واحد وهو التصرف مع الدول المستقلة أشبه بولاية تابعة لهم، وشعرت دول الشرق الأوسط، بحراجة موقفها تجاه التسلط الأمريكي وتسلط قطب واحد على مقدرات الآخرين بغياب الاتحاد السوفيتي الذي وازن المعادلة للفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. كما شعرت كل من الصين وروسيا أن جنود الولايات المتحدة ومعهم جنود حلف الناتو صاروا يتجولون ويستخدمون طائراتهم على حدودهما المشتركة لاستثمار ما موجود من ثروات معدنية في دول آسيا الوسطى الإسلامية، وفي الجانب الآخر وجد بعض المحللين في سعي الولايات المتحدة لتجفيف ما يسمى

منابع الارهاب الإسلامي أن يؤدي إلى قيام ثورات إسلامية عديدة لمواجهة التهديد الأمريكي، قد يؤدي بالنهاية إلى حرب عالمية بين الإسلام والغرب [1].

(1) رانيا بركات الزواهرة وآخرون، المصدر السابق، ص 170.

الاستنتاجات.

- إن دولة افغانستان بمواردها الفقيرة وجبالها الوعرة وبرودة شتاءها، وتنوع عرقياتها، ظلت على الدوام متأخرة في عمرانها، وتجارتها وصناعتها، وقد ساهم في ذلك كون البلد مغلق بدون شواطئ على بحر أو محيط، كما أن ضعف الامكانيات المادية جعلها تتأخر في استثمار أي شيء موجود في باطن تربتها، مما أعطى مبرر لروسيا في القرن التاسع عشر إلى التوسع على حسابها لتصريف منتجاتها واحتمالات وجود ثروات معدنية في أراضيها.
- إن التنافس الروسي البريطاني على احتلال أفغانستان قد أثار نخوة العشائر وعلماء الدين الافغان للدفاع عن بلدهم، ولكنه في كل الأحوال دفاع ينقصه التنظيم والتسليح ومهارة القتال، بعكس الطرفين الانكليزي والروسي، مما أدى بالتالي إلى سهولة دخول الروسي والانكليزي في عمق الارضي الافغانية بخسائر قليلة.
- ظلت اتجاهات السياسة البريطانية والروسية حول مشكلة اسموها مشكلة الحدود التي استمرت لمدة ثلاثين سنة، حيث أن كل واحد منهم رسم خططه وإمكانياته لخداع الآخر، في حين يعيش القسم الأكبر من الأفغان في خط فقر منظور، في الجانب الآخر ومن خلال سير حركات الطرفين، أن مشكلة الحدود ليست هي الدافع، وأنما كان هدف البريطانيين جعل أفغانستان منطقة عازلة (Buffer State) لأي نفوذ روسي، باتجاه مستعمرتها الهند.
- حقق الأمير مان الله الاستقلال من طرف واحد عام 1919، وهو ما أثار حفيظة الجانب البريطاني الذي اشعل الحرب للمرة الثالثة، وبقي العناد الأفغاني على حاله حتى أذعن الحاكم البريطاني لذلك. ولكن ما يعاب على أمان الله (قليل التجربة) أنه ارتمى في أحضان رواد الثورة الشيوعية (السوفييت)، وقد قادت الاتفاقية الافغانية – السوفييتية إلى أسوأ العواقب فيما بعد.
- بعد ستين سنة من آخر غزو لأفغانستان دخلت القوات السوفييتية إلى كابل، ولكن هذه المرة دولة نووية لديها من الأسلحة التقليدية المتطورة، كما أنها دولة دائمة العضوية في مجلس الأمن، وأن حرباً باردة مليئة بالاثارات جرت بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية. في الجانب الآخر، نرى أن الأخيرة قد اغتبطت للتصرف السوفييتي في أفغانستان للقصاص منها نتيجة هزيمة فيتنام فمهدت لتحالف دولي في الخفاء متمثل بالباكستان ومصر والسعودية لتقاتل بالنيابة عنها وهذه المرة باسم الاسلام.
- أن دخول الجيش السوفييتي إلى افغانستان، كان بحجة حماية جمهورياتها الجنوبية المسلمة من اختراق أمريكي لها عن طريق الجماعات الاسلامية الموجودة في باكستان وافغانستان،

مما يعني أن مثل هذا الفعل كبير وينطوي على خسائر بشرية ومادية وكان بإمكان السوفييت تلافي ذلك الخطأ بعدم الاعتماد على مسؤول المخابرات في كابل وعلى تقاريره.

- إن تقرب السوفييت من حدود باكستان وحصرها بين فكي كماشة مع الهند عدوها التقليدي قد زاد الطين بلة، وبحكم علاقات الدولة الباكستانية بالولايات المتحدة والسعودية، فقد زادت كميات الأسلحة المرسلة إليها وكذلك الأموال السعودية، إضافة إلى تطوع آلاف الشباب من العرب للقتال دفاعاً عن باكستان وافغانستان نيابة عن الأمريكان، فزاد ذلك من رصيد الباكستان وأضعف من هيبة الدولة السوفييتية.
- إن عيوب فن الحرب السوفييتي قد ظهرت بشكل واضح على الأرض لا سيما وأنها قوة عالمية تمتلك أسلحة متطورة بعيدة المدى وطيران تعبوي وستراتيجي إضافة إلى الصواريخ التي يمكن اطلاقها من موسكو، في الجانب الآخر كانت القوة أمامها عبارة عن ميلشيات غير منظمة وغير منضبطة، أسلحتها خفيفة تعتمد على حرب العصابات، مما أشعر الجماعات الاسلامية في بيشاور بقوتها وعنادها وضرورة الالتحام مع الشيوعيين وتكبيدهم افدح الخسائر فأثرت تلك الفترة التي استمرت من 79 -1989 على تفكير القيادة ووضع جيشها الذي ينزف دماً يومياً، فكانت واحدة من الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة السوفييتية عام 1991.
- بعد مرور أربع سنوات على الغزو السوفييتي لافغانستان في (عام 1983) فكر القادة السوفييت باستخدام القوات المحمولة جواً على ظهر السمتيات لمعالجة مجموعات المقاومة المسلحة، وأعتبر هذا تطور تعبوي جديد يتمكنون فيه من سد منافذ تلك المجموعات المسلحة ثم استدعاء القاصفات من طراز (توبولوف) لتدميرهم كما فعل الأمريكان في فيتنام، إلا أن وجود المستشارين السوفييت وعناصر مخابراتهم لم يتمكنوا خلال حقبة من الزمن تقييم دور وعناد الافغان عند ادارتهم للمعارك، وانسحب على هذا أن القوات السوفييتية من جمهورياتها المسلمة لم تكن مدربة وإنما عبارة عن سواق للعجلات المدرعة والدبابات، فتكبدت خسائر لا مبرر لها، وأعطت للطرف الآخر أمل في إمكانية تحرير بلدهم مهما بلغت تضحياتهم أولاً وأن الجيش الأحمر وهو يستعرض في ساحة الاحتفالات ما هو إلا لأغراض الدعاية ثانياً.
- في السنوات الثلاثة الأخيرة من الغزو، حصلت المقاومة الافغانية على صواريخ تحمل على الكتف من نوع (سام/ 7) لاسقاط عدد من الطائرات السوفييتية، مما نبه الطيارين، وبدت التعبية الجوية السوفييتية أكثر حذراً، وتنفذ من ارتفاعات عالية فأفقدها دقة الاصابة، وبالمقابل فإن المقاومة الافغانية أظهرت معنويات عالية ودقة أكثر على التحرك نهاراً لمواجهة الوحدات السوفييتية البعيدة، أو المعزولة أحياناً.

- كانت الستراتيجية السوفييتية تنطلق في علاقاتها الدولية على أساس قبول تلك الدول للأحزاب الشيوعية وانتشارها وظلت على هذه السياسة العقيمة حتى مع علمها أن هذا الحزب لا يمكن قبوله في العالم الاسلامي، ناهيك عن نفوذه وتوسعه في دول مثل ايطاليا وفرنسا، مما أدى إلى نفور من تطلعاته وانعكس ذلك على ميزانية الدول السوفييتية واقتصادها المستنزف أصلاً، وكان كل ذلك على حساب الشعب السوفييتي ورفاهيته، الذي كان في معظمه يتطلع إلى وضع معاشي أحسن بالمقارنة مع حياة أبناء المجتمع الأوروبي.
- أرهقت الدولة السوفييتية ميزانيتها في سباق تسلح كبير مع الجانب الأمريكي (وحلف الاطلسي) في الوقت الذي كان فيه الجانب الأمريكي يملك أقوى قوة اقتصادية ويصرف بليونات من الدولارات على الأبحاث العلمية، كان الجانب السوفييتي في حالة من الارهاق، مما قوض تدريجياً من قدرته في المجالات الأخرى، وعندما حان الوقت لمجيء (غورياتشوف) ونظرياته في المكاشفة واعادة البناء تهاوت مؤسسات النظام وفر كل من أراد أن يخلص من تبعات النظام السوفييتي ونظام الاسوار الحديدية، وكان يتطلب في أسوأ الحالات اعطاء موازنة بين متطلبات الدفاع وبين تقوية البنيان الداخلي ورفاهيته بغية الصمود أمام آلة الدعاية الغربية.
- في المقابل من تلك الستراتيجية التي نساها الزمن كما نسي الشعب السوفييتي قادتهم المتعبين صحياً، كان الجانب الامريكي يبني ستراتيجية متدرجة معتمدة على ثغرات وضعف خصمه في أي من المجالات بغية أحكام الموازنة على كل متطلبات الشعب الأمريكي الذي لم يكن يسمع إلا ما تردده وسائل اعلامه فقط، فنمت لدى الجانب القيادي الأمريكي روح عدائية أساسها ضرورة الانطلاق إلى رحاب واسعة لأي رئيس يتسلم السلطة، وأن يعمل للأمة الأمريكية في جانبين، الأول: سياسياً، كيف يواجهون قدرة السوفييت وعقيدتهم الشيوعية ومنعها من الانتشار وثانياً رفاهية المواطن الأمريكي وحريته في المأكل والملبس والسفر والشراء، مما ولد حالة من زهو الشعب لخدمة توجهات السياسة الأمريكية عسكرياً.
- كانت الستراتيجية الامريكية معتمدة على التهديد باستخدام القوة والتلويح بها تحت ضغط من ماكنة الدعاية خلال فترة الحرب الباردة، وبحكم وجود القوة الموازنة لها في الجانب السوفييتي ظهر هذا واضحاً من خلال تجربة حرب فيتنام (1964 -1969) وما بعدها حيث عانت كل القيادات الأمريكية من ذلك الغزو الغير مبرر والخسائر البشرية والمادية، وآثارها في فقدان طيارين فوق أرض فيتنام، ويعتقد الأمريكان أن الشيوعية السوفييتية غذت الحرب لكي يستمر نزيفهم نيابة عن الجيش والشعب السوفييتي وحلف وارشو... وبحكم الاستنتاج المنطقي والحسابات الدقيقة لما بعد الحرب، نجد أن الستراتيجية الأمريكية لم تعط رأي في

إرسال قوات إلى بلدان آخرى بغض النظر عن المشكلات التي تحدث فيها، طيلة فترة السبعينات والثمانينات غير أن مثل هذه الستراتيجية تبدلت في أول لحظات انتكاسة الدول السوفييتية في عهد غورباتشوف عام 1991، فكان ولأول مرة في التاريخ أن يقف السوفييت ليس متفرجين في عدوان أمريكي على العراق في 1991 وإنما متعاونين مع حلف الاطلسي يقدمون لهم ما يريدون عن تسليح العراق وأهدافه ومشاريعه، مقابل مليارات الدولارات، وتوالت التدخلات السافرة في شؤون الدول الأخرى، ومنهم من انحنى للريح في أول هبوبها، وآخر اعتدل يقف في مواجهة الحلف الأمريكي، حتى جاءت انفجارات 11 أيلول في نيويورك وواشنطن لتعطي لهم المبرر في بناء استراتيجية جديدة لضرب معاقل الإرهابيين كما تصفهم الولايات المتحدة في دولة افغانستان المسلمة عام 2001 وتصل إلى منابع النفط في منطقة بحر قزوين بسهولة وتحت غطاء محاربة الارهاب الدولي.

- في خضم تفجيرات (11) ايلول في واشنطن وينويورك (الغير محسومة) أسبابها، أظهر الرئيس بوش ومستشاريه ميل جارف للانتقام من تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن باعتباره المسؤول عنها، فكان الهدف دولة أفغانستان باعتبارها تأوي التنظيم وزعيمه، فكانت ضربتها موجهة لتحقيق عدة أهداف:

الأول: منها ضرب معاقل المسلمين وقادتهم، الذين كانوا قبل عقد من الزمان حلفاء لهم يقاتلون السوفييت بالنيابة عنهم من أمثال حكمت يار، أحمد شاه مسعود، رباني وحتى أسامة بن لادن نفسه.

الثاني: مواجهة خصومهم عند حدودهم، ومنهم القديم الاتحاد السوفييتي ومخلفاته الدولة الروسية، ومنهم الجديد (الصين) الذي تنظر إليه القيادة الأمريكية نظرة شك وريبة في تطور اقتصادها وتنامي قدرتها العسكرية، وتمكن الامريكان من الوصول إلى ثروات آسيا الوسطى ومنطقة بحر قزوين قبل أن يصلها الروس والصينيين، وأن استخراج ما موجود في باطن الأرض سيعطي مردود وافر للاقتصاد الامريكي، وربما يكون عمال حفر آبار النفط من الأمريكان على بعد أمتار من حدود الصين وروسيا.

استخدم الجيش الأمريكي في الميدان قوة التحالف الشمالي بقيادة الجنرال عبد الرشيد دوستم الموجود في شمال أفغانستان لضرب المسلمين من تنظيم القاعدة وحركة طالبان فكانت حرب بين المسلمين أنفسهم، في حين وقف الأمريكي وحلفائه من الغرب والشرق يتفرجون عليها ويغذوها بعتاد لم يستخدم قسم منه حتى في ضرب العراق مثل القنابل الخاصة التي تزن أطنان والتي استهدفت جبال (تورا بورا).

التوصيات:

- ظهر لدينا من خلال الدراسة أن أعمال الغزو التي انتهجها القيصر الروسي أو الجنرال الانكليزي إنما كانت تندرج تحت أطماع توسعية أو من أجل ضمان مصالح المستعمر الانكليزي في الهند ، غير أن ما يعاب على الجانب الافغاني، تفرقهم في وجه الطامعين، وهم مسلمين وكان بالامكان أن تسموا هذه العقيدة لمواجهة الطرفين حيث أن الأول ملحد والآخر مستعمر وكلاهما يريدان نهب الثروة.

- أن الغزو السوفييتي الأخير عام 1989 -1979، ما كان ليحدث لولا اندماج ومسايرة رموز بارزة افغانية تنتمي إلى قبيلة البشتون في أحزاب شيوعية بحجة إقامة نظام اشتراكي في هذه الدولة المتخلفة أسوة لما موجود في الاتحاد السوفييتي، وبعد أن تم الغزو لم يتمكن الزعماء الافغان الذين يعرفون امكانياتهم تجاه الدولة الغازية من الناحية العسكرية، والاقتصادية، ولم يتمكن الزعماء الافغان من توحيد جودهم إلا بعد تدخل الباكستان بثقلها المخابراتي والعسكري لاحياء قوة مسلحة مدربة، تغذيها المملكة السعودية والولايات المتحدة مادياً، لكي تقاتل السوفييت نيابة عن الجيش الأمريكي كما كان العكس في حرب فيتنام.

ويمكن القول أنه حتى بعد مجيء حركة طالبان وكلهم من طلاب العلوم الاسلامية ومن قبيلة البشتون، فإن رؤيتهم للأمور الحياتية وحرية الناس ظلت قاصرة وهي تعيش على أعتاب القرن الواحد والعشرين.

- أن أي ستراتيجية يجري مناقشتها وتوضع موضع التطبيق، إنما يأخذ بنظر الاعتبار المشكلات التي تواجهها وظهور مقاومة عنيدة مسلحة، ولكن في ظل ظروف الاحتلال السوفييتي سابقاً أو الأمريكي لاحقاً أنهم مجبرين عليه وكان ينبغي على قادة تلك الدولة أن تستفيد أقصى استفادة من الأمريكي في بناء دولته حيث لا خيار ولا قوة لاخراجهم من أفغانستان في ظل ظروف المرحلة الحالية. وفي الجانب الآخر فإن العمل يستمر في إعادة تنظيم سري مسلح قد يستمر لفترة طويلة من الزمن ريثما تحين ساعة الخلاص للانقضاض على الغازي.

الخاتمة

- افغانستان، دولة فقيرة بمواردها، مساحتها شاسعة وجبالها وعرة، ويحتاج من يريد أن يتجول فيها إلى أسابيع وقد تطول إلى أشهر، لكي يصل إلى كل ولاياتها البالغة 23 ولاية. يعيش الشعب فيها معتمداً على الزراعة والتجارة البسيطة التي أساسها المقايضة، فيها عرقيات عديدة أهمها البشتون الذين يمثلون غالبية سكان البلاد، ثم قبيلة التاجيك، والهزارة.
- خلال القرن التاسع عشر تعرضت البلاد إلى غزو روسي وانكليزي بحجج مختلفة، منها الحدود ومنها ما يتعلق بحصة المستعمر الانكليزي في شبه القارة الهندية، وكانت الضريبة على الدوام يتحملها الافغاني البسيط.
- في عام 1929 عاود الروس غزوهم لبلاد الافغان، ولكن القوة عادت بعد تخلي الملك عن العرش وبعد (50) سنة عاود السوفييت أصحاب (الفيتو) في مجلس الأمن، والقوة النووية الهائلة إلى ممارسة لعبتهم القديمة معتقدين أن الافغان سيهابون دولة عملاقة تقف موقف الند للند للولايات المتحدة الأمريكية.
- كان الدخول السوفييتي لافغانستان عام 1979 خطأ جسيماً، حيث اقتصاد الدولة يعاني من مشاكل وآلة الانتاج متوقفة تقريباً، وفوق ذلك، كان لا بد للغزو الجديد أن ينال من قوت الشعب وفي الوقت نفسه يستقبل قتلاه. في الجانب الأمريكي وحسب ما يقول مستشار الأمن القومي (بريجينسكي) أنهم هم الذين غذو نزعه الغزو لافغانستان لكي يحصدوا ما فقدوه في فيتنام، فكان هناك تحالف بسيط وخفي مكون من الولايات المتحدة والسعودية بأموالها، ومصر (السادات) بخبرتها وسلاحها السوفييتي، والباكستان بخبرة جيشها التدريبية، فكان هذه المرة قتال المسلمين للكفار الملحدين كما أرادها (كارتر) ومستشاره بريجينسكي. ومن بين آثار دخول السوفييت إلى أفغانستان، تقربهم من الباكستان وحصرها بين فكي كماشة مع عدوها التقليدي الهند. وقد أثار ذلك حفيظه الحلفاء، فهناك حلف هندي - سوفييتي، يقابله حلف صيني – باكستاني، وظلت هذه الحالة عشر سنين كان فيها السوفييت يلوحون بتقسيم باكستان بعد مرارة الاخفاقات التي عانت منها القوات السوفييتية على أيدي مجاهدين لا يملكون سوى الأسلحة الخفيفة والقاذفات، وصاروخ (ستنكر) في السوات الأخيرة من الصرع الدامي بين الطرفين.
- إذا كان سباق التسلح خلال فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، قد أوصل الأخير على مشارف الافلاس فإن الحرب الضروس بين جبال افغانستان الوعرة قد

أكملت على قدرة الدولة السوفييتية وبرامجها في تطوير أسلحتها، فبالإضافة إلى التكاليف الباهضة والنفقات التي تحملتها هي لوحدها، نجد أن دول الخليج النفطية قد مولت حرب المجاهدين في افغانستان. وبعد مجيء (غورباتشوف) على سدة السلطة في الدولة السوفييتية ذهب إلى أبعد مما تراه عينه لعله يشفي أمراضاً مزمنة في جسد دولته، فأعلن عن نظرياته في إعادة البناء والمكاشفة التي أدت إلى انهيار النظام بسقوط جدار برلين واستقلال الجمهوريات المسلمة، ودول البلطيق، وانهيار أنظمة الحكم الشيوعية في دول أوروبا الشرقية.

- في الجانب الأخر كانت ستراتيجة الولايات المتحدة تأخذ خطوات أبعد مستغلة ضعف خصمها، فكانت ستراتيجية كارتر وريغن، التلويح باستخدام القوة، ثم جرى تعديلها بعد 1991، لمهاجمة دولة (العراق) التي تتحكم ببحيرة من النفط، فوجدت أمريكا أنها بأمس الحاجة إليها بسبب نفطها الآيل للنضوب، وجاءت أحداث 2 آب 1990 بدخول العراق إلى الكويت وجاءت الخطة ملائمة للإدارة الأمريكية واستغلال الحدث بعد أن اتفق غورباتشوف والرئيس بوش بالمضي قدماً لإخراج الجيش العراقي من الكويت، وهذه هي المرة الأولى التي تتصرف فيها القيادة السوفييتية بهذه الطريقة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.
- بعد احداث (11) أيلول 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية والتي هزت قوة الاقتصاد الأمريكي وهيبتها، فقد دعت الولايات المتحدة إلى تحالف دولي جديد لمقاومة ما سمته الارهاب الدولي، ووجهت الإدارة الأمريكية اتهامها على وجه السرعة لتنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن باعتبار أن أفغانستان وقائد حركة طالبان الملا (محمد عمر) هم الذين يخفون بن لادن، وبذلك فقد ارادت الإدارة الأمريكية ان تضرب عدة أهداف مرة واحدة، فهي ضربت خصماً عدته الكنيسة وتعده عدوها المقبل (الاسلام) وبنفس الوقت سارعت إلى احتلال منابع النفط والوقوف على حدود روسيا والصين عدوهما في المستقبل.







دار غيداء
للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com